الجامعـــة الإسلاميـــة - غـــزة
عمــادة الدراســات العـــليــا
كــليــة أصـــــول الـــديـــن
قسم التفسير وعــلوم القــرآن



فضل محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في القرآن الكريم

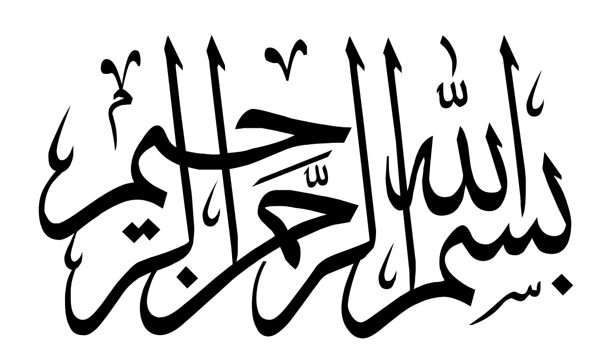
(دراسة موضوعية)

إعداد الطالب
محمد عبد الخالق محمد خله

إشراف
الدكتور/ رياض محمود قاسم

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩



﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُود ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح:٢٩)

الإهـــــداء

إلى روح والدي الكريمين الذين هما سببٌ في وجودي وهدايتي وتعليمي بعــد الله تعالى رحمهم الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته.

إلى رفيقة دربي في الحياة زوجتي الغالية التي صبرت معي على حلــو الحيــاة ومرها.

إلى أبنائي وبناتي الأعزاء الغاليين على قلبي وأزواجهم وأبناءهم.

إلى إخوتي الأحباب وأزواجهم وأبناءهم وأخواتي الحنونات وأزواجهن وأبنائهن.

إلى إخواني في الله وأصحابي وأصدقائي الذين أخلصوا لي في أخوتهم وصحبتهم وحسن معاشرتهم.

إلى عائلتي وعشيرتي وأهل بلدتي الطيبة .

إلى هذه الحركة الغراء ومن أسسها شيخ فلسطين وإخوانه.

إلى الذين رووا بدمائهم الطاهرة أرض هذه البلاد المقدسة.

إلى الذين قضوا نحبهم وأيديهم على الزناد ثابتين في سبيل الله.

إلى الذين ينتظرون الشهادة وما بدلوا تبديلا.

إلى محضن العلم والعلماء، ومخرجة الأبطال والــشهداء الجامعــة الإســلامية برئاستها، وعمدائها، وأكاديميها، والعاملين فيها.

إلى كل من أحب العلم والتعليم وناضل من أجل تحصيله.

إلى زملائي في كلية أصول الدين والدراسات العليا.

أقدم هذا الجهد المتواضع سائلاً المولى عز وجل أن يتقبله مني بقبول حسن وينفعني به في الدنيا والآخرة وينفع به الإسلام والمسلمين

شكر وتقدير

انطلاقا من قول الله تعالى **﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾** (لقمان:١٢)فإني أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان بعد الله تعالى معترفاً لأهل الفضل بفضلهم لأستاذي ومشرفي فضيلة الدكتور/رياض قاسم، الذي عاش معي هذا البحث كله بدون أي تقصير فبذل لي من أغلى وقته الخاص وفتح لي بيته وذلل لي الكثير من الصعاب، بتوجيهاته ونصائحه المفيدة، فجزاه الله عني كل خيرٍ، وجعل ذلك في ميزان حسناته. كما أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الفاضلين عضوي لجنة المناقشة:

الدكتور/ عبد السلام اللوح

الدكتور/ جمال الهوبي

الذين منحاني شرف الموافقة على مناقشة البحث وإثراءه بما أنعم الله عليهم من العلم والحكمة وتصحيح ما فيه من خطأ، حتى يخرج البحث في أجمل صورة فجزاهم الله عني كل خير.

والشكر موصول لبيتي الثاني لهذا الصرح الشامخ رائد العلم ومخرج العلماء والمجاهدين، والشهداء الجامعة الإسلامية، ممثلة برئاستها وعمدائها، وكذلك الشكر الجزيل لجميع العاملين فيها من أكاديميين وإداريين وخدمات.

والشكر كل الشكر لعمادة الدراسات العليا ممثلة بعميدها والإداريين والعاملين فيها، التي أعطتنا هذه الفرصة الذهبية لإكمال الدراسات العليا، والشكر موصول لكليتي الحبيبة كلية أصول الدين ممثلة بعميدها والإداريين وجميع الموظفين فيها، والتي كانت لي المحضن الأول للعلم في هذه الجامعة.

والشكر موصول إلى كل من ساعدني وساهم معي في إتمام هذه الرسالة المتواضعة سواء بفكره أو جهده أو بدعائه لي بالتوفيق وأخص بالذكر أخي الحبيب الشيخ /ناصر معروف، وأخي الشيخ محمود خله، وابن أخي الحبيب/ ميسره أحمد خله الذي قام بطباعة هذه الرسالة وبذل فيها أغلى وقته،وكذلك الشيخ / عبد الباري خله، أسأل الله أن يكون ذلك في ميزان حسناتهم فجزاهم الله عني كل خير.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمدﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، خلق فسوى، وقدر فهدى، وجعل الذكر والأنثى،وخلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملاً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة لهذه الأمة كما أمره بها ربه، فكان خير مبلغ، وخير ناصح لأمته، حتى وضعها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد:

فإن من سنة الله تعالى في خلقه، أن فاضل بين المخلوقات كلها، ففضل المؤمنين من الآدميين على جميع مخلوقاته. وفاضل بين المؤمنين، ففضل الأنبياء على سائر المؤمنين. وفاضل بين الأنبياء ففضل محمداً ﷺ عليهم. وفاضل بين الملائكة، ففضل جبريل –عليه السلام- عليهم. وفاضل بين الأمم، ففضل أمة محمدﷺ على الأمم كلها، فجعلها خير أمةٍ أخرجت للناس. وفاضل بين الناس، فجعل المؤمنين والصالحين خيراً من الكافرين والطالحين. وفاضل بين الأماكن والمقدسات، فجعل المساجد خير بقاع الأرض، وجعل المساجد الثلاثة خير مساجد الأرض كلها، حتى أنه لا تشد الرحال إلا إليها. وفاضل بين هذه المساجد الثلاثة فجعل المسجد الحرام أفضلها، ثم المسجد النبوي، ثم المسجد الأقصى. وفاضل بين البلاد، فجعل مكة أفضلها، ثم المدينة، ثم بلاد الشام. وفاضل بين الأمور المعنوية، ففضل الخير على الشر والصلاح على الفساد، والحسنة على السيئة، والإيمان على الكفر، والحسن والجمال على القبح، والنور على الظلمة، والفرح على الحزن. وما جعل الله تعالى هذا التفضيل بين مخلوقاته إلا من باب إسداء نعمته سبحانه على مخلوقاته، ليكرم من يستحق التكريم في الدنيا قبل الآخرة، وليمحص ويمتحن هذا الإنسان، ليحدد مصيره إما للثواب وإما للعقاب. وإذ يكتب الباحث في فضل محمد ﷺ وأمته على الخلائق كلها، يرى أن الأفضلية والخيرية ليست لقباً أُطلق على محمدﷺ وأمته من غير مضمون، ولكنه عنوان لحقيقة تجسدت في شخص محمدﷺ وأمته، حقيقة تجسدت في محمد ﷺ حيث سما بالإيمان، فأصبح أحب أهل الأرض إلى ربه وحقيقة تجسدت في أمته، في دينها وفي عقيدتها، وتفكيرها، وتوجهات قلوبها وأقوالها، وأفعالها، حتى كانت النموذج الفاضل الذي يريده الله تعالى للبشرية، حيث أخذت الدين لنفسها ولغيرها من الناس، فعملت بالدعوة إلى الحق والنهي

عن المنكر، حتى أصبحت أحب أهل الأرض إلى الله تعالى، فقال لهـا ﴿ **كنـتم خيـر أمـةٍ أخرجت للناس**﴾ (آل عمران١١٠) ولكن لما تنكبت عن طريق ربها، أذلها الله تعالى فأصبحت في ذيل القافلة بعد أن كانت في طليعتها، وصارت تتسول على موائد الفكر الإنـساني، بعـد أن كانت بالقرآن منارة الهدى للحيارى والتائهين، وأخذت تضطرب في سيرها، وتتـأرجح فـي فكرها، لا تعرف إلى أين المسير.

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

١- أن هذا الموضوع له أهمية كبيرة في حياة هذه الأمة المفضلة على الأمم كلها، وإن كانت قد غفلت عن هذه الأفضلية،

٢- لأن الأمور اختلطت في حياة الناس، فأصبحوا يفضلون المفضول على الفاضل، والسيئ على الحسن، حتى وصل الأمر ببعضهم أن يفضل الطالحين على الصالحين، وأهل الكفر على أهل الإيمان، وأماكن اللهو على أماكن العبادة،

٣- من خلال قراءة الباحث للقرآن الكريم وقف على آيات كثيرة تتعلق بفضل محمدﷺ وأمته مما شجعه على الكتابة في هذا الموضوع.

٤- تشجيع بعض الأساتذة للباحث للكتابة في هذا الموضوع، الذي لم يطرح مـن قبـل فـي رسالة علمية حسب علمه.

٥- محبة الباحث لهذه الأمة ونبيهاﷺ مما شده للبحث في هذا الموضوع، ولأجـل الوصـول لبيان فضل هذه الأمة على الأمم كلها، وفضل نبيها على الخلق كلهم.

أهداف البحث:

١- مرضاة الله تعالى، فهي أسمى غاية في هذه الحياة الدنيا.

٢- بيان سنة الله تعالى وعظمته في خلقه للمخلوقات، والتفضيل بينها.

٣- بيان الفاضل والمفضول في هذه المخلوقات وبيان درجة التفاضل بينها.

٤- بيان حقيقة هذه الأمة وكرامتها، وموطن عزتها بين الأمم، ومقامها عند ربها جل وعلا.

٥- بيان مظاهر هذه الكرامة في هذه الأمة، متى تبقى لها ومتى تفقدها.

٦- بيان الذلة التي وصلت إليها هذه الأمة لتركها مقومات عزتها وكرامتها.

٧- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث علمي في هذا الموضوع، حيث أن الباحـث لـم يجـد أي رسالة علمية في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة في هذا البحث:

بعد الإطلاع على الدراسات السابقة في هذا الموضوع، ومن خلال مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة السعودية، ومن خلال الكشف في المكتبة الإلكترونية للجامعة الإسلامية في غزة، لم يجد الباحث رسالة تتناول هذا الموضوع من كل جوانبه، لكنه ورد على شكل إشارات في بعض الكتب أو على شكل مقالات بسيطة، على الشبكات الإلكترونية، أو بعض المجلات.

منهج البحث:

لقد اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي حسب خطوات التفسير الموضوعي وذلك عن طريق:

١- جمع الآيات القرآنية التي تتناول هذه الدراسة من جميع نواحيها.

٢- وضع كل مجموعة من الآيات تحت عنوان مناسب لها.

٣- كتابة الآيات مدار البحث، بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم.

٤- تفسير الآيات من كتب التفسير القديمة المعتمدة والحديثة.

٥- عزو الآيات إلى سورها، وذلك بذكر إسم السورة ورقم الآية.

٦- ذكر سبب نزول الآية إن وجد.

٧- الاستدلال بالأحاديث النبوية، والآثار التي تخدم البحث، وعزوها إلى مصادرها مع ذكر حكم العلماء عليها، إن لم تكن في الصحيحن ما أمكن.

٨- عمل تراجم للأعلام المغمورين وكذلك البلدان والأماكن غير مشهورة.

٩- توثيق النصوص المنقولة في الهامش، مبتدئاً بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف، وترك البيانات التفصيلية في فهرس المراجع.

١٠-توضيح الكلمات الغريبة من خلال المعاجم اللغوية.

١١- عمل خاتمة للرسالة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

١٢- إعداد الفهارس اللازمة للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، والأعلام والمصادر، والمراجع والموضوعات، وذلك ليسهل الانتفاع بهذه الدراسة.

خطة البحث

وتحقيقاً لهذه الأهداف فقد وضع الباحث خطة لهذا البحث تشتمل على:مقدمة- وأربعة فصول-وخاتمة- ومجموعة فهارس للآيات والأحاديث والأعلام والمصادر والمراجع والمواضيع وذلك على النحو التالي:-

المقـــدمـــة

وتشتمل على أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأهداف البحث،والدراسات الـسابقة، ومـنهج البحث وخطته.

الفصل الأول

سنة الله في التفضيل بين الخلائق

وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: تفضيل الآدميين المؤمنين على كثير من المخلوقات

وفيه ثلاثة مطالب: -

المطلب الأول: تفضيل الآدميين المؤمنين على الملائكة

وفيه أربعة وجوه: -

أولاً: تفضيلهم بسجود الملائكة لآدم –عليه السلام-

ثانياً: تفضيلهم على الملائكة بالعلم

ثالثاً: تفضيلهم على الملائكة بحرية الاختيار

رابعاً: تفضيلهم على الملائكة بتسخيرهم لقضاء حوائجهم

المطلب الثاني: تفضيل الآدميين المؤمنين على الجن

وفيه أربعة وجوه: -

أولاً: تفضيلهم على الجن في الصورة ومادة الخلق

ثانياً: تفضيلهم على الجن في حمل الرسالة

ثالثاً: تفضيلهم على الجن بالسبق بالإيمان بدعوة النبي ﷺ

رابعاً: تفضيلهم على الجن بأمر أبيهم إبليس بالسجود لآدم –عليه السلام-

المطلب الثالث: تفضيل الآدميين المؤمنين على الأنعام

وفيه أربعة وجوه: -

أولاً: تفضيلهم على الأنعام بالهيئة والصورة

ثانياً: تفضيلهم على الأنعام بالعقل والتفكير

ثالثاً: تفضيلهم على الأنعام بتسخيرها وتذليلها لهم

رابعاً: تفضيلهم على الأنعام بالخلود في الآخرة

خامساً: تفضيلهم على الأنعام بالتكليف

المبحث الثاني: تفضيل الآدميين بعضهم على بعض

وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: تفضيل الآدميين المؤمنين على الكافرين

وفيه ستة وجوه:-

أولاً: تفضيلهم على الكافرين بسعادة الحياة الدنيا

ثانياً: تفضيلهم على الكافرين بالاستقامة على الأخلاق وحسن العقل والتفكير

ثالثاً: تفضيلهم على الكافرين في سكرات الموت وفي القبور

رابعاً: تفضيلهم على الكافرين عند البعث والنشور

خامساً: تفضيلهم على الكافرين عند الحساب

سادساً: تفضيلهم على الكافرين في دخول الجنة وعدم خلود العصاة منهم في النار

المطلب الثاني: تفضيل الأنبياء على سائر البشر

وفيه خمسة وجوه:-

أولاً: تفضيلهم على البشر بقوة الإيمان والاصطفاء بالنبوة والرسالة

ثانياً: تفضيلهم على البشر بتأييدهم بالمعجزات

ثالثاً: تفضيلهم على البشر بالصدق والحكمة ورجاحة العقل

رابعاً: تفضيلهم على البشر بالعصمة من الذنوب

خامساً: تفضيلهم على البشر في درجات الجنة

المطلب الثالث: تفضيل الأنبياء والرسل بعضهم على بعض

وفيه ثلاثة وجوه:-

أولاً: تفضيل الرسل على الأنبياء

ثانياً: تفضيل أولي العزم من الرسل على باقي الرسل

ثالثاً: تفضيل أولي العزم بعضهم على بعض

ومن أمثلة هذا التفاضل:-

١ -تفضيل آدم –عليه السلام- على الرسل بالأبوة الأولى للبشرية، وسجود الملائكة له.

٢ - تفضيل نوح- عليه السلام- على الرسل بطول العمر وطول الدعوة.

٣ - تفضيل إبراهيم- عليه السلام- على الرسل بالخُلة لله تعالى، والإمامة للناس، والأبوة الثانية للأنبياء.

٤- تفضيل موسى -عليه السلام- على الرسل بتكليم الله له، واصطناعته لنفسه.

٥- تفضيل عيسى- عليه السلام- على الرسل أن خلقه من روحة، ورفعة إلى السماء، وإنزاله في آخر الزمان.

الفصل الثاني

فضل محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفضيل محمدﷺ على الخلق كلهم

وفيه خمسة مطالب:-

المطلب الأول: فضل محمدﷺ على الخلق بالسيادة على ولد آدم

المطلب الثاني: فضل محمد ﷺ على الخلق بأنه رحمة للعالمين

المطلب الثالث: فضل محمد ﷺ على الخلق بالمقام المحمود يوم القيامة

المطلب الرابع: فضل محمدﷺ على الخلق بأنه أول من يدخل الجنة من الخلق كلهم

المطلب الخامس: فضل محمدﷺ على الخلق بشهادته على جميع الخلائق

المبحث الثاني: فضل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين

وفيه سبعة مطالب:-

المطلب الأول: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بختم الرسالة

المطلب الثاني: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بعموم الرسالة

المطلب الثالث: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بكثرة المعجزات

المطلب الرابع: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بالشفاعة الكبرى

المطلب الخامس: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بأن رفع الله ذكره

المطلب السادس: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بالإسراء والمعراج

المطلب السابع: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بخصال لم تعطَ لنبي قبله

المبحث الثالث: تفضيل محمد ﷺ قبل بعثته

وفيه ثلاثة مطالب:-

المطب الأول: فضل محمدﷺ بذكره في الكتب السماوية السابقة

المطلب الثاني: فضل محمدﷺ بذكره على ألسنة الأنبياء والمرسلين

المطلب الثالث: فضل محمدﷺ بشهادة أهل الكتاب له

الفصل الثالث

فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: **فضل أمة محمدﷺ على جميع الأمم**

ويتلخص فيما يلي: -

أولاً: فضل أمة محمدﷺ بخير نبي محمدﷺ

ثانياً: فضل أمة محمد ﷺ بخير كتاب (القرآن)

ثالثاً: فضل أمة محمد ﷺ بخير الشهور شهر رمضان

رابعاً: فضل أمة محمد ﷺ بخير الأيام يوم الجمعة ويوم عرفة

خامساً: فضل أمة محمدﷺ بالوسطية والشهادة على الأمم كلها

سادساً: فضل أمة محمد ﷺبأن سماها الله تعالى بالأمة المجتباه

سابعاً: فضل أمة محمد ﷺ بتورثها عقائد الأنبياء السابقين والإيمان بهم

ثامناً: فضل أمة محمد ﷺ بأنها الأمة المحفوظة المرحومة

تاسعاً: فضل أمة محمد ﷺ بالتيسير وعدم الحرج

عاشراً: فضل أمة محمد ﷺ بالعفو عنها في حديث النفس والوسوسة

الحادي عشر: فضل أمة محمد ﷺ على الأمم بعفو الله عن خطأها ونسيانها وما استكرهت عليه

الثاني عشر: فضل أمة محمد ﷺ بصلاة العشاء

الثالث عشر: فضل أمة محمدﷺ بالستر على أعمالهم في القبول والرد

الرابع عشر: فضل أمة محمد ﷺ بالسلام والتأمين

الخامس عشر: فضل أمة محمد ﷺ بالسحور للصوم

السادس عشر: فضل أمة محمد ﷺ بتعدد أنواع الشهادة فيها

السابع عشر: فضل أمة محمد ﷺ بأن جعل فيها المجددين للدين

الثامن عشر: فضل أمة محمد ﷺ بالغر والتحجيل

التاسع عشر: فضل أمة محمد ﷺ بالنصر والتمكين إلى يوم الدين

٤ - إخبار النبي ﷺ عن فضلهم

الخاتــمة

وفيها: أهم النتائج والتوصيات

الفهـــارس

وفيها: -

١ -فهرس الآيات

٢ - فهرس الأحاديث

٣ - فهرس الأعلام المترجم لهم

٤ - فهرس المراجع والمصادر

٥ - فهرس الموضوعات

الفصل الأول

سنة الله في التفضيل بين الخلائق

وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: تفضيل الآدميين المؤمنين على كثير من المخلوقات

المبحث الثاني: تفضيل الآدميين بعضهم على بعض

المبحث الأول

تفضيل الآدميين المؤمنين على كثير من المخلوقات

وفيه ثلاثة مطالب: -

المطلب الأول: تفضيل الآدميين المؤمنين على الملائكة

المطلب الثاني: تفضيل الآدميين المؤمنين على الجن

المطلب الثالث: تفضيل الآدميين المؤمنين على الأنعام

الفصل الأول

سنة الله تعالى في التفضيل بين الخلائق

إن من إبداع الله تعالى في خلق هذا الكون، أن جعل سنة التفضيل بين المخلوقـــات، وما ذلك إلا لحكمة أرادها الله جل وعلا، والتي من أهمها: تناسق نظام هذا الكون مع بعـــضه البعض ، من أجل تسيير حركة الحياة فيه، وذلك من خلال اعتماد المخلوقات بعــضها علـــى بعض في الحياة، ولبيان هذه السنة العظيمة في الحياة ، وضع الباحث في هذا الفصل مبحثين.

المبحث الأول

تفضيل الآدميين على كثير من المخلوقات

لقد كرم الله تعالى الآدمي المؤمن على كثير ممن خلق في هذا الكون لقوله تعـــالى : **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾** (الإسراء ٧٠)

لقد جعل الله تعالى هذه الكرامة للآدمي، شرفا وتفضيلا، كرم نفي النقصان، لا كـــرم المال. وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة، في امتداد القامـــة، وحـــسن الـــصورة، وحملهم في البر والبحر بإرادتهم، وقصد تدبيرهم، وبما خصهم مـــن المطـــاعم، والمـــشارب، والملابس، وكرمهم بالنطق، والفهم، والتمييز، والكلام، والخط، والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف.[١]

وإن كان الله تعالى قد فضل هذا الآدمي على كثير مـــن المخلوقـــات، فهنـــاك مـــن المخلوقات ما هو أفضل منه في بعض الخصال، فقد جعل الله تعالى فـــي بعـــض الحيوانـــات خصالا يفضل بها ابن آدم، كجري الفرس، وسمعه وإبصاره، وقوة الفيل، وشـــجاعة الأســـد، وكرم الديك.[٢]

وقد وضع الباحث في هذا المبحث ثلاثة مطالب :-

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ج ١٠ ص٢٣٩

المطلب الأول : تفضيل الآدميين المؤمنين على الملائكة

لقد خلق الله تعالى الملائكة، وجعلها من أحسن مخلوقاته الخلقية ، فقد خلقها من نور، كما بين ذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح [خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجآن من مارج من نار ، وخلق ابن آدم مما وصف لكم] [١] ثم إن الله تعالى اصطفاها لعبادته في السماء، وتسيير أمور عباده في الأرض، وأعطاها من القوة والقدرة، ما لم يعطه لأحد من مخلوقاته، ومع هذا كله فإن الله تعالى، فضل الآدمي المؤمن عليها. يقول الطحاوي: " وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر ، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر، والأنبياء فقط على الملائكة "[٢].

أوجه تفضيل الآدميين المؤمنين على الملائكة

أولاَ: تفضيلهم بسجود الملائكة لآدم عليه السلام

أخبر الله تعالى الملائكة ، بأنه سيجعل في الأرض خليفة ، وهو آدم وذريته ، ثم أمرهم بالسجود له إذا ما سوى خلقه ، ونفخ فيه من روحه ، وذلك في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (الحجر ٢٩) والمعنى: "(سويته): أي سويت خلقه ، وعدلت صورته الإنسانية ، وكملت أجزائه، **(ونفخت فيه من روحي)**: النفخ هو إجراء الريح في تجاويف جسم آخر، ومعناه تهيئة البدن لتعلق النفس الناطقة به، وإضافة قوله: (من روحي) هي إضافة تشريف وتكريم للآدمي، مثل: ناقة الله، وبيت الله." وقوله: (فقعوا له ساجدين): الفاء تدل على أن سجودهم واجب عليهم عقب التسوية والنفخ ، بدون تراخٍ ، وهو أمر بالوقوع ، ليدل على أن الأمر بالسجود واجب عليهم ، والسجود سجود تحية وتكريم ، لا سجود عبادة ، ولله أن يكرم من يشاء من مخلوقاته كيف يشاء وبما يشاء .[٣]

يقول سيد قطب رحمه الله" لقد كان خلق الإنسان من عناصر هذا الطين اللزج ، المتحول إلي صلصال ، ثم النفخة العلوية التي فرقت بينه وبين سائر الأحياء ، ومنحه خصائص الإنسانية ، وهي التي أفردته منذ نشأته عن كل الكائنات الحية ، فسلك طريقا غير طريقها ، فما أبقته في

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة ح٢٩٩٦

[٢] العقيدة الطحاوية ، تحقيق جماعة من العلماء ، ص ٣٠١ – خرج أحاديثه محمد ناصر الألباني

[٣]انظر فتح القدير، للإمام محمد بن على بن محمد الشوكاني ج ٣ ص ١٦٤

مستواها الحيواني لا تتعداه ، وهي التي أوصلته بالملأ الأعلى، وجعلته أهلا للاتـصال بـالله تعالى ، والتلقي عنه" [1]

اللطائف :

ومن اللطائف التي تَكَشَّفت للباحث في هذه الآيـة : أن الآدمـي مـا فـضل علـى المخلوقات الأخرى بخلقته من عنصر الطين ، إنما فضل بنفخ الروح فيه ، لقوله تعالى **(فـإذا** سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)، وهذا ما يدل على قيمة الروح في جسد ابـن آدم حيث لا اعتبار له بدونها.

ثانياً: تفضيلهم على الملائكة بالعلم :

لقد أظهر الله تعالى هذا الفضل لآدم أمام الملائكة فـي أول حياتـه ، وذلـك حينمـا عرض الله تعالى على الملائكة ، أمر خلافة آدم في الأرض ،قـال تعـالى**﴿ وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** (البقرة:٣٠) فتساءلت الملائكة عن سر ذلـك: **﴿ قَـالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾** (البقرة: ٣٠)

والسؤال هنا، إنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلـك ، يقولـون : ياربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء ، مع أن منهم من يفسد في الأرض ، ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك ، فنحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، أي نصلي لك ، ولا يصدر منا شيء مـن ذلك أي الفساد وسفك الدماء، وهلا وقع الاقتصار علينا ؟ . فقال تعالى مجيبا لهم عـن هـذا السؤال: (إني أعلم مالا تعلمون) أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف علـى المفاسد التي ذكرتموها ، ما لا تعلمون أنتم ، فإني سأجعل منهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم الصديقون والشهداء، والصالحون، والعباد، والزهـاد ، والأوليـاء، والأبـرار، والمقربون، والعلماء، والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى، المتبعون لرسله.[2]

ولما أراد الله تعالى أن يظهر للملائكة فضل الآدمي عليهم ، أجرى بين آدم والملائكة منـاظرة علمية، حيث لخصها الله تعالى في قوله: **﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَـا إِنَّـكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُـمْ إِنِّـي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾** (البقرة ٣١ - ٣٣)،لقد علَّم

---

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٥ ص ٢٠٣

[2] انظر تفسير القرآن العظيم ،للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ج١ ص٧٣

الله تعالى آدم -عليه السلام - أسماء الأشياء كلها ، على أغلب الأقوال، ثــم عرضـــها علـــى الملائكة وقال لهم: أنبئوني بأسماء هذه الأشياء، فعجزت الملائكة عن تسميتها، وقالت

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا)، فقال الله تعالى: (يا آدم أنبئهم بأسمائهم)، فلما أنبأهم بهـــا، علمت الملائكة أن آدم -عليه السلام - يفضلهم في العلم.

إن إخبار آدم -عليه السلام - بأسماء المسميات، دلالة واضحة على شرف الإنــسان، وتفضيله على غيره من المخلوقات ، ومنها الملائكة التي تساءلت عن سر هذه الخلافة لآدم - عليه السلام - في الأرض، وأيضا دلالة واضحة على فضل العلم على العبادة، فإن الملائكـــة أكثر من الآدميين عبادة، ومع هذه الكثرة للعبادة لم يكونـــوا أهـــلا لاســـتحقاق الخلافـــة فـــي الأرض، ثم دلالة على أن من شروط الخلافة في الأرض وجود العلم الـــذي بـــه يـــتم إدارة الأرض وعمارتها.[١]

ثالثاً : تفضيلهم على الملائكة بحرية الاختيار

لقد شهدت الملائكة على نفسها ، بعدم حريتها بالاختيار ، حيث قالت لله تعالى، حينما عرض عليهم أن ينبئوه بأسماء الأشياء فقالت : (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا).
وكأنهم يقولون : ياربنا ليس لنا حرية الاختيار في التعليم ، حتى نتعلم ما لم نتعلمه منك.

أما الآدمي ، فلقد أعطاه الله تعالى القدرة على الاختيـــار ، والإرادة المـــستقلة التـــي تختار الطريق ، والقدرة على الإبداع بالتفكير والتعلم. يقول سيد قطـــب رحمـــه الله : " إنـــه التكريم في أعلى صوره لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء، ولكنه وهب مـــن الأسرار ما يرفعه على الملائكة . لقد وهب سر المعرفة ، كما وهب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق . إن ازدواج طبيعته ، وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقـــه ، واطلاعـــه بأمانة الهداية إلى الله تعالى ، بمحاولته الخاصة ...... إن هـــذا كلـــه مـــن بعـــض أســـرار تكريمه".[٢]

إن الملك رسول منفذ لأمر ربه، فالملائكة ليس لها من الأمر شيء ، بل الأمر كله لله الواحد القهار ، وهم ينفذون أمره ، قال تعالى: **﴿ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾** (الأنبياء ٢٧) وقال تعالى: **﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾** (النحل٥٠)، فكل منهم له مقـــام

---

[١]انظر التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ج ١ ص ١٣١
[٢] في ظلال القرآن ج ١ ص ٦٨

معلوم لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه. [1]
أما الآدمي ، فقد كُرِّم عليهم بحرية الاختيار لأعماله ، وأفعاله ، مع المحاسبة عليها ، والسؤال عنها يوم القيامة، لأنها من النعم التي أنعم الله تعالى بها على الآدميين، قال تعالى **﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾** (إبراهيم٣٤) .

رابعاً : تفضيلهم على الملائكة بتسخيرهم لقضاء حوائج الآدميين .

إن عبادة الملائكة لله تعالى لا تقتصر على التسبيح، والتهليل، والتمجيد فقط بل تشتمل على تنفيذ إرادة الله تعالى بتدبير أمور العالم العلوي والسفلي، بأمر الله تعالى ومشيئته، فكل حركة في السموات والأرض من حركات الأفلاك، والنجوم، والشمس، والقمر والرياح، والسحاب، والنبات، والحيوان، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض، كما قال الله تعالى: { **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً** } (النازعات ٥). والقرآن الكريم ، قد دل على علاقة هذه الملائكة بالآدمي، وتسخيرها له، قال تعالى: **﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً*وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ﴾** (النازعات ١-٢)، "وهي الملائكة التي تنزع أرواح الكافرين نزعا شديدا ، والملائكة التي تنشط عند قبض أرواح المؤمنين والصالحين نشطا أي تسلها برفق" [2]. وكقوله تعالى: **﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾** (السجدة١١) وهو الملك الموكل بقبض أرواح الخلائق كلها،عندما تنتهي آجالها ، وتصعد بها إلى ربها عز وجل، أي قل يا محمد لهؤلاء الكافرين، المتكبرين، المنكرين للبعث إنه عند نهاية آجالكم سيوكل بكم ملك الموت الموكل بقبض أرواحكم ،لينزعها من أجسادكم ثم ترجعون بعد ذلك إلى ربكم.[3] والملائكة ملازمة للآدمي في حياته كلها ، فمنها الموكل بإلهامه للخير والحث عليه، كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ [إن للشيطان لمة بابن آدم ،وللملك لمه ، فأما لمة الشيطان ، فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك ، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله ، ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ من الشيطان ، ثم قرأ **﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾** (البقرة ٢٦٨)].[4] ثم إن منهم من سخر

---

[1] انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية ج٢ ص١٣٥

[2] انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري ج٥ ص٥٠٧

[3] انظر المرجع السابق ج٤ ص٢٢٦

[4] أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول اللهﷺ ، باب ومن سورة البقرةج١ ص٣١٥ ح ٢٩٨٨حسنه الترمذي

بالدعاء للمؤمنين ، والاستغفار لهم ، وذلك في قوله تعالى: **﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ* رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾** (غافر ٧-٩) يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح [والملائكة يصلون على أحدكم، ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه ، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه ، مالم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه][١] **ثم** إن منهم من سخر لحفظ أعمال الآدميين ، يكتبونها، ويحصونها، ليرفعوها إلى الله تعالى: **﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾** (ق ١٩). **وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ* كِرَاماً كَاتِبِينَ* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾** (الانفطار١٠-١٢) .

ثم إن منهم الموكلين في نفخ الروح فيهم، وهم في أرحام أمهاتهم، كما ورد في الحديث الصحيح [إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفه، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله، وعمله ، وشقي أو سعيد].[٢]

والخلاصة في علاقة الملائكة بالآدميين : أن الملائكة موكلون بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره، وهم موكلون بخلقته ، ونقله من طور إلى طور آخر، وتصويره ، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه، وعمله ،وأجله، وشقاوته وسعادته، وملازمته في جميع أحواله ، وإحصاء أقواله وأفعاله ، وحفظه في حياته ، وقبض روحه عند مماته ،وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ ، وبعد البعث، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يدعونه للخير ، وينهونه عن الشر، وهم المصلون عليه، والمستغفرون له ما دام في طاعة ربه ، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته .[٣]

وأما خلاصة القول في فضل الآدميين على الملائكة، يقول ابن الجوزي:" ما أزال أتعجب ممن يرى تفضيل الملائكة على الأنبياء، والأولياء، فإن كان التفضيل بالصورة،

---

[١] رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة ح٦٤٩

[٢] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ح٣٢٠٨

[٣] انظر إغاثة اللهفان ص١٣٨،١٣٩

فصورة الآدمي أعجب من ذوي أجنحة ، وإن تركت صورة الآدمي لأجل أوساخها المنوطة بها ، فالصورة ليست الآدمي، إنما هي قالب، ثم استحسن منها ما يستقبح في العادة، مثل خلوف فم الصائم، ودم الشهداء، والنوم في الصلاة، فهذه الصورة معنوية يحكم عليها بالمعنى وليس بالمظهر، كيف يفضلون وقد سجدوا لنا، وهذا صريح بتفضيلنا عليهم، وإن كان التفضيل بالعلم، فقد قالوا: (لا علم لنا إلا ما علمتنا)، ثم إن آدم -عليه السلام- أنبأهم بعد اعترافهم بعدم العلم، فهل فضلت الملائكة بكثرة العبادة ؟ كيف وهذا طبعهم، فهل يتعجب من الماء المنحدر في سرعته ؟ إنما العجب من مصاعد يشق الطريق، ويغالب العقبات، أليس بعدنا عن المعرفة الحقيقة، وضعف يقيننا بالناهي، وغلبة شهوتنا مع الغفلة، يحتاج إلى جهاد عظيم ، أعظم من جهادهم ؟ فو الله لو ابتلي أحد المقربين بما ابتلينا به، لم يقدر على التماسك . يصبح أحدنا وخطاب الشرع يقول له: الكسب لعائلتك، واحذر من كسبك . وتارة يقال للخليل -عليه السلام- : اذبح ولدك بيدك ، واقطع ثمرة فؤادك بكفيك، ثم قم إلى المنجنيق لترمى في النار. ثم يقال لموسى -عليه السلام - : صم شهرا ليلا ونهارا، ثم يقال للغضبان: اكظم غيظك، وللبصير اغضض بصرك، وللمستلذ بالنوم تهجد، ولمن مات حبيبه اصبر، ولمن أصيب ببدنه اشكر ، وللواقف في الجهاد لا تفر، ولمن وقع في المرض لا تشك إلى الخلائق . فهل للملائكة من هذه الأشياء شيء يفتنون به ؟ . ثم إن أكثرهم في خدمتنا ، بين كاتبين علينا، ودافعين عنا ، ومسخرين لإرسال الريح والمطر لنا ، بل أكثر وظائفهم الاستغفار لنا . فهل بعد ذلك يفضلون علينا ؟".[١]

المطلب الثاني : تفضيل الآدميين المؤمنين على الجن

إذا كان الله تعالى قد فضل المؤمنين من الآدميين على الملائكة، الذين اصطفاهم الله تعالى لعبادته وتسيير أمور عباده فمن باب أولى أن يفضل الآدمي المؤمن على الجني مهما بلغ في إيمانه.

ومن أوجه تفضيل الآدميين المؤمنين على الجن :

أولا : تفضيلهم على الجن في الصورة ومادة الخلق

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (التين ٤) أي في أحسن صورة، وشكل ومظهر ، منتصب القامة ، سوي الأعضاء[٢] ولقد بين المولى عز وجل ، طبيعة خلق

---

[١] صيد الخاطر ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي ،ص٥٩،٦٠

[٢] انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٣١

الجن وأصل مادة خلقهم فقال: ﴿ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ (الحجر ٧). قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: من خالصه وأحسنه. وقال النووي: المارج اللهب المختلط بسواد النار. [١] وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ (الرحمن ١٥). لقد بدأ الله تعالى في بيان خلق الإنسان ، ثم عرج بعده على بيان أصل خلق الجان، وهذا بيان فضل رتبه كما هو معروف في بلاغة التأخير والتقديم في اللغة، وأما من جانب عنصر مادة الخلق، فهذا يدل على شرف عنصر الآدمي المخلوق من الطين والتراب، والذي هو محل الرزانة، والثقل، والمنافع، بخلاف عنصر خلق الجان، وهو عنصر النار التي هي محل الخفة، والطيش والفساد[٢] وأما من جانب الهيئة والصورة، فقد بين الله تعالى فضل الآدمي في هيئته وصورته على سائر مخلوقاته ، ومنهم الجن ، فقال تعالى معاتبا هذا الآدمي على هذه النعمة والتي قصر بأداء حق شكرها لله الذي منحه إياها فقال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار ٦-٨). وقال أيضا: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين٤)، أي ركبك تركيبا قويما معتدلا في أحسن الأشكال وأجمل الهيئات[٣] وهذا يدل دلالةً واضحةً على فضل الآدمي في مادة خلقه، وفي صورته ،وفي تركيبه، حيث إن الآدمي يبقى على هيئته الآدمية التي اختارها له الله تعالى محافظا على كرامته بصورته، أما الجان فإنهم يتصورون ويتشكلون بأشكال خارجة عن نطاق أصل صورتها وهيئتها، بل تهبط بهذا التشكل إلى مستوى أدنى من مستواها،كالتشكل بصور شريرة، كصورة كلب، أو حيوان مفترس، أو حية سامة قاتلة، أو صورة حيوان بليد كحمار أو ما يشبه ذلك، وهذا ما وضحته السنة المطهرة في روايات صحيحة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ [إن بالمدينة جنا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئا فأذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان] [٤]

وقد قتل أحد الصحابة حية من حيات البيوت فكان في ذلـــك هلاكـــه كمـــا ورد فـــي الحديث [أن فتى كان يستأذن رسول الله ﷺ يوم الخندق بأنصاف النهار ، فيرجع إلى أهلـــه، فأستأذنه يوما فقال له رسول الله ﷺ خذ عليك سلاحك ، فإني أخشى عليـــك، فأخـــذ الرجـــل سلاحه ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة ، فأهوا إليها الرمح ليطعنها به ، فقالـــت لـــه:

---

[١] من كتاب عالم الجن والشياطين جزء ، د ، عمر سليمان الأشقر،ص١٠

[٢] انظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي، ص ٧٧٠

[٣] انظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧٧١

[٤] رواه مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها ح٢٢٣٦

أكفف رمحك وادخل البيت حتى تنظر مالذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوا إليها بالرمح فانتظمها به ، ثم خرج، فركزه في الدار ، فاضطربت عليه، فما يدري أيهما كان أسرع موتا : الحية أم الفتى ! قال فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، وقلنا: أدع الله يحييه لنا، فقال: استغفروا لصاحبكم، ثم قال: إن في المدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منه شيئا فأذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فأقتلوه ، إنما هو شيطان] [1]

وقد بين النبي ﷺ أن الحيات مسخت من الجن، كما مسخت القردة والخنازير من اليهود، قال النبي ﷺ [الحيات مسخ الجن صورة، كما مسخت القردة والخنازير من بني إسرائيل] [2]

ولما رأي إبليس أن الله تعالى قد خص آدم بأنواع الكرامة، حيث خلقه بيده في أحسن صورة، وأجمل هيئه،وألبسه رداء الحسن، والجمال، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وميزه بذلك عن الملائكة، وأسكنه جنته، عندها تحرك الحسد والغل في قلب إبليس، فعزم على معاداته حتى قال: لأن سلطه علي لأعصينه، ولئن سلطت عليه لأهلكنه، فلما أمرت الملائكة بالسجود لآدم، تحركت نار الغيرة والحسد في قلبه، فامتنع عن السجود له، معرضا عن النص الصريح، فقابله بالرأي الفاسد القبيح،فقال معترضا على أمر ربه تعالى:﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ (ص:٧٦) فكانت النتيجة الطرد من رحمة الله رب العالمين،ولذلك توعد إبليس آدم وذريته بالضلال والإغواء قال تعالى:﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (الإسراء ٦٢) فبهذه المقدمات الفاسدة، جمع بين الظلم والجهل، والكبر والحسد والمعصية، فأهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها، ووضعها من حيث أراد رفعتها، وأذلها من حيث أراد عزتها[3].

ثانياً : تفضيل الآدميين المؤمنين على الجن بالنبوة والرسالة

لقد كرم الله تعالى الآدمي على سائر مخلوقاته ، ومنهم الجن ، فجعل الرسالة والنبوة على الأرض في البشر . أما رسل السماء للأرض فجعلت من الملائكة وما كان من الجن نبيٌ ولا رسولٌ ، باستثناء المبلغين منهم للقرآن الذي سمعوه من النبي ﷺ، وهذا لم يكن من باب النبوة والرسالة،إنما من باب تبليغ دعوة الله تعالى ، وذلك في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ**

---

(1) رواه مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها ح٢٢٣٦

(2) المعجم الكبير للطبراني، باب العين، أحاديث عبد الله بن عباس ح١١٩٧٤ ، ج١١ ص٣٤١ ، ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ح١٨٢٤ ، ج٤ ص٤٣٩

(3)انظر إغاثة اللهفان، ص ٢١٤-٢١٥

الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ (الأحقاف ٢٩) وتبليغ الدعوة إلى دين الله وتوحيده، قد قام بها غير الإنس والجن وهو نوع من الطير، حيث قام هدهد سليمان -عليه السلام- بدور الرسول المبلغ بين سليمان-عليه السلام-، وبلقيس، حتى أسلمت لله رب العالمين، وما ذلك إلا ببذل الجهد لدعوة الله تعالى، والذي قام بها هذا الهدهد الذي غار على دين الله وتوحيده.

يقول السيوطي : " إن جمهور العلماء سلفا وخلفا ، على أنه لم يكن من الجن قط رسولٌ ، ولا نبيٌ ، كذا روي عن ابن عباس ومجاهد ، ومما يرجح أن رسل الله تعالى جميعهم من الإنس ، في الأرض ، ومن الملائكة في السماء إلى الأرض ، قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ (الحج ٧٥) فهذه الآية تدل على حصر الرسالة في صنفين من المخلوقات ، وهما الملائكة والناس ولم يذكر الجن معهم أبدا .

أما قوله تعالى: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا ...** ﴾ (الأنعام ١٣٠) . " والرسل من بني آدم ، والنذر من الجن، والآية فيها مضاف أي من أحدكم ، وهم الإنس، ومن إضافة ما للبعض للكل، كقوله تعالى: ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾(الرحمن ٢٢) ، إنما يخرجان من أحدهما وهو المالح دون العذب، والمعنى :ألم يأتكم رسل من جملتكم ، ولكن الرأي الأرجح أنهم ليس من جنس الفريقين معا، بل من الإنس خاصة"[١]

ثالثاً : تفضيل الآدميين المؤمنين عليهم بالسبق بالإيمان بدعوة النبيﷺ

إن الأمة جميعها من السلف والخلف، قد أجمعت بسبق الإنسان على الجآن بالإيمان بدعوة النبي ﷺ،فقد ذكرت السيرة النبوية المشرفة أن أول من آمن بالنبي ﷺ من أهل الأرض: من النساء خديجة ﷺ ، ومن الرجال أبو بكر ﷺ ، ومن الصبيان علي ﷺ . وقد ذكر "أن أول فريق من الجن آمن بدعوة النبي جن نصيبين ، وذلك بعد عودته من الطائف، وقد سلطوا عليه سفهاءهم، فأراد الله تعالى أن يشرح صدره بعد هذه الحادثة المؤلمة، ويهون عليه، فصرف إليه نفرا من الجن يستمعون إلى القرآن منه ، حيث أن الجن كانت تسترق السمع من السماء، فلما حرست السماء ورجموا بالشهب، قالوا: إن هذا الحدث وراءه أمر عظيم، فأرسلوا سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين، فضربوا في الأرض حتى بلغوا

---

[١] تفسير محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، ج٤ ص ١٣٠ بتصرف يسير

تهامة ، بين اليمن ومكة ، ثم إلى وادي نخلة، فوافقوا رسول الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يصلي فاستمعوا لقراءته ، فرجعوا إلى قومهم منذرين، يقولون : إنا سمعنا قرآنا عجبا.[١]
وروي عن سعيد ابن جبير: أنه ما قرأ رسول ﷺ على الجن ولا رآهم ، إنما كان يتلو في صلاته ، فمروا به ، فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر ، فأنبأه الله باستماعهم.[٢] وقيل: بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن، ويقرأ عليهم ، فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له،كما قال في الحديث :[إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة، فمن يتبعني ؟ قالها ثلاثا ، فأطرقوا إلا عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: لم يحضره ليلة الجن غيري ، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون،[٣] فخط لي خطا، وقال لا تخرج منه حتى أخرج إليك ، ثم افتتح القرآن ،وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته . ثم انقطعوا كقطع السحاب، فقال لي رسول الله ﷺ : هل رأيت شيئا ؟ قلت: نعم : رجالا سودا مستثفري ثياب بيض ، فقال : أولئك جن نصيبين.][٤]

ما يراه الباحث في التوفيق بين الرأي الأول الذي قاله سعيد بن جبير وبين الرواية الثانية : أن السماع الأول لم ير فيه النبي ﷺ الجن الذين أرسلهم قومهم ليبحثوا عن خبر منعهم من استراق السمع من السماء ،فهؤلاء قد سمعوا القرآن من النبي في صلاته ، ثم ذهبوا لقومهم يخبرونهم بما سمعوا. أما الاستماع الثاني:فقد كان أمراً من الله تعالى لرسوله بالذهاب إلى الوادي الذي فيه معشر الجن ، لينذرهم بالقرآن ، فذهب ، والتقى بهم هناك .

وخلاصة القول : إن أول من سابق للإيمان بدعوة النبي ﷺ هم أصحابه من الإنس ، وهو مناط التفضيل للآدميين المؤمنين على الجن ، لقوله تعالى:﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ*أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ (الواقعة ١٠-١٢)

---

[١] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ج ٤ ص٢٠٨
(٢) تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ج٤ ص١١٨
(٣) الحجون: بفتح أوله على وزن فعول، موضع بمكة عند المحصب وهو الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة الذي يقال له مسجد الحرس، وهو شعب من شعاب مكة ، انظر معجم ما استعجم لأبي عبيد عبد الله الأندلسي ج ١ ص ٤٢٧
[٤] اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر البوصيري، باب كتاب الأدب،ج٦،ص٢٩٣،ح ٥٨٧٧

رابعاً: تفضيل الآدميين المؤمنين عليهم،بأمر أبيهم إبليس بالسجود لآدم-عليه السلام-

لما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم بعد نفخ الروح في جسده ، كان إبليس في صفوف الملائكة ولم يكن منهم ، ولكن أمر معهم بالسجود له ، فسجدت الملائكة ، ورفض إبليس السجود استكبارا على أمر الله ، وحسدا لآدم، قال تعالى: **﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾** (الكهف ٥٠) ، ولقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله :كان من الجن، فقال بعضهم: إنه كان من قبيلة يقال لهم الجن. وقال آخرون بل كان من خزان الجنة، فنسب إلى الجنة. وقال آخرون: بل قيل من الجن، لأنه من الجن الذين استجنوا عن أعين بني آدم. وقال ابن عباس: كان اسمه قبل المعصية، عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهادا، وأكثرهم علما، وهذا ما دعاه للكبر على أمر الله، وكان من حي يسمى جننا. وفي قول آخر لابن عباس: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة، وكان اسمه الحارث، وكان خازنا من خزان الجنة. وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي.وقال قتادة: هو من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، وقد جنّ عن عبادة ربه. وقال بعضهم: ما كان من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم -عليه السلام - هو أصل الإنس".[1]

والذي يراه الباحث ويرجحه في المسألة، أن إبليس من فصيل الجن، وليس من فصيل الملائكة، لأنه لو كان من الملائكة ما ذكر الله تعالى نسبه في الآية (كان من الجن)، وإنما تقرب لهم، ودخل في صفوفهم، بكثرة عبادته لله تعالى قبل المعصية، وما أمر بالسجود لآدم مع الملائكة، إلا ليبين الله تعالى له فضل آدم عليه، كما بينه للملائكة بالمناظرة العلمية في معرفة الأسماء كلها، مع السجود له، ثم أنه لو كان من الملائكة لما عصا ربه كبقية الملائكة، حيث أنهم مجبولون على الطاعة، وعدم المعصية، لقوله تعالى **﴿ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** (التحريم:٦).

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ج١٥ ص١٦٩ بتصرف

المطلب الثالث: تفضيل الآدميين المؤمنين على الأنعام

لقد فضل الله تعالى المؤمنين على أصحاب العقول،من الملائكة والجن، فمن باب أولى أن يكون الفضل للمؤمنين على الأنعام المسلوبة العقل والتكليف، والتي لا تسير إلا بالغريزة والشهوة، وبيان هذا التفضيل على الأنعام يتلخص فيما يلي :-

أولاً: تفضيل الآدميين المؤمنين عليهم بالهيئة والصورة :

بالنظر إلى صورة الإنسان وهيئته، وصورة الحيوانات وهيئتها، نجد المفارقة الكبرى في الخلق. فالله تعالى جمل الإنسان، وجمل خلقته، وصورته، فقال جل وعلا مبيناً فضله على الإنسان في جمال صورته: **﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار٨).** وبالمقارنة بين صورة الإنسان وهيئته، مع صورة الأنعام وهيئتها، نجد المفارقة في التفضيل بين الجنسين، فشتان بين صورة وجه الإنسان، وبين صورة وجه الحيوان بكل أنواعه، وشتان بين عورة مستورة في الآدمي، الله تعالى أمر بسترها وجوباً، وبين عورة مكشوفة لم تستر إلا بذيل لا يستر، شتان بين هيئة الآدمي يمشي على قدمين، مستقيما ومعتدلَ القامة، وبين هيئة الحيوان الذي يمشي على أربعة أطراف مكباً على وجهه، قال الله تعالى في ذلك:**﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾** (التين ٤).والمعنى أن الإنسان قد يهبط إلى أسفل سافلين، أي إلى مرتبة أدني من مرتبة البهائم، إذا ما انحرف عن الفطرة التي فطره الله عليها، ولم يجمع بين جمال التكوين الطبيعي، والتكوين الروحي،فهو مهيأ لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط، حيث تصبح البهائم أرفع منه، وأقوم لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها في الأرض، بما هديت إليه، بينما هذا المخلوق الذي هو في أحسن تقويم، يجحد نعمة ربه، ويرتكس مع هواه إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه.[1]

ثانياً: تفضيل الآدميين المؤمنين على الأنعام في العقل والتفكير

لقد كرم الله تعالى الآدمي على جنس المخلوقات كلها، ومنها جنس الأنعام، بأن منحه نعمة العقل والتفكير، ليفكر بهذا العقل، ويبدع في أمور حياته. هذه المنحة التي حرمت منها الأنعام والبهائم كلها، فخلقت تعمل بالشهوة والغريزة، لا بالعقل والإدراك. والله تعالى أمر الآدمي أن يسخر هذه المنحة العقلية لطاعته، وعبادته، وهو الهدف الذي من أجله استخلف في الأرض، قال تعالى:**﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ ﴾** (الذاريات٥٦)

---

[1] انظر في ظلال القران ج ٨ ص ٦١٠

والله تعالى جعل هذا التكليف على الآدمي أمانة ثقيلة،عرضها على السماوات والأرض والجبال، وما فيها، فأبت هذه المخلوقات كلها حملها، خوفا من سوء عاقبة حملها، وعدم أدائها، ولكن حملها هذا الآدمي بمحض إرادته، متحملا نتائج حمله لها، قال تعالى:﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السموات وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴾ (الأحزاب٧٢).

لقد اختلف المفسرون في معنى هذه الأمانة على أقوال:-

١- "هي كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي وشأن دين ودنيا، والشرع كله أمانة، وهذا قول الجمهور" [(١)].

٢- "الأمانة الطاعة، والفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده، لقول ابن مسعود: الأمانة أداء الصلوات، وإيتاء الزكاوات، وصوم رمضان، وحج البيت، وصدق الحديث، وقضاء الدين، والعدل في المكيال والميزان، وأشد من هذا كله الودائع."[(٢)]

٣- وزاد بعضهم بعد أن عَدَّدَ أغلب ما سبق أمانة العقل والتفكير.[(٣)]

والذي يراه الباحث، الجمع بين أراء المفسرين في معنى الأمانة التي قبلها الإنسان ورفضها غيره فهي التكاليف، والعقل معا، حيث إن الله تعالى لا يكلف عبدا قد فقد عقله وتفكيره، فالعقل وسلامته، شرط من شروط أي عبادة من العبادات، فلا تكليف إلا بوجود العقل، وهذا إجماع علماء الأمة.

وبين الله تعالى أن الآدمي إذا ضيع الأمانة ولم يسخر العقل والتفكير في طاعة الله، كان في مرتبة أدنى من مرتبة البهائم قال تعالى﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ** ﴾ (الأعراف١٧٩) والمعنى أن الله تعالى بعد أن تكلم عن بعض الأقوام في الآيات السابقة، الذين كذبوا، وعاندوا أنبيائهم، وهم اليهود والمنافقون، أراد الله تعالى بيان حال هؤلاء ، فجعلهم في مرتبة أدنى من مرتبة البهائم والأنعام، فصرح جل وعلا لرسوله أن هؤلاء الذين قصصنا عليك من أخبارهم، أضل من البهائم، وهم الذين ذرأناهم لجهنم بعظمتنا، وكأنه قيل ما لهم رضوا لأنفسهم طريق جهنم؟ .قيل لأن لهم قلوب لا يفقهون بها، الفقه الذي كلفوا به وهو النظر في أدلة التوحيد، وثبوت النبوة، ولهم أعين لا

---

(١)تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن على بن حيان ج٧ ص٢٤٣

(٢)تفسير معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن سعود البغوي ج٦ ص٣٨٠

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٢ ص١٢٧

يبصرون بها الإبصار النافع في أمور الآخرة الباقية،ولهم آذان لا يسمعون بها ما ينفعهم. ثم بين حال هؤلاء في الدنيا حينما سلبت منهم هذه المعاني السامية، من عقل وسمع وبصر، أنهم بعدوا عن معاني الإنسانية، فأصبحوا كالأنعام في عدم الفقه، بل وصلوا إلى حالة أن يكونوا أضل منها، لأن الأنعام تهرب إذا ما سمعت صوتا منكرا، يترتب عليه ضرها وتنتظر ما ينفعها من الماء والمرعى، فتقصده. والأنعام لا قدرة لها على ما يترتب على هذه المدارك من الفقه، وهؤلاء مع قدرتهم على ذلك أهملوه عن رتبتها. كما أن من طلب الكمال وسعى له مع نزاع الشهوات علا على درجة الملائكة بما قاسى من جهاد النفس. وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان جعل في خلقه وسطا بين الملك الذي هو عقل صرف، والحيوان الذي هو شهوة مجردة، فإن غلب عقله كان أعلى بما عالجه من جهاد الشهوات في أحسن تقويم من الملائكة، وإن غلبت عليه شهوته كان أسفل من الحيوان بما أضاع من عقله فكان أسفل سافلين.[١]

ثالثاً: تفضيل الآدميين المؤمنين على الأنعام بتسخيرها وتذليلها لهم

إن من أكبر نعم الله تعالى التي لا تحصى على هذا الآدمي، أن سخر له هذا الكون بما خلق فيه لخدمته وتسيير حياته في الدنيا. ومن أهم المسخرات للآدمي جنس الأنعام التي ذللها له، فهو يقودها كيف يشاء، وأين شاء، قال تعالى﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ ممَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ*وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ*وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ** ﴾ (يس٧١-٧٢-٧٣) والمعنى: أن الله تعالى يُذَّكر الآدميين بهذه النعمة التي ذلل لهم فيها هذه الأنعام، والتي لولا تذليله لها وتسخيرها، ما استطاعوا تملكها، ولا التصرف بها، فلو خلقت هذه الأنعام وحشية ما استطاعوا أن يركبوها، ولا أن ينتفعوا بها، ولذلك أوجب الله تعالى شكر هذه النعمة، قال تعالى ﴿ **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ* وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ** ﴾ (الزخرف ١٣-١٤) ثم إن من نعم تسخير الأنعام للآدميين، أن جعل منها ما يأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، ويلبسون جلودها و أوبارها وأصوافها[٢].

رابعاً: تفضيل الآدميين المؤمنين على الأنعام بالخلود في الآخرة

إن من حكمة الله تعالى في خلق الأرض، أن جعل الله الآدمي فيها خليفة، يقوم بعمارتها، دون أن يخلد فيها. حيث إن الخلود لا يكون إلا في الآخرة، إما خلود نعيم لمن قام بحق الخلافة، والتي أصلها عبادة الله تعالى ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُون**﴾

---

[١] انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ج٣ص١٥٨

[٢] انظر تفسير النسفي ج٤ ص١٣

(الذاريات٥٦)، وإما خلود في النار لمن خالف حقيقة وجوده وخلافته في الأرض. و الله تعالى ما جعل الأنعام مخلدة، في الدنيا ولا في الآخرة، إنما جعلها وسيلة لخدمة المستخلفين في الأرض، وهم الآدميون، ولذلك ليس لها بعد البعث خلود في جنة ولا في نار، إنما يقضي الله تعالى عليها، بعد عدل الحساب فيما بينها، بالفناء التام، قال تعالى﴿ **إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا** ﴾ (النبأ٤٠) والمعنى: أن الله تعالى يجمع الوحوش، والسباع، والأنعام كلها، فيقتص لبعضهم من بعض، وهذا من عدله سبحانه وتعالى بين الخلائق، قال النبي ﷺ [...حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء]،[1] ثم يقول لهم بعد هذا القصاص العادل كونوا ترابا. حينها يتمنى هذا الآدمي الذي خُلِّفَ في الأرض، ولم يعمل بحق خلافته، فكفر وجحد، أن لو كان في الدنيا خنزيراً، حتي يصير في هذا اليوم ترابا، كما صارت الوحوش والسباع والأنعام.[2]

[1] صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ح٢٥٨٢

[1] أنظر تفسير مقاتل لأبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي ج٣ص٤٤٤

المبحث الثاني

تفضيل الآدميين بعضهم على بعض

وفيه ثلاثة مطالب: -

المطلب الأول: تفضيل الآدميين المؤمنين على الكافرين

المطلب الثاني: تفضيل الأنبياء على سائر البشر

المطلب الثالث: تفضيل الأنبياء والرسل بعضهم على بعض

المبحث الثاني

تفضيل الآدميين بعضهم على بعض

وكما أن الله تعالى فاضل بين الآدميين وباقي المخلوقات، فقد فاضل أيضا بين الآدميين فيما بينهم، قال تعالى﴿ **وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ (الزخرف٣٢) .

ولبيان التفاضل بين الآدميين فيما بينهم وضع الباحث لهذا المبحث ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تفضيل المؤمنين من البشر على الكافرين

إن من عدل الله المطلق، أنه ما ساوى بين من آمن بدعوى الرسل، ورسالاتهم، وبين من أنكر وجحد وكفر، قال تعالى ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ*أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ.....** ﴾ (السجدة١٨-٢٠) . فقد فضل الله تعالى المؤمنين على الكافرين في الدنيا والآخرة.

وتتلخص هذه المفاضلة بين المؤمنين والكافرين في الأمور الآتية:-

أولا: تفضيل المؤمنين على الكافرين بالسعادة في الحياة الدنيا

لقد فطر الله تعالى الإنسان على البحث عن السعادة في الدنيا، فكل إنسان يبحث عن السعادة، ولذلك نجد أن أي تصرف يتصرفه الإنسان، تكون غايته فيه تحصيل السعادة. فالذي يبحث عن الحب، يحب لأجل تحصيل السعادة، والذي يبحث عن امرأة حسناء، يتزوجها لأجل تحصيل السعادة، والذي يدرس، يكد لينجح ويحصل الشهادة، فالغاية تحصيل السعادة، فكل تصرفات الإنسان في الدنيا مبنية على غاية هي تحصيل السعادة.

ولكن هل سعادة الدنيا هي السعادة الحقيقة؟ إن السعادة الحقيقية للإنسان في الدنيا لا تتحقق بكثرة المال، ولا بعلو الدرجات، ولا بتحصيل الشهادات، ولا بنكاح النساء، وكثرة العيال، إنما السعادة الحقيقية تحقق عند الإنسان بمدى علاقته مع ربه، والتزامه بدينه، والسير على نهج نبيه، وأما من قطع هذه العلاقة مع ربه، فإن له الشقاوة بدلا من السعادة، قال تعالى ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ (طه١٢٤) والمعنى: أن من ذَكَّرَهُ الله تعالى، فتولى عن ذكره ولم يقبله، ولم يستجب له، ولم يتعظ، سيكون له هذا المقام، وهو مقام الضنك في المعيشة الضيقة، في المنازل والأماكن والمعايش.

قال ابن عباس في تفسير الضنك: " هو الشقاء " الذي عكس السعادة، وقال مجاهد[١]: الضنك هو الضيق في الحياة.[٢]

وقد اختلف العلماء في مكان هذا العيش الضنك، فمنهم من قال في الدنيا، ومنهم من قال في القبر، ومنهم من قال في الآخرة في جهنم. قال قتادة[٣] في تفسيرها: هم أهل الكفر في النار، وقال آخرون: هم أهل الحرام في الدنيا، وصف الله معيشتهم بالضنك، وقال أبو سعيد الخدري: المعيشة الضنك هي عذاب القبر، يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.[٤]

والذي يراه الباحث أن هذه المعيشة الضنك، هي في الدنيا وفي القبر، وليست في الآخرة، لقوله تعالى:(وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)، فكانت المقدمة الضنك في الدنيا، ثم العمى في الآخرة.

إن علاقة الالتزام والارتباط بين الإنسان مع ربه، تحقق محبة الله تعالى للإنسان، والتي هي أعظم وأكثر سعادة، يحققها الإنسان في الدنيا، والتي تؤدي إلى سعادة دائمة في الآخرة، وبهذا قال تعالى في الحديث القدسي:[ما زال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه][٥].

وتحصيل محبة الله تعالى، هي علامة من علامات قبول الله للعبد، كما روي في الحديث [إذا أحب الله العبد دعا جبريل: إن الله يحب فلان فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض] [٦].

وخلاصة القول في هذه المسألة: أن المؤمن الذي وفق لطاعة الله وعبادته، المنعم عليه بمحبته، المغمور بسعادة الدنيا والآخرة بهدايته له، قد فضل على الكافر المنكر الجاحد لنعم الله تعالى، المعرض عن طاعته، المحروم من محبته، الشقي في حياته وآخرته.

---

(١) ترجمة: هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي الأسود، تابعي كبير مولى السائب بن أبي السائب، شيخ القراء والمفسرين، أخذ القرآن والفقه والتفسير عن ابن عباس

(٢) انظر جامع البيان في تأويل القرآن ج١٦ص ١٦٥

(٣) ترجمة: هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين، وهو تابعي كبير ولد سنة ٦٠هـ

(٤) انظر المرجع السابق ج١٦ص ١٦٥

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ح٦٥٠٢

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ح٣٢٠٩ ، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده، ح٢٦٣٧

ثانياً: تفضيل المؤمنين على الكافرين بالاستقامة في الأخلاق وحسن العقل والتفكير

إن من نعمة الله تعالى على الإنسان، أن منحه نعمة العقل والتفكير، الذي بهما يهتدي إلى السلوك القويم، والأخلاق الحميدة. المؤمن اهتدى لطريق الإيمان وعمل بهذه النعمة، ووضعها في مكانها الصحيح، فاهتدى بها، ورَشَّد سلوكه، وحافظ على أخلاقه. أما الكافر فقد ضل الطريق، وعطل هذه النعمة التي وهبها الله تعالى له، وهي نعمة العقل والتفكير، وبتعطيلها عَطَّل سلوكه وأخلاقه، فأصبح كالبهائم، بل هو أضل، قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وكِيلاً* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (الفرقان ٤٣-٤٤).

ومن مظاهر المؤمنين الذين استقاموا على دين الله تعالى، على الكافرين الذين انحرفوا عنه، إن الله تعالى وعد المؤمنين بأفضل مكان في الآخرة وهي الجنة، وتوعد الكافرين المنحرفين بأخبث مكان في النار، قال تعالى: **﴿ إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾** (محمد١٢).

ثم إن الله تعالى بشر الذين استقاموا على دينه واهتدوا، بالبشارة السارة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾** (فصلت٣٠-٣١). والمعنى : قال عمر ﷺ: الاستقامة هي أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان ﷺ : هم الذين اخلصوا العمل لله تعالى، وقال الحسن[1] ﷺ :هم الذين استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته. أما قوله تعالى :(تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباسﷺ: عند الموت، وقال قتادة عند البعث من القبور. وقوله تعالى: (ألا تخافوا ولا تحزنوا) قال مجاهد: ألا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله، وقوله تعالى: (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) قال وكيع ابن الجراح: البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث.[2]

---

(١)ترجمة: هو الحسن بن محمد بن الحنيفية الهاشمي الإمام، وجده علي بن أبي طالب، وهو من كبار التابعين، حدث عن ابن عباس وكبار الصحابة.

(٢)انظر معالم التنزيل، ج٤ ص٢٠٣

إذاً الاستقامة كما عرفها علماء التفسير، ليست مظهرا خاليا من المعاني، ولا كلاماً بدون مضمون، ولا تنحصر في أمر معين من أمور الحياة، بل هي حقيقة تُتَرجم على أرض الواقع، فهي شعور في الضمير، وسلوك في الحياة، وصبر على التكليف، وخلق بين الناس، أمرها كبير وعسير، لا يقدر عليه إلا أهل الإيمان، وتهبط عنه عزيمة أهل الكفر.

ثم إن أهل الإيمان يستحقون عند الله هذا الإنعام الكبير، من صحبة الملائكة وولائهم، ومودتهم، ويستحقون أن يقولوا لهم ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي وعدتم من الله، نحن أولياؤكم في الدنيا والآخرة، وها هي الجنة التي أنتم سائرون إليها، فيها ما تشتهي أنفسكم وتلذ بها أعينكم، حصّلتموها بمغفرة الله ورحمته.[1]

ثالثاً: تفضيل المؤمنين على الكافرين في سكرات الموت وفي القبور: -

إن الموت من أشد المصائب الواقعة على الإنسان، كما سماها القرآن الكريم مصيبة الموت، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ** ﴾ (المائدة١٠٦)

وإن من أعظم مقدمات هذه المصيبة، وأشدها، سكراتها، قالت عائشة وهي تصف ساعة احتضار النبيﷺ [فجعل يدخل يديه في الماء يمسح بهما وجهه ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات][2]، وقد أخبر القران الكريم عن السكرات حال الاحتضار فقال :﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾ (ق١٩) وفي هذه السكرات، يختلف حال المؤمنين عن حال الكافرين في شدتها وصعوبة خروج الروح فيها، فالقرآن يصف لنا حال الكافرين في سكرات الموت وهي تُنزع أرواحهم من أجسادهم نزعا شديداً، وكأنها الصوف الذي ألقي في غصن شوك، ثم ينزع الصوف من الشوك، فقال تعالى:﴿ **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا** ﴾ (النازعات١) وصور حال المؤمنين وأرواحهم تنشط من أجسادهم بسهولة، وكأنها الماء يُسال من فم السقاء، فقال تعالى: ﴿ **وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا** ﴾ (النازعات٢). وأيضا وصف حال المؤمنين في هذا الموقف العصيب في معالجة سكرات الموت، حيث يُثبت المؤمنون على إيمانهم، فتهرع إليهم الملائكة، لتلقينهم كلمة التوحيد، أما الكافرين فتهرع إليهم الشياطين، لتثبتهم على الكفر، وتصرفهم عن التوحيد، قال تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ**

---

[1] انظر في ظلال القرآن ج٧ ص٢٣٩

[2] صحيح البخاري ، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت ح٦٥١٠

اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء ﴾ (إبراهيم٢٧) والمعنى: إن الله تعالى يثبت المؤمنين الذين ثبتوا على كلمة التوحيد في الدنيا، حتى إذا ما تعرضوا للفتن، لا تُزغ قلوبهم وألسنتهم عنها، كما ثبت أصحاب الأخدود عليها عندما تعرضوا لفتنة الإلقاء في النار مقابل التخلي عنها، فرضوا بنار الأخدود مقابل أن يثبتوا على كلمة التوحيد.

أما في الآخرة: فالجمهور على أن التثبيت يكون في القبر، وذلك بتلقين الجواب الصحيح عند سؤال الملكين، عندما يسألانه، من ربك، وما دينك، ومن نبيك، فيلقن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي. فأما الظالمون، والكافرون فلا يثبتهم الله تعالى في مواطن الفتن، فتزل أقدامهم وهم في الدنيا، وفي الآخرة هم أزل، فلا ثبات عند سؤال الملكين، إنما يجيبون لا ندري لا ندري، فيقال لأحدهم: لا علمت ولا دريت[١].

ولقد صور النبي ﷺ أحوال المؤمنين وأحوال الكافرين، عند خروج الروح، في الدنيا، وعند دخول القبر في الآخرة، في حديث رواه البراء بن عازب، قال [خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولم يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكث في الأرض، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر،مرتين أو ثلاثاً. ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة،حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول أيتها النفس الطيبة، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانه، قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فم السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين،حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك، وجدت على وجه الأرض،فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت،

---

[١]انظر تفسير الكشاف ج٢ ص٥٣٨

فينادي مناد من السماء، أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا لــه باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. ويأتيــه رجــل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول ربي أقــم الــساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال مــن الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، ويجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، أخرجي إلى سخط مــن الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود[1] مــن الــصوف المبلــول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في ذلك المسوخ، فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بهــا علــى مــلأ مــن الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التــي كــانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ رســول الله ﷺ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّــةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ** ﴾ (الأعراف:٤٠).فيقول الله اكتبوا كتابه في سجيل، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ:﴿ **حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُــشْرِكِينَ بِــهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾(الحج:٣٠). فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه ويقولان له:من ربك؟ فيقول:هــاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له ما هذا الــذي بعــث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء، أن كذب، فافرشوه من النار، وافتحوا له باب إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيــه أضــلعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، نتن الريح، فيقول:أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الــذي كنت توعد. فيقول: من أنت فوجهك يجئ بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول ربي لا تقــم الساعة] [2]

ومما يدل على عذاب القبور في حق الكفار قوله تعالى في حق آل فرعون﴿ **النَّارُ يُعْرَضُــونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ**﴾ (غافر٤٦).

---

[1] السفود: الشوك

[2] سنن أبي داوود، كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر ح ٤٧٥٣ صححه الألباني

رابعاً: تفضيل المؤمنين على الكافرين عند البعث والحشر

بعد الانتهاء من حياة البرزخ وبعد النفخة الأولى، التي يصعق بها الخلائق جميعها، حتى الملائكة، ومعهم ملك الموت، حيث يقبض روحه بيده، بعدها تنفخ النفخة الثانية التي بها تنشق الأرض عما في بطنها، قال تعالى **﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ*وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾** (**الانشقاق٣-٤**) ويكون البعث على حالتين: بعث فيه الأمن، وعدم الخوف، والحزن من الفزع الأكبر، وهو للمؤمنين، قال تعالى**﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾** (الأنبياء١٠٣). وبعث فيه الذلة والانكسار من هول المطلع، قال تعالى:
﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (**المعارج٤٣-٤٤**).

فكل إنسان يبعث على الحالة التي مات عليها، فمن مات على طاعة بعث عليها، ومن مات على معصية بعث عليها، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حجة الوداع، عندما سقط رجل عن ناقته وهو يطوف حول الكعبة، فمات، فقال النبيﷺ لأصحابه: [غسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبب] [1]. وكذلك في الحشر، يتفاضل المؤمنون على الكافرين، حيث يحشر الخلائق كلها على حالة واحدة، لا تختلف، فيكونوا حفاة عراة غرلاً، كما ورد في الحديث الصحيح قالﷺ:[تحشرون حفاة عراه غرلاً، فقالت عائشة: قلت يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك] [2] .ويكون التفاضل والتمايز، في كيفية الحشر والسوق إلى الله تعالى، قال تعالى**﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا* وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾**(مريم٨٥-٨٦). في هذه الآية تشخيص لحشر جماعتين من البشر، كل جماعة تحشر على حالها التي ماتت عليه، فالتي ماتت على الإيمان، تحشر في حالة يرضى الله تعالى عنها، ويستقبلها بالرضى، وكل فرد من هذه الجماعة على حالة تختلف عن غيره في نفس الجماعة، وذلك على حسب إيمانه. ولقد قرأ علي ﷺ هذه الآية وقال: والله ما يحشرون على أرجلهم ولا يساقون سوقا، ولكنهم يُؤتون بنوق من نوق الجنة، لم تنظر الخلائق كمثلها، عليها رحال من الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يطرقون باب الجنة[3].

---

(١) صحيح البخاري-كتاب الجنائز باب الكفن في ثوبين ح ١٢٦٥

(٢)صحيح البخاري – كتاب الرقائق باب كيف الحشر ح٦٥٢٧

(٣) أنظر الدر المنثور في التأويل بالمأثور للسيوطي– ج ٥ ص٥٢٩

أما حال أهل الكفر، فإنهم يحشرون على وجـوههم عميــاً، يتخبطــون مــن العمــى، قــال تعالى﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِه وَنَحْـشُرُهُمْ يَــوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾(الإسراء٩٧).

أي أنهم يحشرون على حالة أضل من حالة البهائم، فهي تمشي على أرجلها الأربــع، أما هم فيمشون على وجوههم، التي تكبرت عن السجود لله في الدنيا، والله تكفل بــذلها فــي أرض المحشر، عند البعث، فيسجدها رغم أنفها، ويسيرها في أرض المحشر عليها إذلالاً لها بين الخلائق، لأنها ما تذللت لله تعالى في الدنيا. وقد تعجب أصحاب النبيﷺ من حــال هــذا الحشر، فقالوا: [يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الــذي أمــشاه علــى الرجلين في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟][١]

أما تفاضلهم في أرض المحشر، فأهل الإيمان يحــشرون مــستظلين تحــت عــرش الرحمن، يُجنبون حر شمس المحشر، والتي فوق رؤوســهم مقــدار ميــل، كمــا روي فــي الحديث[سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.........][٢]وهؤلاء هم أهل الإيمان.

أما أهل الكفر، فلا ظل لهم ولا رحمة من حر شمس هذا اليوم، حتى يلجمهم العرق بأعمالهم، ويطول عليهم هذا اليوم بخمسين ألف سنة من أيام الدنيا قال تعالى:﴿تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالــرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج٤)، قال ابن عباس في تفسيرها: هو يوم القيامة في طول ذلك العدد في شدته، وهوله على أهل الكفر. وقال عكرمة: هو مقــدار مــا يُقضى فيه من الحساب، قدر ما يُقضى بالعدل في خمسين ألف سنة من أيام الــدنيا. وقيــل لا يراد حقيقة العدد إنما أُريد به طول الموقف يوم القيامة وما فيه من الشدائد.[٣] وأمــا المــؤمن فعليه كما بين صلاتي الظهر والعصر، كما ورد في الحديث عن النبيﷺ أنــه قــال: [يــوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر].[٤]

خامساً: تفضيل المؤمنين على الكافرين عند الحساب

وكما فضل المؤمنون على الكافرين في قبورهم، وفي بعــثهم، وحــشرهم، فهنــاك تفاضل بينهم في وقوفهم بين يدي الله تعالى للحساب، فإن المــؤمنين يــأتون ربهــم وكتــبهم بأيمانهم، فيحاسبهم الله بها حسابا يسيرا، وتكون النتيجة معروفة، وهي الانقلاب إلــى الأهــل

---

(١) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى: الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ح ٤٧٦٠

(٢) صحيح البخاري كتاب الآذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ح٦٦٠

(٣)أنظر الجامع لأحكام القرآن ج١٨ص٢٨٢

(٤) روه الحاكم في مستدركه ، ج١ ص١٥٨، ح ٢٨٤، صحيح الإسناد على شرط الشيخين

بحالة السرور والفرح، قال تعالى ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا* وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا** ﴾ (الانشقاق٧-٩)، وأما الكافر فيأتي ربه جل وعلا وكتابه بشماله، من وراء ظهره، فيحاسب الحساب العسير، ويدعو على نفسه بالويل والثبور، قال تعالى:﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ* فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا* وَيَصْلَى سَعِيرًا** ﴾ (الانشقاق-١٠-١٢)، والمعنى في قوله: (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) هو أن تعرض عليه سيئاته، ثم يغفرها الله له، ورد في الحديث الصحيح من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ [من نوقش الحساب هلك، فقلت يا رسول الله، فإن الله يقول: فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال: ذلك العرض] [١].

أما قول (وينقلب إلى أهله مسرورا) يعني في الجنة من الحور العين وزوجات الدنيا،والسرور، وما أوتي من الكرامة. وقوله:(وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) قال المفسرون: تغل يده اليمنى إلى عنقه، وتجعل يده اليسرى وراء ظهره. يقول:يا ويلاه يا ثبوراه، وهذا يقوله من وقع في هلكه، وقوله: (إنه كان في أهله مسرورا) يعني في الدنيا، مسرورا باتباع هواه، وركوب شهواته.[٢]

في قوله: (ويصلى سعيرا)قراءتان، قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي،(ويُصلّى) بضم الياء وتشديد اللام، وقرأ عاصم، وأبو عمرو، (ويَصلى) بفتح الياء الخفيفة.[٣]

الجمع بين القراءتين: (يَصلى) بفتح الياء، يعني أنه يذهب بقدميه إلى جهنم، وهو يدعوا على نفسه بالويل والثبور، أما القراءة الثانية بالضم والتشديد، فتدل على شدة الزجر وأخذه بعنف على يدي الملائكة حتى يلقوه في جهنم، إلقاء فيه الذلة والتوبيخ، والشدة.

وهناك حالة أخرى لأهل الإيمان بعد انقضاء الحساب ينطلق المؤمن في أرض المحشر ينادي بين الخلائق، فرحا مسرورا، هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه، فيغبطه أهل المحشر، ويتمنون صحبته إلى الجنة قال تعالى:﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ** ﴾ (الحاقة١٩-٢٠)[٤] وأما الكافر، فينطلق في أرض المحشر وهو يقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه، فيلعنه أهل المحشر، جميعهم وهم يقولون: اللهم لا تجمعنا معه.قال تعالى:﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ**

---

(١) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقاق والورع عن رسول الله ، باب ما جاء في نضح بول الغلام ح ٢٤٢٦ صححه الألباني

(٢) انظر تفسير زاد المسير، لابن الجوزي ج٩ ص٦٤

(٣)انظر المرجع السابق ج٩ ص٦٥

(٤)انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٤١٥

كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ (الحاقة٢٥-٢٩).

سادساً: تفضيل المؤمنين على الكافرين في دخول الجنة والنار

وكذلك يتمايز المؤمنون على الكافرين يوم القيامة بعد انتهاء الحساب، في إرسالهم إلى أماكنهم في الجنة أو النار، فيرسل المؤمنون إلى الجنة، زمرا وجماعات، تحفهم الملائكة من كل جانب، تبارك لهم هذا الإرسال الكريم. ويدعُّ الكفار إلى النار زمرا وجماعات، تسوقهم الملائكة سوق البهائم، تلعنهم وتوبخهم بهذا الإرسال الخبيث، قال تعالى﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾** (الزمر٧١-٧٢).

تبين الآيات حال أهل الكفر، حيث يساقون إلى أبواب جهنم سوقا عنيفا، فيه التوبيخ والتبكيت، أفواجا وجماعات، بعضهم على إثر بعض، كل أمة على حدة، حتى إذا وصلوا إلى أبوابها، فتحت الأبواب السبعة، التي كانت مغلقة قبل أن يدخلوها، وهي أبواب الدركات السبع للنار، فتقول لهم خزنة جهنم، حين دخولهم فيها، قولا فيه التوبيخ والتقريع (ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم) وهذا جنس استقبال مهين لهم فقولهم: منكم، أي من جنس الإنس حتى لا تكون لهم حجة على الله، فيكون الرد من الكفار،الاعتراف بالذنب، يوم لا ينفع هذا الاعتراف والندم، فيأتيهم الجواب على هذا الاعتراف والإقرار منهم ، أن ادخلوا أبواب جهنم التي أعدت لكم، فبئس ما رضيتم لأنفسكم من مسكن ومضجع.[١]

وأما حال المؤمنين في سوقهم إلى الجنة، قال تعالى:﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾**(الزمر٧٣) شتان بين سوق فيه التوبيخ قال فيه تعالى(بئس مثوى المتكبرين)، وسوق فيه الترحيب قال فيه تعالى: (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) .

لقد عبر الله تعالى عن أخذ الفريقين للجنة أو النار، بلفظ السوق، فما الفرق بينهما؟.
فالجواب: إن المراد بسوق أهل النار، طردهم إلى العذاب بالعنف والشدة، كما يفعل بالأسير، إذا سيق إلى حبسه أو قتله. أما المراد بسوق أهل الجنة،وهو سوق مراكبهم التي تنقلهم من أرض المحشر، إلى باب الجنان، وهذا فيه تكريم وتشريف لهم بإسراعهم إلى دار الكرامة،

---

[١]انظر تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن أبو الحسن على بن محمد بن إبراهيم البغدادي ج٦ ص٨٥

والمقامة والرضوان، فالمؤمنون إذا ما جاءوا أبواب الجنة، ووصلوا إليها، وجـدوها مفتحـة جاهزة لدخولهم فيها، وهذا معنى التعبير بالواو، في قوله(وفتحت) دلالة على أنهم وجـدوها مفتحة، جاهزة لاستقبالهم، لإدخال السرور إلى أنفسهم عند رؤيتها مفتحة، بخلاف أهل النار، عندما يصلوا إلى أبواب جهنم، فيجدوها مغلقة، وهذا فيه الإذلال والإهانة لهم، وشدة العـذاب لهم حينما تفتح فجأة في وجوههم، وقيل إن الواو دلالة على أن أبواب الجنة ثمانيـة، وهـي أكثر من أبواب النار السبعة، فالعرب تعطف بالواو فيمـا فـوق الـسبعة، فيقولـون:سـبعة وثمانية[١] ومن التفاضل والتمايز بين المؤمنين والكفار، في دخول الجنة والنـار، أن عـصاة المؤمنين الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم، وقضي بهم إلى جهنم، يأخذون عقوبـة معينـة فيها، ولمدة محدودة، تختلف عن عقوبة أهل الكفر، حيث يدخلون في الدرك الأعلى من النار والتي تسمى جهنم، حيث لا خلود فيها أبدا، والعذاب فيه أخف بكثير عن عذاب باقي الدركات السفلى، فتراعى العبادات والطاعات، التي أداها ذلك العاصي، كما قالﷺ في الحديث:[منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخـذه النـار إلـى حجزيه ،ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته] [٢]

المطلب الثاني: تفضيل الأنبياء على سائر البشر

لما استخلف الله تعالى الآدمي في الأرض، جعل لهذا الاسـتخلاف عوامـل بقـاء، تسيره بين الناس، ومن أهم هذه العوامل، إرسال الرسل والأنبياء لتعريف النـاس علـى الله تعالى، والله تعالى اصطفى الأنبياء من جنس الناس أنفسهم لتبليغ رسالته لهم، قـال تعـالى: ﴿**اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ (الحج٧٥). ومـن طبيعـة المُرسَل أن يكون أفضل من المُرسَل إليه، حتى يستطيع أن يؤثر فيهم، وليكون أهـلا لحمـل الرسالة.

ومن أهم خصال التفضيل بين الأنبياء والبشر، ما يلي:-

أولاً: تفضيل الأنبياء على البشر بقوة الإيمان والاصطفاء

إن رابطة الإيمان هي أقوى رابطة بين الله تعالى وعباده، والله تعالى يصطفي لهذه الرابطة من يحب من عباده، وهذه المحبة لا تُحقق بين العبد وربه إلا بكثرة الطاعة والعبادة،

---

[١] انظر تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل ج ٦ ص٨٥

[٢] صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها ح٢٨٥٤

قال تعالى في الحديث القدسي [ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه......] [١]. فالاصطفاء للأنبياء من الله تعالى، ارتضاء واختيار، يتحقق بالعبودية لله تعالى، فكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية، علت درجته عند ربه، واستحق أن يُشَرَّف بلقب العبد الذي هو من أشرف المقامات، ولذلك ما حققه الأنبياء من لقب العبودية الحقَّه، هو نتاج كمال تحقيق الطاعة لله تعالى، وهي مُحَصلِة الإيمان، الذي عجز عن تحقيقه بهذا الشكل باقي البشر.[٢]

والإيمان عند الأنبياء يختلف في قوته وصلابته عن الإيمان عند البشر، حيث إن الإيمان، درجات ومراتب، والأنبياء هم أعلاها مرتبة، والنبي ﷺ جعل مراتب الدين ثلاثة، أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليها الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسنا، ولا كل مسلم مؤمنا. [٣] والأنبياء بلغوا أعلى مراتب الدين وهو الإحسان، فما من نبي إلا كان محسنا، بعكس البشر، فما نال هذه الدرجة والمرتبة منهم إلا القلة القليلة، وبدرجة لا تتكافأ مع إحسان الأنبياء، الذي أوصلهم إلى درجة النبوة، والرسالة.

ثانياً: تفضيل الأنبياء على البشر بتأييدهم بالمعجزات

إن من سنة الله تعالى في بعث الأنبياء والرسل، أن جعل لكل نبي أو رسول معجزة، دالة على صدق نبوته، أو رسالته، قال تعالى:**﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** (الروم٤٧). أي بالمعجزات، والحجج النيرات الدالة على صدق رسالتهم ونبوتهم.[٤]

والمعجزة لغةً: هي من العجز، أي نقيض القدرة والحزم، فيقال عجز عن الأمر عجزاً فهو غير قادر على فعله، أي فهو عاجز.[٥]

المعجزة اصطلاحا: هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله أو هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه.[٦]

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح٦٥٠٢

[٢] انظر العقيدة الطحاوية ص١٤٩

[٣] انظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص٦

[٤] انظر فتح القدير ج٤- ص٢٧٦

[٥] انظر تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي ج١٥ ص٢٠٠

[٦] مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ص ٧٣

والله تعالى أيد بعض البشر بالكرامات، التي تختلف في خصائصها عن المعجـزات، فالمعجزة هي للأنبياء فقط، أما الكرامة فهي للبشر عامة. ولا يجوز للنبي أن يخفي المعجـزة لأنها مصدقة لنبوته، أما الكرامة فلا يجوز لصاحبها أن يظهرها إلا للضرورة، حتى لا تُدخل الرياء في نفسه. والمعجزة يُتحدى بها بعكس الكرامة التي لا يجوز التحدي بها.

ولقد تحدى كل نبي قومه بأن يأتوا بمثل معجزته، فما استطاع أحد منهم ذلك ، فموسى -عليـه السلام- تحدى فرعون وقومه بمعجزة العصا، وردوا عليه بحبـال السحر، فكـان الغلبـة للمعجزة على السحر، قال تعالى:**﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى* قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى* فَأَوْجَسَ فِـي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى* وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَـا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى* فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾** (طه:٦٥-٧٠).

والمعنى: أن السحرة قالوا لموسى: إما أن تُلقي عصاك التي جئت بها متحديا، أو نكـون أول من يلقي، والمراد هنا هو إلقاء العصا على الأرض، فكان رد موسى-عليه السلام- أن أمرهم بالإلقاء أولاً لتكون معجزته أظهر على سحرهم، فبعد أن ألقوا وتخيل سحرهم أنه حقيقة وذلك أنهم لطخوا حبالهم وعصيهم بماء الزئبق، ثم عرضوها لحرارة الشمس الشديدة، مما جعلهـا تهتز وتتحرك، فوقع الخوف في قلب موسى، والذي هو من طبيعة البشر، حتـى حـاول أن يفر من أرض المبارزة، لولا أن ناداه ربه، بأنه هو الأعلى وأمره بإلقاء عـصاة المعجـزة، فكان النصر للمعجزة على السحر. وخرت السحرة سجداً لله تعالى معترفين بنبـوة موسـى- عليه السلام- وزيف سحرهم، وتحملوا بذلك تهديد فرعون وبطشه لهم مقابل مغفرة الله لهـم على ذنوبهم وكفرهم.[1]

ولقد حاولت قريش تحدي رسول الله ﷺ لمعجزة القرآن، التي جاءهم بها محمد ﷺ والتي قال عنها رب العالمين**﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآَنِ لَا يَـأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾** (الإسراء:٨٨)، معتمدين على فـصاحة ألـسنتهم وقـوة بلاغتهم وبيانهم، فكانت النتيجة الفشل والهزيمة، والاعتراف بعدم القدرة على الإتيان بمثلـه، وذلك لما أهم قريشا أمر هذه الدعوة ، وعند اقتراب موسم الحج اجتمعت قريش ليقولوا قـولاً واحداً في شأن محمدﷺ لوفود العرب الوافدة لبيت الله الحرام، فقال لهم الوليد بـن المغيـرة: أجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيُكذب بعضكم بعضا، قالوا: فأنت فقل، وأقم لنا رأياً نقول

[1] انظر فتح القدير ج٣ ص ٤٧٠

به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، فقالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله ما هو بكـاهن، لقـد رأينـا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ماهو بمجنـون، لقـد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخلقه، ولا وسوسته. قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفـثهم ولا عقـدهم، قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أصله لعذق، وإن فرعـه لمُثمر، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطـل، فعيـره بذلك أبو جهل فقال له: لا أراك إلا أنك قد صبأت، وأظهر له انزعاجه مما قال في القـرآن، فلما رأى الوليد ذلك في وجه أبي جهل، قال له: أمهلني أفكر في الأمر، ففكر وقدر ثم جـاء لهم بغير ما اعترف بحقيقة القرآن، فقال: لا أرى إلا أن نقول إن هذا إلا سحر يؤثر، فنـزل فيه قوله تعالى ﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ* فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ* ثُمَّ نَظَـرَ* ثُـمَّ عَـبَسَ وَبَسَرَ* ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ* فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ* إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ البَـشَرِ* سَأُصْـلِيهِ سَقَرَ**﴾ (المدثر:١٨-٢٦). [1]

ثالثاً: تفضيل الأنبياء على البشر بالصدق والحكمة ورجاحة العقل

لقد كان الأنبياء من أصدق أقوامهم لساناً وأرجحهم عقلاً وأكثرهم حكمة، والله تعـالى بين هذه الخصال الحميدة، فيهم في آيات عدة، قال تعالى﴿ **وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَـانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾(مـريم:٥١) وقال تعالى﴿ **وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـاهُ مِـنَ القَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ** ﴾ (الأنبياء:٧٤). وقال تعالى في وصف رسول الله ﷺ ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم:٤) . و جمع لـه أفـضل الخـصال الحميدة التي اتصف بها جميع الأنبياء والمرسلين.

ولقد ظهرت رجاحة عقول الأنبياء على أقوامهم، من خلال مخاطبتهم لهم، فهـذا إبـراهيم- عليه السلام- يخاطب قومه ويحاورهم في عبادة الأصنام، بعد أن قام بتحطيمها، لما أعرضوا عن دعوته، حتى اعترفوا من خلال هذا الحوار، بتفاهة عقـولهم وضـلالها، قـال تعـالى ﴿ **فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ* قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَـا إِنَّـهُ لَمِـنَ الظَّالِمِينَ* قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ* قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ*قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـذَا فَاسْـأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ*فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾(الأنبياء:٥٨-٦٤).

---

[1] انظر الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ص١٠٠-١٠١

والمعنى: لما حطم إبراهيم-عليه السلام- أصنامهم التي عكفوا على عبادتها، أقاموا له محكمة علنية على رؤوس الأشهاد، أرادوا بها التشهير في شخصه أمام أعين الناس، فوجهوا له السؤال، ليقيموا عليه الحجة، فقالوا(أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) ، فنظر إليهم بعقلة المفتوح، وقلبه الواصل بربه، فلم يجد إلا أن يسخر منهم، ويجيبهم بإجابة متناسبة مع انحطاط عقولهم، وتفاهتها، فقال لهم(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)، فكان التهكم من إبراهيم –عليه السلام- واضح في الإجابة، ولا داعي لتسميتها كذبة، كما ادعى البعض، فكأنه يقول لهم إن آلهتكم لا تدري من حطمها، أنا أم كبيرهم هذا، ولذلك فسألوهم إن كانوا ينطقون ويجيبون، فهذا الحوار العقلي الساخر من عقولهم، قد هزهم هزاً، حتى ردهم إلي شيء من التدبر والتعقل، والتفكير، فقالوا لبعضهم البعض:(إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ)، إن هذا الاعتراف كان بادرة خير لو استثمروها، حيث اعترفوا بظلمهم، وتفاهة عقولهم بهذه العبادة لأصنام لا تنطق ولا تعقل، ولا تنصر نفسها، ولكن الكبر والعناد، أعاد قلوبهم إلى الكفر والجحود، وبطر الحق، فقالوا له : (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون). إن الأولى كانت رجعة للنفوس، والثانية نكسة على الرؤوس، فكان رده على هذه النكسة، ردا فيه العنف والتبكيت **﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾** (الأنبياء:٦٧). إن انتكاسهم هذا أخرجه عن صبره وهو الصبور الحليم، حيث أخذتهم العزة بالإثم، كما تأخذ الطغاة في كل زمان أمام غلبة الحجة عليهم، وحين فقدهم الحجة على ألسنتهم، فيلجأون إلى القوة الظالمة، فحينها قالوا: **﴿ حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾** (الأنبياء:٦٨).[١]

ولقد ظهرت حكمة رسولنا ﷺ ورجاحة عقله في إدارة الأمور بين أصحابه فضلا عن محاورة أعدائه، مثال ذلك ما روي أنه: [قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ : دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين][٢].

وجاء فتى شابٌ إلى النبي ﷺ فقال : [يا رسول الله ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه، فقال: أدنه فدنا منه قريبا فجلس قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك،

---

[١] انظر في ظلال القرآن ج٥ص ٥٤٦-٥٤٧

[٢] صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الوضوء على البول في المسجد، ح٢٢٠

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبــه، وحــصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء] [1].

رابعاً: تفضيل الأنبياء على البشر بالعصمة .

إن من فضل الأنبياء على البشر، أن عصمهم عما ينافي مقتــضى المعجــزة، كالكــذب فــي التبليغ، والكفر،وتعمد الكبائر والصغائر، لأن وقوعهم فيها لزم الناس عدم إتباعهم،وأن تــرد عليهم شهاداتهم، ووجب زجرهم، واستحقاق العذاب والذنب عليهم، وعدم نيلهم عهد النبــوة، ولا يكونوا من المخلصين ولا من المسارعين في الخيرات، وغير معدودين من المــصطفين الأخيار، فالمعجزة تقتضي الصدق في دعوى النبوة، وما يتعلق بها مــن التبليــغ، وشــرعية الأحكام. والجمهور على وجوب عصمتهم، عما يتنافى مقتضى المعجزة.[2]

وإن عدم العصمة لهم يتنافى مع وصف الله لهم في آيات كثيــرة، بــأنهم مــن المــصطفين الأخيار، فإن الاصطفاء يتناول جميع الأفعال والتروك، فثبت أنهم كــانوا أخيــارا فــي كــل الأمور، وهذا ينافي صدور الذنب عنهم.[3]

أما ما وقع منهم في بعض الحوادث التي أنزل الله تعالى بها قرآنا يعالجها، فهــي تقــع فــي مسمى خلاف الأولى، حيث كان النبيﷺ يفعل الفعل يرى أنه هو الأولــى لخدمــة الــدعوة، فينزل التوجيه بالعدول عن هذا الفعل، لفعل آخر أفضل منه، ومثال ذلك قوله تعالى **﴿عَــبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَــهُ الــذِّكْرَى* أَمَّــا مَــنِ اسْتَغْنَى* فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى* وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى* وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى* وَهُوَ يَخْشَى* فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾**(عبس:١-١٠).

كان النبيﷺمشغولاً بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام حينما جــاءه ابــن أم مكتوم الرجل الأعمى الفقير، وهو لا يعلم أنه مشغول بأمر القوم يطلب منه أن يعلمــه ممــا علمه الله ، فكره رسول الله ﷺهذا وعبس وجهه وأعرض عنه ، فنزل القرآن يعاتب الرسول ﷺعتاباً شديداً؛ ويقرر حقيقة القيم في حياة الجماعة المسلمة في أسلوب قــوي حاســم ، كمــا يقرر حقيقة هذه الدعوة وطبيعتها.

---

[1] مسند الإمام أحمد باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، ح٢١٧٠٨ صححه شعيب الأرناؤط.

[2] انظر شرح المقاصد للعلامة مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بالنفتازاني ج٣ص٣٠٨

[3] انظر تفسير مفاتيح الغيب –فخر الدين الرازي ج١ آية ٣٦

والمعنى: أن هذا التوجيه لهذه الحادثة، هو أمر عظيم جداً إنه معجزة من معجـزات القـرآن والإسلام الأولى، فهي الحقيقة التي أراد الله تعالى إقرارها في الأرض، والتي يترتب عليهـا الحياة الطبيعية الصحيحة للبشرية، فالحقيقة التي استهدفها هذا التوجيـه هـي الإسـلام فـي صميمه، من جانب سماحته وعدله، وتقويمه للبشر، هذه الحقيقة ليست مجرد كيف يعامل فرد من الناس، أو صنف من الناس كما هو المعنى القريب من الحادثة والتعقيب عليها،إنما هـي أبعد من هذا جداً، إنها كيف يزن الناس كل أمور الحياة؟ ومن أين يستمد الناس فـي الأرض قيمهم وموازينهم، التي يزنون بها؟ ثم أن يستمد الناس في الأرض قـيمهم ومـوازينهم مـن اعتبارات سماوية، إلهية بحتة، آتية من السماء، غير مقيدة بملابسات أرضهم ولا موصـوفات حياتهم وتصوراتهم.[1]

أما باقي البشر فالنبي ﷺ بين لنا أنه ما من أحد من البشر، إلا وقد يتعرض للخطأ ويقع فيـه، فقالﷺ:[كل ابن آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون][2]

خامساً: تفضيل الأنبياء على البشر في درجات الجنة

لقد بين النبيﷺ أن الجنة درجات وأن النار دركات، وأن أهل الجنة فيها يتفاوتون في درجاتهم، وأن أهل النار يتفاوتون فيها في دركاتهم، فكل موكل به عمله، يرفعه فـي الجنـة درجات، ويخفضه في النار دركات.

ولقد بين الله تعالى أن درجات الأنبياء، ومقاماتهم هـي أعلـى الـدرجات والمقامـات قـال تعالى﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِـنَ النَّبِيِّـينَ وَالـصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ (النساء:٦٩) .

لقد قسم الله تعالى الناس أربعة أقسام، بحسب منازلهم ودرجاتهم في العلم والعمل وهي علـى النحو التالي: -

القسم الأول: أعلى الدرجات وهي للأنبياء. وحث الناس على ألا يتأخروا عنهم، فهم الفائزون بكمال العلم والعمل.

القسم الثاني: وهم الصديقون الذين صمدت نفوسهم بمراقي النظر والحجج والآيات، وأخـرى بمعارج التصفية والرياضات، إلى أوج العرفان.

القسم الثالث: هم الشهداء الذين بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله تعالى.

القسم الرابع: هم الصالحون الذين صرفوا أعمالهم في طاعة ربهم وأموالهم في مرضاته.[1]

---

(1) انظر في ظلال القرآن ج ٨ ص ٤٥٥

(2) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في نضح بول الغلام، ح ٢٤٩٩

والنبي ﷺ يحدث عن درجات الأنبياء في الجنة، فيقول لأصحابه [إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون الكوكب الدري الغارب في الأفق، الطالع في تفاضل الدرجات،قالوا يا رسول الله: أولئك النبيون؟ قال:بلى، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين][٢]
والجنة درجات والناس يتحصلونها برحمة الله وفضل أعمالهم، وهم يتفاوتون فيها، والنار دركات والناس يلقون فيها بسخط الله عليهم بسوء أعمالهم، وهم يتفاوتون فيها، قال ﷺ [إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض][٣]
ولقد أخبر النبيﷺ أن أعلى درجة في الجنة هي الفردوس الأعلى، ولذلك دعا لنفسه بها، وطلب من الأمة أن يدعوا الله له بها بعد انتهاء سماع الآذان، ووعد من يدعوا له بها أن ينال شفاعته، قال ﷺ [من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة، والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة] [٤]

المطلب الثالث: تفضيل الأنبياء والرسل بعضهم على بعض

إن الأنبياء والرسل هم أشرف الخلق عند الله تعالى، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس، فتصلح دنياهم وآخرتهم، وهم الموجهون من الله تعالى لتعريف الناس به والإخبار عنه وذلك بما أوحى إليهم من العلم، وما أنزل إليهم من الكتب.
والله تعالى قد فاضل بين الرسل والأنبياء بعضهم على بعض، قال تعالى ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾ (البقرة:٢٥٣). ووجوه التفاضل بينهم في ما يلي:-

أولاً: تفضيل الرسل على الأنبياء

لقد فرق الله تعالى في كثير من آيات القرآن بين الأنبياء والرسل، ليبين لنا مدى المفاضلة بينهم، قال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ...** ﴾ (الحج:٥٢). ووصف بعض رسله بالنبوة والرسالة ليدل على أن

---

(١) انظر تفسير البيضاوي ص ٢١٣
(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح ٣٢٥٦
(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، ح٧٤٢٣
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند الأذان، ح ٦١٤

الرسالة أمر والنبوة أمر آخر، فالرسالة زائدة على النبوة، قال تعالى﴿ **وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وكَانَ رَسُولا نَبِيًّا** ﴾ (مريم:٥١). ثم جعل عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل، ليعمم ويخصص بينهم، ورد أن رجلا سأل النبي ﷺ [قال : يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: ثلاث مائة و خمس عشرة جما غفيرا][١].

وهذا وجه من وجوه التفاضل بينهم حيث إن الرسالة أعم من النبوة، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، قال العلماء في تعريف الفرق بينهم: أن الرسول من أوحيَ إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبي من أوحيَ إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وقال بعضهم: إن الرسول من أُوحيَ إليه بشرع جديد والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله.[٢]

ولقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما مات نبي قام نبي غيره، فكل أنبياء بني إسرائيل مبعوثون بشريعة واحدة شريعة موسى –عليه السلام- وهي التوراة، مما يدل على فضل موسى –عليه السلام- عليهم جميعاً.[٣]

ثانياً: تفضيل أولي العزم من الرسل على باقي المرسلين

إن من عقيدتنا الإسلامية معرفة أولي العزم من الرسل- عليهم السلام- حيث أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يصبر كصبرهم، قال تعالى:﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلا القَوْمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ (الأحقاف:٣٥). هذا أمر من الله تعالى لمعرفتهم حتى يتسنى لنا ولنبينا ﷺ التأسي بهم، والله تعالى قد ذكرهم في القرآن بأسمائهم، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ (الأحزاب:٧)والمراد من الكاف في قوله (ومنك) الرسول محمد ﷺ.[٤]

وفي هذه الآية بيان فضل أولي العزم من الرسل على الرسل جميعاً وفضل محمد ﷺ عليهم جميعاً، فقد خص الله تعالى محمدا ﷺ من ذلك العموم لأولي العزم حيث ابتدأ به لتشريفه عليهم، ثم أتبعه بقية الرسل من أولي العزم، الذين هم أصحاب الكتب، ومشاهير أرباب الشرائع، تأكيداً لمقامهم بين الأنبياء والرسل، وفضلهم عليهم ورتبهم على حسب ترتيب

---

[١] المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص، كتاب التفسير، باب من سورة الفاتحة ج٢ ص ٢٨٨ وقال صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي.

[٢] انظر الرسل والرسالات د عمر الأشقر ج ٤ ص ٧٤

[٣]انظر الرسل والرسالات ج ٤ ص ٧٤

(٤) انظر عقيدة المسلم –لأبي بكر الجزائري ص٢١٦

الزمان، فبدأ بنوح أول المرسلين إلى المخالفين، ثم بإبراهيم أبو الأنبياء بعد نوح، ثم بموسى أول رسل بني إسرائيل ، ثم ختمهم بعيسى آخر المرسلين لبني إسرائيل من أنبيائهم. (1)

ثالثاً: التفاضل بين آدم عليه السلام وأولي العزم من الرسل فيما بينهم

لقد بينا في شرحنا لقوله تعالى (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**)، أن أولي العزم من الرسل فضلوا على من سواهم من الأنبياء والرسل، ولكن هناك تفضيل خاص فيما بينهم، يتفاضل بعضهم على بعض، ومثال ذلك:-

١. تفضيل آدم –عليه السلام – بالأبوة الأولى وسجود الملائكة له

إن لكل نبي من الأنبياء اصطفاء خاص، اصطفاه الله تعالى به على غيره من الأنبياء، وذلك بخصال جعلها له ولم يجعلها لغيره، ومنها:-

أ- إن الله تعالى اصطفى آدم –عليه السلام- بالأبوة الأولى للبشرية كلها، والأنبياء من ضمنهم:-

وهذا ما بينه الله تعالى في ندائه للبشرية كلها في آيات كثيرة من القرآن الكريم منهاقوله تعالى﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ (الأعراف:٣١)، وقوله تعالى:﴿ **يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (الأعراف:٣٥) وقوله تعالى﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾(يس:٦٠).

ب- اصطفاه عليهم بأن خلقه بيده

لقد خلق الله تعالى آدم بيده ثم نفخ فيه من روحه، والخلق بيده كان خلقاً فيه التفضيل لآدم على سائر خلقه، ولو لم يكن كذلك لكان خلقه كخلق سائر الناس وما كان بذلك فضلاً على أحد، قال تعالى﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ (ص:٧٥)(2)

ت- تفضيله بأمر الله تعالى الملائكة بالسجود له

لقد جعل الله تعالى السجود، سجودين، سجود عبادة، وسجود تحية، فسجود العبادة هو وضع الوجه على الأرض، وهي عبادة لا تنبغي لأحد مهما كان شأنه إلا لله تعالى، فمن سجد لأحد

---

(1) انظر تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ، ج٧ ص٩٢

(2) عقيدة المسلم ص٩٤

معظماً إياه أو طامعا فيه أو خائفا منه، وليس بمكره على ذلك، فقد أشرك بربه، وعبد معه غيره، وكان فعله شركاً أكبر، لا يغفر إلا بالتوبة قبل الموت.[1]

أما سجود التحية فهو كسجود الملائكة لآدم –عليه السلام- بأمر من الله تعالى، وكسجود يعقوب –عليه السلام- وزوجه وأبنائه ليوسف- عليه السلام- قال تعالى﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا...** ﴾ (يوسف:١٠٠).

ولقد اختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم،بعد أن اتفقوا أنه لم يكن سجود عبادة، فقال الجمهور: هذا أمر للملائكة بوضع الجباه على الأرض، كالسجود المعتاد في الصلاة، إنما كان ذلك سجوداً وتكريماً لآدم وإظهاراً لفضله، وطاعة لله تعالى، وكان آدم بذلك كالقبلة لنا.

وقال قوم: لم يكن السجود المعتاد، إنما كان فيه التذلل والانقياد، أي اُخضعوا لآدم، وأقروا له بالفضل، ثم اختلفوا في هل كان السجود خاصا بآدم فقط، ولا يجوز لغيره من العالم إلا لله تعالى، أم هو جائز لغيره من بعده؟كما كان ليوسف من أبيه وأخوته، لقوله تعالى(وخروا له سجدا).فالذي عليه أكثر أهل العلم أنه كان مباحا إلى عصر رسول الله ﷺ، [2] وقد ورد النهي بعد ذلك، قال النبي ﷺ [لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها].[3]

ويرى الباحث في الفرق بين فضل السجود لآدم وفضل السجود ليوسف: أن آدم –عليه السلام- نال فضل سجود التحية، من خير المخلوقات وهي الملائكة كلها، تشريفاً وتكريماً له، ولم ينل أحد من الأنبياء هذا التكريم، فإن كان يوسف –عليه السلام- قد سجد له أحد سجود تحية، فهو عدد محدود لا يتجاوز العشرة، وهم من رحمه، وهو سجود محبة، بدون تكليف، بخلاف السجود لآدم، حيث سجدت له ملائكة السماء كلها، ولم تكن تعرفه من قبل، فهو سجود تكليف من الله تعالى.

٢. تفضيل نوح –عليه السلام- بطول العمر، وطول الدعوة:-

إن من سنة الله تعالى في خلقه أنه كلما طغى الفساد في بقعة من الأرض، أرسل فيها رسولاً، ليذكر أهلها بالله، ويعيدهم لفطرتهم التي فطروا عليها وهي فطرة الدين والصلاح. ويبقي هذا الرسول بهم، يدعوهم حتى يقضي الله فيما بينهم، قال تعالى﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا**

---

(١)عقيدة المسلم ص٩٤

(٢)انظر الجامع لأحكام القرآن ح١ ص ٢٨٦

(٣)سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على زوجته، ح١١٥٩ ، قال الألباني: حسن صحيح

وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر:٢٤)وقال تعالى **﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾** (يونس:٤٧)

وإن من أهم الخصال التي فضل الله تعالى بها نوحاً - عليه السلام - على الأنبياء أن جعله أول من بعث في الأرض، بعد آدم –عليه السلام- كما يقول أهل الموقف يوم القيامة عندما يشتد عليهم الحشر، فيذهبوا إليه، متوسلين بأن يشفع لهم عند ربهم ليقيم لهم الحساب، بعد أن ذهبوا لآدم –عليه السلام- فاعتذر إليهم حياءً من الله، لأكله من الشجرة التي نهي عنها، فيقول لهم: [..... اذهبوا لنوح، فيأتونه يقولون له: يا نوح إنك أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكورا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل؟....].[1]

والذي يراه الباحث، أن القرون التي سبقت نوحاً، كانت على الإسلام، وما كان فيها كفر كما قالوا: إن قابيل وقومه كانوا أهل كفر، إنما كانوا أهل معاصي وذنوب.

والقرن الذي عاش فيه نوح-عليه السلام- كان قرن تقديس لبعض الأولياء، والصالحين،الذين ماتوا على الإيمان الصادق، فبالغ الناس في تقديسهم حتى عبدوهم، وهو أول فساد وشرك منهم، قال تعالى**﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا* وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾**(نوح:٢٣-٢٤). أما من جانب فضل طول العمر فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وهو يدعو قومه إلى الله تعالى، قال تعالى**﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾** (العنكبوت:١٤). فصبره عليهم هذه المدة الطويلة، التي ما مكث مثلها نبي ولا رسول فيما نعلم، هي من فضائل نوح- عليه السلام- على الأنبياء.

ثم إن من فضائل نوح –عليه السلام- أنه الأب الثاني للبشرية كلها، وذلك بعد أن أغرق الله تعالى من على الأرض، إلا ذريته، كما قال تعالى**﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾** (الصافات:٧٧).

٣. تفضيل إبراهيم –عليه السلام- بالخُلة لله، والإمامة للناس، والأبوة الثالثة للأنبياء:-

لما أجرى الله تعالى الامتحان العظيم لإبراهيم-عليه السلام- وذلك في قوله تعالى**﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾** (البقرة:١٢٤). امتن عليه بأن منحه منحة عظيمة، وشرفة شرفاً لا يُضاهى، وذلك أن جعله للناس إماماً، ولقد اختلف المفسرون في الكلمات التي أتمهن الله تعالى لإبراهيم، قال بعضهم: هي أسهم الإسلام، وقال آخرون: هي سنن الإسلام، مثل قص

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك) ح٣٣٤٠ .

الشارب،والمضمضة،والاستنشاق والسواك، وفرق الرأس، وتقليم الأظـــافر، وحلـــق العانـــة، ونتف الإبط، والختان، والغسل بعد الغائط والبول بالماء، وقال آخرون: هي الطهارة، وقالوا: ذبح ولده والشمس والكواكب والقمر والهجرة. والخلاصة أنه يجوز أن يكون المراد جميع ما ذكر في تفسير"الكلمات"،، لأن إبراهيم ابتلي بابتلاءات كثيرة، لم يُبتلى بها أحـــد مـــن قبلـــه، فصبر عليها، ولذلك سماه الله تعالى أمة وحده، قال تعالى﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (النحل: ١٢٠).[1]

ثم إن الله تعالى بعد هذه الخصال الحميدة التي ظهرت في إبراهيم –عليه الـــسلام-، اختـــاره خليلاً له من دون البشر إلا محمداًﷺ قال تعالى ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** ﴾ (النساء:١٢٥). فما تحصل إبراهيم هذه الخلة وما استحقها، إلا بعد أن قام بجميع الأوامر، الكثيرة التي أمره، وامتحنـــه الله بهـــا. والخلة هي: خالص المحبة وغايتها.[2]

ثم إن الله تعالى جعل الأنبياء كلهم من بعده من نسله، حيث جعل أنبيـــاء بنـــي إســـرائيل وآخرهم عيسى-عليه السلام- من سلالة ابنه إسحق، قال تعالى﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِـــنَ الـــصَّالِحِينَ** ﴾(العنكبـــوت:٢٧). فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الأنبياء بعد إبراهيم-عليه الـــسلام- فهو على أحد ذريته، وهذه خلعة سنية لا تُضاهى، ومرتبة علية لا تُباهى.[3]

٤ . فضل موسى- عليه السلام- بتكليم الله له واصطناعه لنفسه

لقد امتن الله تعالى على موسى-عليه السلام- بنعم كثيرة قد تكون بعضها مميزة له علـــى كثير من الأنبياء، كقوله تعالى﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَـــى عَيْنِـــي** ﴾(طـــه:٣٩). ومعناه أن الله تعالى قذف عليه محبة منه، فجعله محبوبا للناس، حتى ما رآه أحد من النـــاس إلا أحبه، وهذه ميزة لم تحقق لكثير من الأنبياء، فما أن رأته زوج فرعون حتى قُـــذف فـــي قلبها محبته، فوقفت حاجزا في وجه فرعون، لألا يقتله وألقت له العـــذر مباشـــرة، قبـــل أن يشرع بالحكم بقتله، قال الله تعالى ﴿ **وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَـــسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ (القصص:٩) فما أن رآه فرعون ونظر إليه، حتـــى وقعت محبته في قلبه،قال ابن عباس: أحبه الله وحببه إلى خلقه، وقال البعض: جعـــل عليـــه

---

[1] انظر جامع البيان في تأويل القرآن ج ٢ ص ١٥

[2] انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص١٥٦

[3] انظر المرجع السابق ص١٥٣-١٥٤

مسحة من جمال، لا يكاد يصبر عنه من رآه، وقال قتادة:" كانت في عيني موسى ملاحة، ما رآه أحد إلا أحبه، وقال عكرمة[1]: المعنى جلبت فيك حسناً وملاحةً، فلا يراك أحد إلا أحبك، حتى أحبك فرعون فسلمت من شره، وأحبتك آسيا زوجه فتبنتك".[2]

أما قوله(وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)، قال قتادة وغير واحد من السلف: أي تطعم وترفه وتغذى، بأطيب المآكل، وتلبس أحسن الملابس، بمرآى مني، وذلك كله بحفظي، وكلاءتي لك، فما صنعت بك ولك، وقدرته من الأمور التي لا يقدر عليها غيري.[3]

والذي يراه الباحث :أن الله تعالى ألقى محبته على كل الأنبياء، وبهذه المحبة، اصطفاهم للنبوة والرسالة، ولكن لم يعكس هذه المحبة في قلب كل البشر، كما فعلت لموسى- عليه السلام- بل كرهوهم أشد الكراهة وعادوهم بهذه الكراهة، مثال ذلك إبراهيم –عليه السلام- نجد أن أقرب المقربين إليه، وهو أبوه ظهرت كراهيته له لما خالفه بالعبادة، فطلب منه هجرانه، ونوح –عليه السلام- أعلن قومه كراهيتهم له، فقالوا له:لولا رهطك لرجمناك، حتى أن زوجه أعلنت كراهيته فخالفته في دعوته وكانت من المغرقين. وعيسى –عليه السلام- كرهه أعدائه حتى حاولوا قتله، لولا أن نجاه منهم، وأخيراً نبينا محمد ﷺ كرهه زبانية الكفر في قريش، حتى أقرب المقربين منه عمه أبو لهب، وزوجه أم جميل ناصبوه أشد العداء، وآذوه أشد الإيذاء، حتى أخرج من مكة إلى المدينة بهذه الكراهية، أما موسى –عليه السلام- فنجد أن فرعون قاتل الأطفال قد أحبه من أول نظرة، حتى أصبح لا يصبر على فراقه كما ورد في السير.

أما صناعته على عين الله، فكل الأنبياء صنعوا على عين الله كما صنع موسى-عليه السلام- فكانوا مكللين برعاية الله تعالى، سواء في مأكلهم أو مشربهم، أو مسكنهم، أو حفظهم من أعدائهم.

وأهم هذه الخصال التي فضل بها موسى-عليه السلام- على الأنبياء، هي خصلة الكلام من الله تعالى له، وهي التي انفرد فيها موسى- عليه السلام- على الأنبياء جميعهم، وذلك الكلام مباشرة مع الله تعالى، فخطاب الله تعالى للأنبياء كان على وجهين، خطاب غير مباشر وهو عن طريق الوحي أو الإلهام، أو رؤيا المنام، وهو للأنبياء والرسل، وخطاب مباشر، وهو

---

(1) ترجمة: هو عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة، سيد بن مخزوم في زمانه، من كبار التابعين وهو ثقة كان قليل الحديث.

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١١ص١٨٦

(3) قصص الأنبياء ص ٢٢٦

الكلام المباشر بين الله تعالى وموسى،قال تعالى:﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِ الأَيْمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ** ﴾ (القصص :٣٠) وقال تعالى﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى* إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى**﴾ (النازعات:١٥-١٦) ،يقول القرطبي:" أن الأمة قد أجمعت على أن الرب تعالى، خصص موسى-عليه السلام- وغيره من المصطفين من الملائكة، بكلامه فكان اختصاصه خرقاً للعادة، ولو لم يكن ذلك لما كان لموسى اختصاص له بالتكليم من الله". [١]

٥. تفضيل عيسى –عليه السلام- عليهم بأنه روح الله، وبرفعة للسماء، وإنزاله في آخر الزمان

لقد أرسل الله تعالى عيسى-عليه السلام- في بني إسرائيل، فكان آخر أنبيائهم، وكان من أولي العزم من الرسل، ولقد لاقى من قومه من العذاب والمضايقة، حتى حاولوا قتله، ولذلك جعل الله تعالى له من الكرامة، والفضل على غيره من الأنبياء ببعض الخصال، ومنها:-

أ- أن جعل ميلاده معجزة:-

حيث خلقه الله تعالى من غير أبٍ، ونفخ من روحه في رحم أمه، فأنجبته، قال تعالى: **﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا﴾** (مريم:١٩). والمعنى: أنه حينما انتبذت مريم عن قومها المكان الشرقي، لتخلوا مع ربها في عبادتها، أرسل الله تعالى لها روحه وهو جبريل-عليه السلام- في صورة آدمي، حسن المظهر، سوي الخلق، فلما رأته فزعت منه خوفا على نفسها، فاستعاذت بالله منه قائلةً(إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) أي إني أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرمه عليك، إن كنت ذا تقوى له، تتقي محارمه وتتجنب معاصيه، لأن من كان لله تقي يتجنب ذلك، فكان الرد منه أن قال لها: يا مريم إنما أنا رسول ربك إليك لأهب لك غلاما طاهرا مطهرا من الذنوب والمعاصي، فاستعجبت من شأنها، كيف سيكون لها ولد وهي غير متزوجة، ولم تكن بغية، فألقت عليه السؤال(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) بمعنى هل من زوج أتزوجه، أم يبدأ الله خلقه في بطني ابتداء؟ فكان رده عليها، هكذا الأمر كما تصفين من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغيا، ولكن ربك قال إن الأمر عليه هين، وأنه خلق الغلام في بطنك من دون أن يمسك رجل، وما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٢٢٦

ذلك إلا لأجل أن يجعله آية للناس، وحجة على خلقه، ورحمة منا لك، ولمن آمن وصدق، وأن هذا الذي سيُّخلق منك أمرٌ قد قضاه الله تعالى[١]

يقول الطبري في كيفية نفخ الروح، في قوله تعالى:﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾(التحريم:١٢).

"أن معنى أحصنت فرجها، أي منعت جيب درعها جبريل-عليه السلام- وكل ما كان في الدرع من خرق أو فتق، يسمى فرجا، وكذلك كل صدع وشق في حائط، فهو فرج. فقوله تعالى(فنفخنا فيه) أي نفخنا في جيب درعها، وذلك فرجها".[٢]

ب-رفعه إلى السماء بقدرة الله تعالى:-

لما تآمر بنو إسرائيل عليه ليقتلوه، وأنجاه الله تعالى من منهم، ورفعه إليه إلى السماء، تقَولت اليهود والنصارى، في أمر صلبه وقتله، منهم من أقر ذلك، ومنهم من نفى، فرد الله تعالى على زعمهم بالقتل، قال تعالى﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا* بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾(النساء:١٥٧-١٥٨) والمعنى: أن بني إسرائيل لما تضايقوا من دعوته، أرسلوا إلى أحد ملوك اليونان، وهو من عبدة الكواكب، أن بيننا رجل يدعي النبوة في بيت المقدس، منكر علينا عبادتنا، ومضايقاً لولاتك عندنا، فأرسل إليهم أن حاصروه واقتلوه، فعمد عدد منهم إلى مكان إقامته في بيت المقدس، حيث كان جالساً مع بعض حواريه، فحاصروه وطلبوا منه الخروج إليهم، أو أن يدخلوا عليه فيقتلوه، فنظر عيسى- عليه السلام- إلى أصحابه، وقال من يرضى أن يُلقى عليه شبهي، ويكون رفيقي في الجنة، فقبل ذلك أصغرهم سنا، فأُلقي عليه الشبه، والله تعالى رفعه من فتحة في السقف، إلى السماء، ودخلت اليهود على مجلسه، فلما رأوا ذلك الشاب ظنوا أنه هو فأخذوه وصلبوه ثم قتلوه.[٣]

أما من جانب نزوله مرة أخرى في آخر الزمان، فالله تعالى أخبرنا بذلك، قال تعالى:﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ (النساء:١٥٩). أي قبل خروج عيسى ابن مريم، وقيل: قبل موت عيسى، وقيل: قبل موت اليهودي والنصراني، وقيل: إن عيسى – عليه السلام- سيدرك أناساً من أهل الكتاب، حين يبعث، وسيؤمنون به،

---

(١) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ج١٦ ص٤٦

(٢)المرجع السابق ج١٦ ص٤٧

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٥٦٢

وقيل أيضاً: ليس يهودي ولا نصراني يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى، قيل لابن عباس: أرأيت إن خرَّ من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء، فقيل أرأيت إن ضُرب عنق أحدهم؟ قال: يتلجلج بها لسانه.(١)

والذي يراه الباحث: أن إيمان أهل الكتاب بعيسى - عليه السلام- مُقيد بنزوله في آخر الزمان، فما من أحد من أهل الكتاب قد عاصر نزوله إلا سيؤمن به قبل أن يموت ذلك الكتابي، والأحاديث الواردة في ذلك، تدل على هذا القول، ومنها[لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد](٢) .

---

(١)انظر فتح القدير ج١ ص٧١٢

(٢)صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب، قتل الخنزير، ح٢٢٢

الفصل الثاني

فضل محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفضيل محمدﷺ على الخلق كلهم

المبحث الثاني: فضل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين

المبحث الثالث: تفضيل محمد ﷺ قبل بعثته

المبحث الأول

تفضيل محمدﷺ على الخلق كلهم

وفيه خمسة مطالب: -

المطلب الأول: فضل محمدﷺ على الخلق بالسيادة على ولد آدم

المطلب الثاني: فضل محمد ﷺ على الخلق بأنه رحمة للعالمين

المطلب الثالث: فضل محمد ﷺ على الخلق بالمقام المحمود يوم القيامة

المطلب الرابع: فضل محمدﷺ على الخلق بأنه أول من يدخل الجنة من الخلــق كلهم

المطلب الخامس: فضل محمدﷺ على الخلق بشهادته على جميع الخلائق

الفصل الثاني

فضل محمد صلى الله عليه وسلم

لقد ذكر الله تعالى شرف نبيه ﷺ وفضله بأعلى مراتب الشرف والتفضيل ووصفه بأجمل وصف، فقد أخبرنا ربنا عز وجل أنه بعثه رحمة للعالمين، فقال جل وعلا ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء:١٠٧) وأخبر بأنه أرسله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله تعالى بإذنه وسراجاً منيراً، قال تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ (الأحزاب:٤٥) ولبيان مقامه وفضله عند الله تعالى أخبرنا جل وعلا أنه دعوى، أبويه إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام- قال تعالى ﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (البقرة:١٢٨)

ومن حب الله تعالى له أن جعل علامة محبة من ادعى محبة الله تعالى، أن يكون محباً لرسول الله ﷺ ومتبعاً له قال تعالى ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (آل عمران:٣١) .

ولبيان المزيد من فضل محمد ﷺ قسم الباحث هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول

تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على الخلق كلهم

إن أفضل ما على وجه الأرض هم الأنبياء والرسل، والله تعالى بين أن محمد ﷺ هو أفضلهم ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ (الأحزاب:٧) وبهذا يكون محمد ﷺ أفضل ما على وجه الأرض من المخلوقات جميعها، ولبيان هذا الفضل قسم الباحث هذا المبحث إلى خمسة مطالب:-

المطلب الأول: فضل محمد صلى الله عليه وسلم على الخلق بالسيادة على ولد آدم

لقد من الله تعالى على هذه الأمة بأن أرسل إليها محمداً ﷺ وهو سيد البشرية كلها، من عهد آدم حتى قيام الساعة، قال تعالى﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ (التوبة:١٢٨)

والمعنى: أنكم تعرفون نسبه وحسبه من العرب من بني إسماعيل، قال ابن عباس: ليس من العرب قبيل إلا وقد ولدت النبي ﷺ ولهم فيهم نسب، [١]. وقال ﷺ عن نفسه [ما ولدت من سفاح، أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام][٢]

ولقد أقر النبيﷺ بأن له السيادة على البشرية كلها، فقال [أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع][٣] وفي رواية [أنا سيد الناس يوم القيامة].[٤] وبين فضله في سلالة نسبه، فقال [إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريش من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم][٥].

وقد يسأل سائل ويقول: كيف نوفق بين قوله ﷺ أنا سيد ولد بني آدم، وبين قوله[لا تفضلوني على موسى فإن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشاً بساق العرش، فلا أدري هل أفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله؟][٦]

والجواب: إن حديث لا تفضلوني على موسى، قد قالهﷺ في موقف أراد به أن يعالج قضية خطيرة لطالما كان يحذر أصحابة منها، وهي التفاخر بالعصبية، والحمية ، فقد وقع جدال بين رجل مسلم من أصحابه ويهودي، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على البشر، فما كان من المسلم إلا أن لطمه على وجهه وقال له: أتقول ذلك ورسول الله بين أظهرنا؟ فذهب اليهودي إلى النبيﷺ يشكو له ما فعل به المسلم، فلما رأى النبي ﷺ ما فيه من التفاخر والتعصب الجاهلي، الذي كان ينهى عنه، أراد أن يغلق هذا الباب، الذي هو من فعل الجاهلية، ولأن الله تعالى حرم التفاخر بالأنساب، فذكر ﷺ هذا الحديث السابق الذي يفيد أن المذموم هو التفضيل على وجه الفخر والتعصب، الذي فيه الانتقاص من حق المفضول.

وهناك قول آخر وهو أن قوله:(لا تفضلوني على موسى) أي لا تفضلوا رسول على رسول بعينه، فالتفضيل العام لا يُمنع ،أما التفضيل الخاص فيُمنع خوفاً من التفاخر وانتقاص حق الغير.وأما قول النبي ﷺ: [لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متّى][٧] وقوله ﷺ:

([١]) انظر الكشف والبيان لابي إسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ج٥ ص١١٤

([٢]) سنن البيهقي الكبرى، باب نكاح أهل الجاهلية وطلاقهم، ١٣٨٥٤ ، ج٧ ص١٩٠.

([٣]) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نبينا على جميع الخلائق ح٤٢٢٣.

([٤]) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي باب ذرية من حملنا مع نوح، ح ٤٧١٢

([٥])صحيح مسلم، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ ح٦٠٧٧

([٦])صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح٢٨٧.

([٧]) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وإن يونس لمن المرسلين ح٣١٦١.

[من قال أنا خير من يونس ابن متّى فقد كذب] [1]. فهذا ليس فيه نهي للمسلمين أن يفضلوا محمداً على يونس، إلا من باب التفاخر والتعصب، والدليل على ذلك أن الله تعالى قد أخبر عن يونس أن الحوت قد التقمه وهو ملام، لفعل أغضب الله تعالى فيه، وهو ترك قومه، والانتقال لغيرهم بدون إذن من ربه، هارباً من آذاهم، قال تعالى:**﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾** (الأنبياء:٨٧) .

ثم إن الله تعالى طلب من محمدﷺ عدم التشبه بيونس في صبره، وطلب منه الإقتداء بأولي العزم من الرسل، قال تعالى: **﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ولا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾** (القلم:٤٨) وقوله تعالى: **﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلا القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾** (الأحقاف:٣٥).[2]

والخلاصة: أن النبيﷺ منع التفضيل إذا كان على وجه التفاخر والتكبر، لقوله تعالى**﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾** (لقمان:١٨). ولقولهﷺ: [أُوحيَّ إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحد على أحد][3]. إذا كان هذا في حق الخلائق العاديين، فكيف في حق أنبياء الله تعالى.

المطلب الثاني: فضل محمد صلى الله عليه وسلم بأنه رحمةً للعالمين

لقد أرسل الله تعالى نبيه محمداًﷺ إلى البشرية كلها بعد فترة من الرسل منقذاً لها من ضلالات الكفر، وظلمات الجهل، بسفينة النجاة،- ألا وهي الإسلام-، يقودها محمد ﷺقال تعالى : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**(الأنبياء:١٠٧) أي رحمةً للعالم من أهل الأرض من الجن والإنس وغيرها من دواب الأرض. ورحمة محمدﷺ في الخلائق على ضربين:

أولاً:ضرب في الدنيا وينقسم إلى قسمين:-

القسم الأول: الرحمة العامة في الدنيا

فقد جعله الله تعالى ببعثته رحمة للبشرية كلها، حيث إنه حجب عنها الخسف والمسخ والدمار، الذي كان يحل بالأمم السابقة، عندما تعاند وتكذب أنبيائها، كما فُعل بقوم نوح بالغرق، وقوم

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن، باب إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ح٤٢٣٨.

(2) انظر العقيدة الطحاوية ص ١٦٠

(3) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة ح٥١٠٩

هود وصالح بالرياح السامة، والصيحة المهلكة، وقوم شعيب بنار يوم الظُلــة، وقــوم لــوط بالخسف، وقوم موسى بالمسخ إلى قردة وخنازير، ولذلك قال الله تعالى: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّـا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**.

والمعنى: كأن الله تعالى يقول له يا محمد ، وعزتنا ما أرسلناك للناس بعظمتنا العامة،إلا على كونك رحمة للعالمين كلهم، من الجن والإنس، طائعهم وعاصيهم، طائعهم بالثواب الذي يبلغه إلى جنات النعيم في الآخرة، فيكون بذلك مصدر سعادتهم في الدنيا والآخرة. وأما عاصــيهم فبحجب العقاب عنهم في الدنيا، كالخسف والمسخ والدمار، وغير ذلك ممــا أصـــاب الأمــم السابقة بذنوبها ومعاصيها، فنحن نمهلهم ونترفق بهم إظهارا لشرفك، وإعلاء لقــدرك، حتـــى أننا نرد الكثير منهم إلى دينك، فيكونوا بعد العداء أنصارا وأعوانا لك ولدينك.[١]

وأيضاً من رحمة النبيﷺ، قوله تعالى لنبيه**﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِـيهِمْ وَمَـا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾** (الأنفال:٣٣)

والمعنى: أن الله تعالى أظهر مقام النبيﷺ وفضله على الخلائق كلها، فقال ما كان الله تعـالى ليجدد فيهم العذاب الذي كان يحل بالأمم السابقة، ما دمت فيهم يا محمد، وذلك لعلــو مقامــك عند ربك وفضلك وشرفك.

القسم الثاني: الرحمة الخاصة في الدنيا

وهي رحمته لأمته حيث إن الله تعالى جعل ما يسد مسده بعد موته فـــي أمتـــه التـــي آمنت به، قال تعالى(**وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**) وهذه فيها بيان لفضل محمــد ﷺ على أمته في الدنيا، حيث ظل النبي ﷺ يبكي ويتوسل إلى ربه في الدنيا يقول: اللهــم أمتـــي أمتي، خوفاً عليهم من الخسف بعد موته، حتى طمأنه ربه بأن جعل الاستغفار في هذه الأمـــة تفضلاً منه لكرامته عند ربه، دفعاً للعذاب عنها، وأمانا لها في الـــدنيا. يقــول أبـــو موســـى الأشعري:"إن في هذه الأمة أمانان، أمان بالنبي وقد مضى، وأمان بالاستغفار، فهو كائن فيهم إلى يوم القيامة.[٢]

ثانياً: ضرب في الآخرة: وهي على قسمين:

القسم الأول: الرحمة العامة في الآخرة

وهي تشمل الخلائق كلها، حيث يشفع النبيﷺ في الخلائق لقيام الحساب فيهم، بعد أن عـــانوا من هول المحشر، ما عانوا ولاقوا من شدته ما لاقوا، حتى ذهبوا لأولى العزم مـــن الرســـل

---

(١) انظر نظم الدرر ج٥ ص١٢٥

(٢)انظر معالم التنزيل للبغوي ج٣ ص٣٥٣

يتوسلون إليهم أن يشفعوا عند ربهم لإقامة الحساب، وتخليصهم من موقف الحشر، فكلهم يعتذرون إليهم حياءً من الله تعالى وخوفاً منه، حتى ينتهي الأمر إلى محمد ﷺ فيقبل منهم الطلب، عن أبي هريرةﷺ مرفوعاً، [يجمع الله الأولين والآخرين، في صعيد واحد، فيأتون آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ....حتى يأتوا محمدا، فيقول: فأنطلق فآتي العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله لي، من محامده، وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب][(١)]

القسم الثاني: الرحمة الخاصة بأمته في الآخرة

حيث كان النبي ﷺ يفكر كثيراً في أمته وما سيحدث لهم في الآخرة، بين يدي الله تعالى، فيبكي كثيراً خوفاً عليهم، إلى أن طمأنه ربه جل وعلا، قال تعالى﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾ (الضحى:٥) وأرسل له البشارة مع جبريل عندما قرأ قول إبراهيم- عليه السلام- فمن تبعني فإنه مني، وقول عيسى-عليه السلام- إن تعذبهم فإنهم عبادك، فقال: اللهم أمتي أمتي، فقال له مبشراً: [سنرضيك في أمتك ولا نسوءك].[(٢)] وقد حدث ﷺ عن همه وفكره في هذه الأمة فقال:[أول ما تشق الأرض عني، فأقول رب لا أسألك نفسي....... إنما أسألك أمتي أمتي][(٣)]

وفي قوله تعالى: (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**) : يقول ابن عباس: هي الشفاعة في أمته حتى يرضى. [(٤)]

ومن مظاهر رحمته الخاصة لأمته ﷺ

أولاً: الشفاعة

وهذا بيان لبعض المواقف التي تكون فيها شفاعة محمد ﷺ لأمته:

١. أن النبي ﷺ أعطيَ في الدنيا دعوة مستجابة كما أعطيت لكل الأنبياء من قبله استعجلوا بالدعاء بها في الدنيا ولكنه ﷺ رحمة بأمته ادخر هذه الدعوة ليشفع لأمته بها يوم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح ،ح٤٣٤٣

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي لأمته وبكائه شفقة عليهم، ح٣٠١

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح٦٩٥٦

(٤) تفسير الخازن ج٧ ص٢٥٨

القيامة، ورد في الحديث [ما من نبي إلا له دعوة مستجابة، فأنا أريـد أن أختبـئ دعـوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة][1]

٢. ثم إنه ﷺ بين من هم المحتاجون لشفاعته من هذه الأمة وركز على أن تكـون لهـم الشفاعة، فقال[شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي].[2]

٣. وقد شده اهتمامه ﷺ بأمته أن يكون لهم الأحسن والأفضل لما ينجيهم من عـذاب الله، فبين أنه قد عرض عليه مغريات ليوم القيامة مقابل الشفاعة فرفـضها مقابـل أن يتحـصل الشفاعة لأمته، لعلمه ﷺ ما في الشفاعة من كثير نجاة للأمة فقال ﷺ لبعض أصحابه وهـم معه في سفر[آتاني الليلة آتي من ربي عز وجل فخيرني بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة، قالوا يا رسول الله: اجعلنا من أهل شفاعتك، فقال رسـول الله ﷺ: [... أُشهدكم أن شفاعتي لمن لا يشرك بالله شيئا من أمتي][3]

٤. ثم إنه ﷺ بعد أن يفرغ من شفاعة أهل الكبائر من الأمة، يبحث عـن المقلـين فـي الإيمان من هذه الأمة والذين دخلوا النار وما في قلوبهم إلا الـرذاذ مـن الإيمـان فيـسعى بالشفاعة لهم، كما ورد في الحديث قالﷺ [...فيأتونني فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعـود فأحمـده بتلـك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تـشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة مـن إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يـا محمـد ارفـع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول انطلق فـأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجـه مـن النـار فـأنطلق فأفعل].[4]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ح٥٨٢٩

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب منه ح٢٤٣٥، صححه الألباني

(٣) مسند الإمام أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث عوف بن مالك الأشجعي ح٢٣٤٨٢، صححه شعيب الأرنؤوط

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح ٧٥١٠

وقالﷺ [يُخرج من النار قوماً بشفاعة محمد ﷺ فيدخلهم الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين].[1]

ثانياً: الحوض

إن من دواعي رحمة الله تعالى لهذه الأمة بنبيها، أن أكرمهم الله تعالى بالحوض ينتظرهم نبيهمﷺ عليه يوم القيامة ليسقيهم منه شربةً بيده لا يظمئون بعدها أبداً، وذلك بعد أن يشتد بهم العطش في أرض المحشر، كما قال ﷺ في خطبة حجة الوداع: [أنا فرطكم على الحوض، فلأنازعن رجالاً منكم ولأُغلَبن عليهم فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك][2] أي أنه تقبل كل هذه الأمة على الحوض، فيطرد منهم أقوام بدلوا وغيروا في دينهم، وفي نهج نبيهم، وما ذلك الطرد إلا نتاج السير وراء سراب الضلالات في الدنيا، والتمسك بفرق ضالة مضللة، واعتناق أفكار معادية للإسلام، فهؤلاء رفضوا البقاء على نهج نبيهم، فاستحقوا الطرد عن حوضه.

والسؤال الذي يُطرح: هل الحوض هو الكوثر، الذي ذكر في القرآن في قوله تعالى﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ**﴾ (الكوثر:١) ؟.

والجواب: من خلال تفسير النبيﷺ في الحديث الذي رواه أنس ﷺ قال[أُغفيَّ رسول الله ﷺ إغفاءه، فرفع رأسه مبتسماً فقالوا له: بما ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ إنه أنزلت عليَّ آنفاً سورةً فقرأ : (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ**) ثم قال لهم: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منه، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: لا تدري ما أحدثوا بعدك][3] .

يقول الطحاوي:" ومعنى ذلك أن نهر الكوثر في الجنة يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض الذي هو في عرسات القيامة قبل الصراط، فهو يختلج منه، وعنه يُمنع أقوامٌ قد ارتدوا على أعقابهم ،فهؤلاء لا يجاوزون الصراط، ولا يدخلون الجنة حتى يمنعوا عن الكوثر، فالمنع على الحوض وليس على الكوثر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، صفة الجنة والنار ح ٦٥٥٩

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته ح ٢٢٩٧

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة ح٤٠٠

إذاً هناك فرق بين الحوض وبين الكوثر وكلاهما للنبيﷺ تفضيلاً له على جميع الخلائق".[١]

المطلب الثالث: المقام المحمود يوم القيامة

إن من محبة الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أن دله على ما يفضله به على الخلائق كلها يوم القيامة فقال تعالى: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** ﴾ (الإسراء:٧٩). ومعنى التهجد: هو التيقظ بعد رقدة، فصار اسماً للصلاة لأنه ينتبه لها، فالتهجد هو القيام إلى الصلاة من النوم. والدليل هو ما قاله الحجاج بن عمر صاحب النبيﷺ حيث قال: أيحسب أحدكم أنه إذا قام من الليل كله أنه قد تهجد؟ إنما التهجد الصلاة بعد رقدة، ثم الصلاة بعد رقدة، ثم الصلاة بعد رقدة، كذلك كانت صلاة رسول الله ﷺ. ومعنى نافلةً لك : أي كرامة لك على غيرك من البشر، وهذا التوجيه من الله تعالى لنبيه ﷺ بالتهجد لنيل المقام المحمود، هو من باب الأمر بالتنفل على جهة الندب، حيث أنه إذا تطوع بما ليس واجباً عليه، فهو زيادة في الدرجات.[٢]

وللعلماء ثلاثة أقوال في المقام المحمود والذي وعده ربه جل وعلا:

القول الأول: الشفاعة للناس جميعاً يوم القيامة لقيام الحساب، وذلك كما ورد في الحديث الصحيح[إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا[٣]، كل أمة تتبع نبيها، تقول يا فلان اشفع لي، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبيﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود][٤] .وهذا معنى قوله ﷺ (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) . وقد يسأل سائل: وهل الأنبياء محرومون من الشفاعة؟

الجواب: أن الشفاعة شفاعتان، شفاعة كبرى عامة، وهي للنبيﷺ خاصة به كرامة له من دون الخلائق، وشفاعة أخرى لإخراج مذنبين من النار، وهذه تتحصل للأنبياء والعلماء والشهداء وغيرهم.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٧

(٢) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص٢٥٣

(٣) جثاً: أي جماعة وتُروَى هذه اللفظة جُثِيٌّ بتشديد الياء : جمع جَاثٍ وهو الذي يَجْلس على رُكْبَتَيْه . النهاية في غريب الأثر ج ١ ص ٦٨٠

(٤) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ح٤٧١٨

القول الثاني: أن المقام المحمود هو إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة، وهذا ما نسبهﷺ لنفسه، وذلك في قوله [بيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي، آدم فمن سواه إلا تحت لواء عرشي][1]

وهذا ما يدل على سيادته على البشرية كلها حتى الأنبياء، حيث إن كل الخلائق، المؤمنة تحت قيادة هذا اللواء حتى الأنبياء، وهذا من أشرف ما أعطيَ نبينا من فضل وشرف.

والذي يراه الباحث أن المقام المحمود شامل لما تقدم، فقد أُعطيَ الشفاعة الكبرى للخلائق، وأُعطيَ لواء الحمد، الذي استظل تحته جميع المؤمنين حتى الأنبياء، وأُعطيَ القرب من الله تعالى، فهو من أقرب ما يكون من الله تعالى.

المطلب الرابع: فضل محمد صلى الله عليه وسلم بأنه أول من يدخل الجنة من الخلق كلهم

إن الله تعالى جعل الجنة والنار وجعل لكلٍ أهلها، وجعل النار في مقدمة الجنة، وعليها يضرب الصراط، فلا وصول للجنة إلا بجواز الصراط، فأول جائز للصراط، وأول واقف على باب الجنة، هو نبينا محمد ﷺ وهذا فضلٌ من الله تعالى له ومنه على الخلائق كلها، قال ﷺ: [أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة، فأقعقعها[2]] [3]. وفي رواية أخرى يقول ﷺ [آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك].[4]

من هذه الروايات الصحيحة دليل واضح وقاطع لفضل نبينا محمدﷺ على الخلائق بأنه أول من يدخل الجنة، ويفتح بابها، فإذا كان هو أول الداخلين، فمن الطبيعي أن تكون أمته هي من أول الداخلين معه إلى الجنة، حيث كل أمة تتبع إمامها ونبيها، قال تعالى﴿ **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ﴾ (الإسراء:٧١) وقولهﷺ للأعرابي[أنت مع من أحببت][5].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، ح٣١٤٨ ، صححه الألباني

(٢) أقعقعها: أي أحركها لتصوت والقعقعة حكاية حركة الشيء يسمع له صوت . تحفة الأحوذي ج ٨ ص ٤٦٦

(٣) سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب ما أعطي النبي من الفضل، ح٥٠

(٤)صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي أنا أول الناس يشفع في الجنة ح١٩٧

(٥) صحيح مسلم، باب المرء مع من أحب،ح٦٨٧٨

المطلب الخامس: فضل محمد صلى الله عليه وسلم بشهادته على جميع الخلائق

إن من عدل الله سبحانه وتعالى على جميع الخلائق يوم القيامة، أن يُشهد بعضها على بعض، حتى لا يبقى لأحد حجة على الله، فيجعل لكل أمة شهيداً عليها، من أنفسها وهو نبيها الذي أرسل فيها، قال تعالى **﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾** (النساء: ٤١) . ثم إن الله تعالى يُعلي من شأن نبيه محمد ﷺ فيجعله الشهيد العام للخلائق كلها، حتى على الأنبياء جميعاً، قال تعالى(**وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا**) وهم الأنبياء الذين شهدوا على أقوامهم.

وفي هذه الآية خاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ مظهراً له مكانته بين الخلائق يوم القيامة، بعد أن أظهر عدله وكرمه في القضاء بينهم، حيث تعامل مع حسناتهم وسيئاتهم، بمثقال الذرة فيجازي على السيئة بمثلها، ويجازي بالحسنة أضعاف أضعافها، في قوله تعالى: **﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** (النساء:٤٠).حيث جعله الشاهد الأول على الخلائق كلها. لما نزلت هذه الآية على النبيﷺ بكى بكاءاً شديداً من شدة الفرح، وأمر ابن مسعود ﷺ أن يقرأ عليه هذه السورة حتى إذا ما وصل إلى هذه الآية، بكى من شدة الفرح،[1]عن ابن مسعود[أن النبي ﷺ قال لي اقرأ عليَّ، قلت يا رسول الله: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: نعم إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية(**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**)، قال: حسبك، فإذا عيناه تذرفان][2] يقول القرطبي في كتاب التذكرة، في مسألة شهادة النبيﷺ على قومه الذين ما رآهم" ليس من يومٍ إلا تعرض على النبيﷺ أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم، بقوله تعالى(**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**) ثم قال رداً على من ضعف الحديث، لأن فيه رجل مبهم لم يُسم قال: إن الأعمال تعرض على الله تعالى كل يوم اثنين وخميس، وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة، فلا تعارض بين هذا القول والحديث السابق، فإنه يُحتمل أن يخص نبينا ما يُعرض عليه كل يوم ، ويوم الجمعة، مع الأنبياء عليهم السلام".[3] ولكن الله تعالى بين حال

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص٤٨٨

(2) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) ح٤٥٨٢

(3) كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة القرطبي ص ٢٩٤

الكافرين بعد هذه الشهادة من رسول اللهﷺ على فساد عقائدهم، التي إمـــا أظهروهـــا وإمـــا أضمروها، وعلى كل ما كفروا وأنكروا، وعلى كل ما تفاخروا واختالوا، بـــين حـــالهم فـــي حضرته جل وعلا وهو حال الخزي والخجل والندامة، حينها يود كل واحد منهم لو تسوى به الأرض، بدلاً من هذه الفضيحة على رؤوس الأشهاد، وأمام إلهه الذي كفر به، ونبيـــه الـــذي كذب به.(١)

(١) انظر في ظلال القرآن ج٢ ص٣٧٣

المبحث الثاني

فضل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين

وفيه سبعة مطالب: -

المطلب الأول: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بختم الرسالة

المطلب الثاني: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بعموم الرسالة

المطلب الثالث: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بكثرة المعجزات

المطلب الرابع: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بالشفاعة الكبرى

المطلب الخامس: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بأن رفع الله ذكره

المطلب السادس: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بالإسراء والمعراج

المطلب السابع: تفضيل محمدﷺ على الأنبياء والمرسلين بخصال لم تعطَ لنبي قبله

المبحث الثاني

فضل محمد صلى الله عليه وسلم على الأنبياء والمرسلين

إن من أوثق عرى الإيمان هو التصديق بالأنبياء جميعهم، والتصديق بفضل بعــضهم على بعض، كما نُص على ذلك في قوله تعالى:﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾ (البقرة : ٢٥٣) والله تعالى فضل نبينا محمداً ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين، وذلك بتفضيله على عموم الخلق كما قال في الحديث [أنا سـيد ولـد آدم ولا فخر] وفي قوله تعالى﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْـكَ وَمِـنْ نُـوحٍ وَإِبْـرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ (الأحزاب:٧). فتقديمه ﷺ في الذكر هو تقديم بالرتبة كما أثبتنا في المباحث السابقة.

ولبيان فضل محمد ﷺ على الأنبياء والمرسلين قسم الباحث هذا المبحث إلى سـبعة مطالب وهي على النحو التالي:

المطلب الأول: تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على الأنبياء بختم الرسالة

قد دلت النصوص وأجمعت الأمة على أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبـي بعده، ولقد انطلى لقب الكذب على من ادعى النبوة بعده، كما كان حال مسيلمة وأمثاله، قـال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَـانَ اللهُ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ (الأحزاب : ٤٠) فالله تعالى قد فضله على الأنبياء بختم النبوة على الأرض كلهـا، ومن مظاهر فضل ختم الرسالة ما يلي:-

أولاً: فضلها بكمال الدين والشريعة:

قال تعالى:﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُـمُ الإِسْـلامَ دِينًـا** ﴾ (المائدة:٣) ، والمعنى: أن الله تعالى قبل أن يعلن عن كمال الدين، وإتمام النعمـة علـى هـذه الأمة، تكلم عن كمال الشريعة في دين محمد ﷺ وذلك من خلال مقدمة سورة المائدة [1] قـال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْـرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ............... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ**

---

(١) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ج٢ ص١٨٠

لله شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:١-٨) يقول الشوكاني في تفسيره لمقدمة هذه الآيات

" إن الله تعالى افتتح هذه السورة بهذه الآيات، فيها من البلاغة ما تتقاصر عنده القوى البشرية، مع شمولها لأحكام عدة، منها الوفاء بالعقود، ومنها تحليل بهيمة الأنعام، ومنها استثناء ما سيتلى مما لا يحل، ومنها تحريم الصيد على المحرم، ومنها إباحة الصيد لغير المحرم". [١]

وقد حكى النقاش أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: "أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة، ثم خرج فقال: والله ما أقدر، ولا يطيق هذا أحد، وإني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث، وحلل تحليلاً عاماً، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وعن حكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا".[٢]

ولو تأملنا في هذه السورة كيف وضع الله تعالى قواعد كمال التشريع، قبل أن يبين لنا كمال الدين، لعلمه جل وعلا أن كمال الدين يستلزم كمال التشريع، فبدأ بالأمر بوفاء العقود،وهي العقود التي بين الناس، في المعاملات، والعقود التي بينهم وبين الله تعالى في تطبيق الأحكام الشرعية، ثم شرع الله تعالى ببيان ما أحل للناس من بهيمة الأنعام وما استثنى من هذا التحليل، وبيان متى يحل بعضها ومتى يُحرم، ثم وضع قواعد تشريعية في التعامل مع شرائع الإسلام، ومع من يقوم بأدائها من المشركين، وخاصة شعيرة الحج، وما يتعلق بها من مناسك وأزمنة محرمة ومحللة، ثم بيان مشروعية الصيد متى يحل ومتى يحرم، وأين يحل وأين يحرم، ثم بين سماحة التشريع الإسلامي مع البُغضاء الذين سبق لهم، الاعتداء، وبيان ألا يدفع هذا البغض المسبق إلى حب الانتقام منهم، بأكل حقوقهم، والاعتداء عليهم، بل أمرهم بالتعاون والبر إليهم بدلاً من العدوان، وهذا بيان بسماحة الشريعة الإسلامية، ثم بعد هذا الشروع في المحللات وكيفية التعامل مع زمانها ومكانها، شرع في بيان المحرمات، التي أُستثنت من المحللات، مثل الدم والميتة التي لم تذكى بآلة التذكية، ولحم الخنزير وما ذُبح بالأصنام ولغير الله تعالى، وما شرع في الصيد ما هو حلال وما هو حرام أكله، وبيان حرمة الإستقسام بالأزلام التي هي من عمل الجاهلية، وبيان فسوق العمل بها.[٣]

---

(١) فتح القدير ج٢ ص٦

(٢)المرجع السابق ج٢ ص٦

(٣) انظر تفسير الشعراوي ج١ ص٢٢٠

وبعد هذا الإجمال لكمٍ من الشرائع التي تُسير أمور المسلمين وهي من صلب دينهم، بـين الله تعالى أن الكافرين علموا أن دين الإسلام قد اكتمل بهذه الشرائع، مما قذف في قلوبهم اليـأس من النيل من نفوس أهله، أو التأثير بطعنهم فيه أن يردوهم عن الإسلام إلى دينهم، ثم العلـن صراحةً بكمال الدين وشرائعه، وتمام النعمة على المسلمين بهذا الكمال، فقال(**الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**) ثم دعا المسلمين إلى عدم الخشية من الكافرين، ووجوب الخشية فقط من الله رب العالمين.

وبعد هذا البيان لكمال الدين كأنه سبحانه يرد على سؤال تقديره وماذا أُحـل لنـا بعـد هـذه المحرمات؟ ولذلك شرع الله تعالى ببيان ما أُحل لهم بعد ما حرم عليهم، سـواء مـن الـصيد وتوابعه، أو كل ما هو طيب بعيد عن المحرمات، وبيان تحليل أكـل طعـام أهـل الكتـاب، وجواز الزواج من نسائهم، ثم بعد ذلك بيان بعض الشرائع المتعلقـة بالـصلاة مـن غـسل ووضوء وتيمم ليسهل على الأمة عبادتها.(١)

بهذه الشرائع اكتمل دين نبينا محمد ﷺ بهذا الكمال فُضل على غيره من الأنبياء الذين أرسلوا إلى أقوام لم يكتمل الدين وشرائعه فيهم، بحصر زمن الدعوة فيهم، ولعـدم أهليـتهم للكمـال، وبذلك قال نفر من اليهود لعمر ﷺ: [إنكم تقرأون آية في كتابكم لو نزلت علينا معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، فقال: وأي آية؟ قالوا : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**). قال عمر: والله إني أعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها، نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفة في يوم جمعة].(٢)

ثانياً: فضلها بثبات الشريعة وعدم قبولها للنسخ.

إن من فضل الله تعالى أن جعل رسالة محمد ﷺ خاتم الرسالات، وجعل شرائع هذه الرسـالة ثابتة إلى يوم القيامة، غير قابلة للنسخ لأنها آخر الرسالات، فلا نبي بعده ولا رسالة بعـدها، فالرسالات السابقة لم تكن ثابتة، فكل رسالةٍ كانت تنسخ برسالة رسول جاء بعد رسولها، أمـا رسالة محمدﷺ، فهي مهيمنة على الرسالات السابقة، قال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**

---

(٢) انظر فتح القدير ج٢ ص ١٩

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه ح ٤٨

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة:٤٨).

المعنى: بعد ما أمر الله تعالى أهل التوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى، أن يحتكموا لنصوص شرائعهم المتوافقة مع شريعة الإسلام، التي جاء بها محمدﷺ خاطب نبيه ﷺ أنه أنزل إليه الكتاب المعروف بالكمال، وهو القرآن المتلبس بالحق والصدق، والذي هو مهيمن على الكتب السابقة كلها وشاهد على الشرائع التي لم ينسخها القرآن، والمحفوظة عن التغيير لصدقها وصلاحية العمل بها، وبين الأحكام المنسوخة التي نسخها القرآن، والتي لم يصلح بقاؤها، وهذا دليل على أن الشرع الإسلامي شرع محفوظ من التبديل أو النسخ بشريعة أخرى، حيث إن هذا الخطاب من الله تعالى هو بمثابة شهادة منه، لأصول هذه الشرائع والكتاب الذي يضمها، وأنه هو الحق من الله تعالى، وأنه حُفظ من التحريف والتبديل.[١]

ثم أمره أن يحكم بينهم بهذه الشرائع الثابتة وأن لا يتبع أهواءهم التي تُخفي الشرائع الثابتة، وتحكم بالشرائع المنسوخة، وذلك في قوله تعالى(**فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ**) ثم بين أن لكل أمة شرعها الخاص بها، والذي يصلح لقيادتها وأن هذه الأمة يصلح لها هذا الشرع الكامل، الذي يقودها في حياتها(**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**).[٢]

المطلب الثاني: تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على الأنبياء بعموم الرسالة

إن من أفضل ما شُرف به نبينا محمدﷺ على الأنبياء كلهم، عموم رسالته، فقد دلت النصوص وانعقد الإجماع على عموم رسالة محمدﷺ للثقلين الإنس والجن وليس للعرب خاصة، كما زعم بعض أهل الكتاب، قال تعالى ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ (الفرقان:١) ، وقال تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ**

---

(١) انظر تفسير روح المعاني للألوسي ج٥ ص٨

(٢) انظر المرجع السابق ص٩

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ:٢٨). وأخبر ﷺ عن نفسه، أنه رسول الله إلى النــاس عامــةً، والرسول من طبعه وصفاته أنه لا يكذب على المرسل فيهم، فقال ﷺ [لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار][1]. وقال [أُعطيت خمــسا لــم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي....... وكان النبي يُبعث في قومه خاصة وبُعثــت إلــى النــاس عامة][2].

ويتبين من عموم رسالة محمدﷺ ما يلي :

١. أنه بهذا العموم أفضل الأنبياء والمرسلين، وذلك أنه كلما توسعت مهمة أي عاملٍ فــي مكان عمله، فهو بيان نجاحه وفضله على من هو أدنى منه، وكذلك كلما توسعت رسالة نبــي عن محيطها فهي علو شأنٍ لصاحب هذه الرسالة، فما دامت رسالة محمدﷺ قد خرجت عــن محيطها التي بُعثت فيها وهي مكة، حتى عمت العالم بأسره، فهو بيان لعلو شأن صاحب هذه الرسالةﷺ، وخاصة أن رسالته شملت الإنس والجن.

٢. أن أمته أفضل الأمم، ففضل الأمة بفضل المبعوث فيها، وما دام هو أفضل الأنبيــاء، فمن الطبيعي أن يكون شرفها من شرف نبيهاﷺ

٣. إن حاجة أهل الكتاب لرسالته، لا تقل عن حاجة العرب وعباد الأصنام لها، فهم فــي حاجة لتجديد شريعتهم التي حُرفت ودخلها الكثير من الضلالات، والتي ذكرها القرآن الكريم، قال تعالى**﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُــونَ﴾** (آل عمران:٧٨). ولأجل الرد على التجريح الذي حل بأنبيائهم ممن حرف هذه الكتب، فقد قالوا في موسى-عليه السلام- قولاً عظيماً، الله تعالى برأه منه، قال تعالى**﴿يَا أَيُّهَا الَّــذِينَ آمَنُــوا لَــا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾** (الأحزاب:٦٩). وقــالوا في داود وسليمان قولاً حيث نسبوا إليهم الزنا والسحر، والله تعالى أنكر ذلــك علــيهم، قــال تعالى**﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾** (البقرة:١٠٢). وأيضاً قالوا في عيسى- عليه السلام- وأمه قولاً عظيماً، حيث اتهموا أمه- عليها السلام- بالزنــا، من رجل من بني إسرائيل، قال تعالى**﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾** (النــساء: ١٥٦).

المطلب الثالث: تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم بكثرة المعجزات ودوامها

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس ح١٥٣

(2) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ح٤٣٨

إن المعجزة كما أسلفنا في تعريفها هي أمر خارق للعادة، مقرونة بالتحدي مع عدم المعارضة،[1] يجريها الله تعالى على يدي صاحب رسالة، لتبرهن على صدق نبوته، [2] والله تعالى قد ميز الأنبياء عن البشر بالمعجزات، فما من نبيٍ إلا كانت له معجزة مصدقة في دعوته، والمعجزات تختلف في حجمها وقوتها وكثرتها، من نبيٍ إلى نبي آخر، فكل نبي كانت معجزته موافقة لطبيعة القوم الذين بُعث فيهم، من ناحية عنادهم وما اشتهروا به من فنون، وتنقسم المعجزة إلى قسمين: معجزة معنوية، ومعجزة حسية، وأن من أهم ما ميز نبينا محمدﷺ في معجزاته، وفضله بها على الأنبياء أنه ما من نبيٍ سبقه، إلا كانت له معجزة أو بعض المعجزات الحسية فقط، أما نبينا محمداًﷺ فقد عُرف بالمعجزات الحسية والمعنوية معاً. [3]

وبيان ذلك فيما يلي:-

١- المعجزات المعنوية: كإنزال القرآن عليه، وهو أعظم المعجزات، وأبهر الآيات، وأبين الحجج الواضحات، لما اشتمل عليه التركيب المعجز الذي تحدى به الإنس والجن، أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعي أعدائه على معارضته، وفصاحتهم وبلاغتهم، حتى تحداهم بعشر سور منه، فعجزوا، ثم تنازل إلى التحدي بسورة واحدة من مثله، فعجزوا عنه، وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك، قال تعالى﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ (الإسراء:٨٨). [4]

وقال أيضاً﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (هود:١٣)، وقال تعالى﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (البقرة:٢٣).

فقد بين الحق جل وعلا أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، ولو بسورة واحدة، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبداً لا حاضراً ولا مستقبلاً، ومثل هذا التحدي كان يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته ولا الإتيان بمثله، ولو كان منقولاً من عند نفسه

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٢ ص٣١١

(٢) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج١ ص٧٣

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن ج٢ ص٣١١

(٤) انظر معجزات النبي- ابن كثير ص ٣٣-٣٤

لخاف أن يُعارض فينفضح، ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له. ورسول اللهﷺ معروف عنه أنه من أعقل الناس وأصدقهم، فلا يرضى لنفسه أن يُقيل على أمر يكذب به.(١)

ومن معجزاته المعنوية أيضاً، سيرتهﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته وأمته وعلم أمتـه ودينهم وكرامات صالحي أمته، لأن كرامات الأولياء في أمة هي معجزة لنبيها، وتدبر حسبه ونسبه، وبلده وأصله وفصله، حيث كان من أشرف أهل الأرض نسباً، من صميم سلالة إبراهيم، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، ثم هو دعوة إبراهيم-عليه السلام- بالنبوة، ثم هو من صفوة قريش، ومن مكة أم القرى، وبلد البيت العتيق، الذي هو حجيج الناس كلها، ثم أنه ذُكر في كتب الأنبياء بأحسن وصفٍ، ثم كان من أكمل الناس تربيةً ونشأة، حيث عُرف بالصدق والبر ومكارم الأخلاق، والعدل وترك الفواحش، والظلم وكل وصف مذموم من صغره، وكان مشهوداً له بذلك من كل من آمن ولم يؤمن به، ثم إنه كان رجلاً أمياً من أمةٍ أمية لا تعرف ما يعرفه أهل الكتب السماوية السابقة، ولكنه بعد الأربعين سنة جاءهم بما هو أعظم مما عندهم، وبكلام ما سمعه الأولون والآخرون، وبه أقام الدين في حقبة زمنية قليلة، حتى ظهر على أهل الأرض جميعهم.(٢)

٢-المعجزات الحسية: وهي كثيرة أُجريت على يدي محمدﷺ ومنها:

أ_ انشقاق القمر إلى نصفين:

قال تعالى:﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ (القمر:١). لقد اتفق العلماء والأئمة سابقاً ولاحقاً، أن القمر قد انشق لرسول الله ﷺ آية له على صدق نبوته، وقد وردت أحاديث صحيحة تبين وتؤكد هذا الانشقاق (٣)منها:

-ما رواه مسلم وأحمد عن أنس أنه قال[سأل أهل مكة النبي آية، فانشق القمر بمكة فرقتين، فقال تعالى(**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**)] .(٤)

- وما رواه البخاري عن ابن عباس قال [انشق القمر في زمان النبي ﷺ].(٥)

ب_ ومنها ما هو متعلق بالجمادات، ومنها ما هو متعلق بالحيوانات:

---

(١)انظر معجزات النبي- ابن كثير ص ٣٣-٣٤

(٢) انظر المصدر السابق ص٤٣

(٣) انظر تفسير الشعراوي ج١ ص١٣٠٩

(٤)صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر ح٢٨٠٢

(٥) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ح٤٨٦٨

*أما ما يتعلق بالجمادات :

فمثل تكثير الماء في غير موطن، ونزول الماء من بين أصابعه، ، عن أنس، قال: [رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم] (١).

وما رواه البراء ابن عازب، قال: [كنا يوم الحديبية أربعة عشر مائة، والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس رسول الله ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر، فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا، وروت أو صدرت ركابنا].(٢)

وتكثير الطعام: رويَّ عن أبي هريرة كان يقول:[والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم"الصحابة" الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل، فمرَّ عمر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل، فمرَّ أبو القاسمﷺ فعرف ما في وجهي وما في نفسي، فقال: أبو هريرة، قلت له: لبيك يا رسول الله، فقال ألحق، فاستأذنت فأذن لي، فوجدت لبناً في قدح، قال: من أين لكم هذا اللبن، فقالوا: أهداه لنا فلان أو آل فلان، قال: أبا هُر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: انطلق إلى أهل الصفة فادعوهم لي، قال وأهل الصفة أسنان الإسلام، لم يأووا إلى أهل ولا مال إذا جاءت رسول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم، ولم يصب منها، قال: وأحزنني ذلك، كنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي، وليلتي، وقلت: أنا الرسول فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم، وقلت: لم يبق لي من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله ورسوله بد، فانطلقت ودعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال: أبا هريرة خذ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيهم، فيأخذ الرجل القدح، فيشرب حتى يروى، ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم ودفعت إلى رسول اللهﷺ فأخذ القدح فوضعه في يده، وبقيَ فيه فضله ثم رفع رأسه ونظر إليَّ وتبسم وقال: أبا هريرة قلت: لبيك رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: فاقعد واشرب، قال: قعدت فشربت، ثم قال لي: اشرب، فشربت، فما زال

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ح١٦٩

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ح٣٥٧٧

يقول لي اشرب، فأشرب حتى قلت: والذي بعثك بالحق لا أجد له فيَّ مسلكا، قال: ناولني القدح فرددت إليه القدح فشرب، من الفضلة].[1]

- **أما ما يتعلق بالحيوانات:**

عن أنس قال:[كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه(أي يسقون عليه) وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نستني عليه، وأنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه:قوموا، فقاموا، فدخل الحائط والجمل في ناحيته فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، إنه قد صار مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته، فقال: ليس عليَّ منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله بناصيته، أذل ما كان قط، حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل أن تسجد لك ونحن أحق أن نسجد لك، فقال: لا يصلح لبشرٍ أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنفجر بالقيح والصديد، ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه][2].

ويرى الباحث: أنَّ أغلب المعجزات الحسية للأنبياء السابقين كان مثلها لرسول الله ﷺ وزاد عليهم بالمعجزات المعنوية، فإن كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم-عليه السلام- فقد كانت النار برداً وسلاماً على بعض أصحابه الذين عُذبوا بالنار، وكرامة الأولياء في زمن هي معجزة لنبيه، وإن كانت عصى موسى-عليه السلام- معجزة له ، يفجر بها الماء من الحجر، فقد كان الماء يتفجر من بين أصابعه ﷺ،كما حدث يوم تبوك لما انقطع الماء عن الجيش، فدعا ربه وفتح أصابعه، وانهالت الماء من بينها حتى شرب القوم كلهم، كما ورد في السيرة.

وإن كانت الجبال قد سبحت مع داود-عليه السلام-، فقد سبح الحصى بين يدي رسول الله ﷺ كما ورد في الأحاديث الصحيحة، وإن كان سليمان-عليه السلام- قد خاطب البهائم، فقد صح عن النبي ﷺ أن كلمها، منها الجمل والغزال والذئب.

---

(1) مسند الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق ١٠٣٠١ ، صححه شعيب الأرنؤوط وقال على شرط البخاري

(2) مسند الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك ح١٢٢٠٣ ، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره

وإن كان عيسى-عليه السلام- قد أبرأ الأكمه والأبرص ، فقد أشفى رسول اللهﷺ مثلها، كما ورد في روايات صحيحة، وإن كانت عصى موسى-عليه السلام- قد أضاءت بالنور معجزة يتحدى بها فرعون، فقد أضاء الله تعالى النور لرسولناﷺ يوم الخندق، حيث خرج من الصخرة التي ضربها رسول الله ﷺ بمعوله نور ملأ ما بين السماء والأرض، أراه بها قصور كسرى والشام. عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ :[أَمَرَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم بِالْخَنْدَقِ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَتَاهُ قَوْمٌ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا صَفَاةً لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَنْقُبُوهَا ، فَقَامَ رَسُولُ الله وَقُمْنَا مَعَهُ ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ ، فَضَرَبَ ، فَلَمْ أَسْمَعْ ضَرْبَةً مِنْ رَجُلٍ كَانَتْ أَكْبَرَ صَوْتًا مِنْهَا ، فَقَالَ : الله أَكْبَرُ ، فُتِحَتْ فَارِسٌ ، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى مِثْلَهَا ، فَقَالَ : الله أَكْبَرُ ، فُتِحَتِ الرُّومُ ، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى مِثْلَهَا ، فَقَالَ : الله أَكْبَرُ ، وَجَاءَ الله بِحِمْيَرٍ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا] [1]

وإن كان الله تعالى كلم موسى تكليماً، بالواد المقدس طوى، فقد كرم الله تعالى نبيه ﷺ بتكليمه عند سدرة المنتهى، قال تعالى﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى* مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى* أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى* عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى** ﴾ (النجم:٨-١٤) ،

إذاً كل المعجزات وغيرها الكثير الكثير، هي زيادة فضل للنبيﷺ على الأنبياء كلهم، مع معجزته الخالدة، التي لم تنقض إلى يوم القيامة، فكل معجزة انتهت بموت نبيها، إلا معجزة النبي ﷺ فهي المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة.

المطلب الرابع: تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة

الشفاعة اصطلاحا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة،[2] وهي تنقسم إلى قسمين: شفاعة باطلة وشفاعة صحيحة.

الشفاعة الباطلة: وهي ما يتعلق بها المشركون بأصنامهم، حيث يعبدونها، ويطلبون منها الشفاعة ويزعمون أنها شفعاء لهم عند الله، قال تعالى﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَالا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (يونس:١٨). وهذه الشفاعة باطلة عند الله كما قال الله تعالى﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ (المدثر:٤٨) .

الشفاعة الصحيحة: وهي ما كانت بشروط معينة.[1]

([1]) كتاب الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، باب الإمارة ج ٥ ص٢٣٠

([2]) شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، لسليمان بن محمد اللهيميد ص ١٢٥

أولاً: رضا الله تعالى عن الشافع، سواء كان نبياً أو شهيداً، أو عالماً أو صالحاً، أو أخـــلاء أو آباءً ، أو أبناءً صالحين، قال تعالى﴿ **وكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوات لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَــيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾ (النجم:٢٦).

ثانياً: رضا الله تعالى عن المشفوع له، إلا في الشفاعة الكبرى لبدء الحساب فهي للجميع.

ثالثاً: إذنه جل وعلا في الشفاعة، فالله تعالى لا يسمح لأحد بالشفاعة حتى الأنبياء، إلا بإذنـــه، قال تعالى﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه**﴾ (البقرة:٢٥٥) .[٢]

ومن خير ما فضل بهﷺ على الأنبياء أن أعطاه الشفاعة الكبرى للبشرية كلها ببدء الحــساب بعد شدة العناء في المحشر، وقد أسلفنا ذكرها في المباحث السابقة، حيث أشفق منها آدم أبـــو البشر -عليه السلام- ولم يجرؤ عليها، وأشفق منها نوح-عليه السلام- أبو البشر بعد آدم ولم يجرؤ عليها، وأشفق منها إبراهيم-عليه السلام- وهو أبو الأنبياء كلهم وخليل الرحمن، ولـــم يجرؤ عليها، وأشفق منها موسى-عليه السلام- كليم الله والذي اصطنعه الله لنفسه وعلى عينه ولم يجرؤ عليها، وأشفق منها عيسى-عليه السلام- روح الله وكلمته ولم يجرؤ عليها، وتجرأ عليها محمدﷺ لعلمه أنها كرامة له وليست لغيره من الأنبياء، لقوله تعالى﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّــدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ (الإسراء:٧٩). قال ابن تيمية في شرح العقيدة الواسطية: " فهذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون، والـــذي وعده الله أن يبعثه إياه والذي يحمده عليه أهل الموقف جميعاً، وقد أمرنا نبينا ﷺ إذا ســـمعنا النداء أن نقول بعد الصلاة عليه اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمـــة، آت محمـــداً الوسيلة، والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته".[٣]

ثم شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، حيث لا يُسمح لأحد بدخول الجنـــة حتـــى يـــشفع رسول الله ﷺ لداخليها بدخولها، وهذا من شرفه ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين، وقد أسلفنا شرح ذلك في المباحث السابقة.

المطلب الخامس: تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم بأن رفع له ذكره

إن من أهم كرامات محمدﷺ عند ربه أن رفع له ذكره على الخلائـــق كلهـــا، حتـــى الأنبياء، فقال تعالى﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ (الشرح:٤) .

([١]) انظر شرح العقيدة الواسطية (متن العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية) ٩٥٦

([٢]) انظر شرح العقيدة الواسطية ٩٥٦

([٣]) المرجع السابق ص٩٤٨

أي النبوة وغيرها، وأي رفع مثل أن قرن اسمه ﷺ باسمه عز وجل في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعة له، وصلى عليه في ملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه، وخاطبه بالألقاب، مثل يا أيها المدثر، يا أيها المزمل، يا أيها النبي، يا أيها الرسول، وذكره الله تعالى في كتب الأولين، وأخذ على الأنبياء - عليهم السلام - وأممهم أن يؤمنوا به ﷺ (١)

عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ [آتاني جبريل - عليه السلام - فقال: إن ربك يقول لك: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله تعالى أعلم، قال: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي].(٢)

ويشير إلى ذلك قول حسان:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذ قال في الخمس المؤذن أشهد(٣)

يقول الباحث: لقد أعطى الله تعالى رسولهﷺ في مقام الرفعة والذكر، أفضل ما أُعطي الأنبياء كلهم، فإن كان الله تعالى أسجد الملائكة لآدم - عليه السلام - فهي مرة ما تكررت، ولكن الله تعالى صلى على محمدﷺ وأمر الملائكة والناس أجمعين أن يصلوا عليه إلى يوم القيامة، قال تعالى ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(الأحزاب :٥٦). وإن كان الله تعالى خاطب كل نبي باسمه كقوله: يا آدم ، يا نوح، يا إبراهيم، يا لوط يا عيسى، فقد نادى حبيبه محمداًﷺ بأشرف الألقاب والرتب، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ (المائدة٦٧) وقال تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ** ﴾ (الطلاق:١). وإن كان الله تعالى رفع بعض أنبيائه إلى السماء مكاناً عليا، فقد رفع حبيبهﷺ مكاناً لم يبلغه أحد من الأنبياء ولا الملائكة، حتى بلغ سدرة المنتهى، التي قال عندها جبريل - عليه السلام - لمحمد ﷺ يا محمد تقدم، فقال له: يا جبريل أفي هذا المقام يترك الخليل خليله، فقال: يا محمد، أنت إذا تقدمت اخترقت وأنا إذا تقدمت احترقت.(٤)

وإن كان الله تعالى قال لإبراهيم أذن بالناس، فإن الله تعالى أمر المؤمنين في العالم بأسره أن يأذنوا باسم الله ومعه اسم محمدﷺ. وإن كان الله تعالى إذا ما اشتد الأمر بأحد الأنبياء أقسم له بنفسه، أنه سيفعل كذا وكذا، فإنه قد أقسم لمحمد بعمره حباً له وإجلالاً له، قال تعالى﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ (الحجر:٧٢)

---

(١) انظر تفسير روح المعاني ج٢٣ ص٢٢

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب الزكاة، باب ذكر الإخبار عن إباحة تعداد النعم للمنعم على المنعم عليه في الدنيا ح٣٣٨٢ ، ج ٨ ص ١٧٥ ضعفه شعيب الأرنؤوط

(٣) انظر تفسير روح المعاني ج٢٣ ص٢٢

(٤)انظر تفسير روح المعاني ج ٥ ص٩١

المطلب السادس: تفضيل محمد ﷺ على الأنبياء بالإسراء والمعراج

إن الله تعالى جعل لكل نبي من الأنبياء مناجاة، منها ما كان عن طريق الوحي، وهو ما حدث لأكثر الأنبياء والرسل، ومنها ما كان من وراء حجاب، كما حدث لموسى -عليه السلام- في الواد المقدس طوى، قال تعالى ﴿ **وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾ (النساء:١٦٤) .

أما مناجاة محمد ﷺ فهي مناجاة خاصة، لم تكن لأحد من الأنبياء من قبله، حيث اختار له ربه جل وعلا مناجاة خاصة في السماء، حيث أرسل له جبريل -عليه السلام- فعرج به إلى السماء، وهناك كانت المناجاة العظمى، والتي تشرف بها محمد ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين.[1] فإن كان موسى -عليه السلام- قد كلمه الله تعالى وناجاه عند طور سيناء، فالله تعالى ناجى محمداً عند سدرة المنتهى، وشتان بين مكانين، مكان العلو في السماء لا يتعداه أحد حتى الملائكة المقربون، ومكان أرضي يمشي فيه ويدخله كل الناس، ولا يحجب عن أحد. وشتان بين مناجاة الله تعالى يأمر بها موسى -عليه السلام- أن يصوم أربعين يوما، ليرود نفسه لهذه المناجاة، ومناجاة الله تعالى أمر ملائكته بشق صدر نبيه محمد ﷺ وغسله وحشوه بالعلم والنور، والإيمان، قبل أن يعرج إلى السماء.

ولقد اختلف العلماء في كيفية الإسراء والمعراج، هل هي بالجسد والروح في حال اليقظة، أم هي بالروح فقط في حال النوم؟ فقال بعضهم: هي بالروح فقط، وليس بالجسد، ولكن الأصح بالجسد والروح معاً، وفي حالة اليقظة.

و قال بعضهم: هي مرتان، مرة بالروح والجسد، ومرة بالروح فقط خروجاً من الخلاف. [2]

يقول الطحاوي: " ومما يدل أن الإسراء بجسده في اليقظة، قال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(الإسراء:١). والعبد هو عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح. وهذا هو المعروف عند الإطلاق وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلاً ، ولو جاز استبعاد صعود البشر إلى السماء، لجاز استبعاد نزول الملائكة منها، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر".[3]

([2])انظر القول المبين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الطيب النجار ص١٥٤

([3])انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني في شرح صحيح البخاري ج٧ ص١٩٧

([3]) العقيدة الطحاوية ص٢٢٦

وقد أورد البقاعي في تفسيره لسورة الإسراء بعض اللطائف القيمة، قال في بعضها: لما ختم الله تعالى سورة النحل ببيان فضل إبراهيم -عليه السلام- وأمر الأمة بإتباعه، وتعهد بنصرة أولياءه وأنصاره مع ضعفهم في ذلك الزمان، وقلة عددهم وكان ذلك من خوارق العادات، حتى ظن القارئ للآيات أن إبراهيم -عليه السلام- أفضل من محمدﷺافتتح الله تعالى سورة الإسراء بما اختتم به سورة النحل، من خرق للعادات بعد أن نزه نفسه ومدحها فقال تعالى(**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**) .حيث نزه نفسه الشريفة من توهم واستبعاد ذلك الأمر، وبين أنه قادر على أن يفعل الأمور العظيمة في أسرع وقت، ثم إن فيها تنويهاً وإعلاماً بأن محمداًﷺ هو رأس المحسنين وأعلاهم رتبة، وأعظمهم منزلة، بما آتاه الله من الخصائص، والتي منها المعراج إلى السماء. (١)

بدأ الله تعالى السورة بسبحان، والتي معناها: تنزيه الله عن كل نقص، وعن كل شائبة يضيفها إليه أعداؤه، لعلمه جل وعلا أن القوم سيكذبون هذا الخبر، ثم بين زمن هذه الرحلة ليلاً ليدل على أن هذا الأمر الجليل العظيم كان في جزء يسير من الليل، وأن محمداًﷺ لم يحتج فيه إلى صوم أربعين يوماً كما كان مع موسى -عليه السلام- في مناجاته مع ربه. فكان الانطلاق من الفرش إلى العرش. ثم بين جل وعلا نقطة الانطلاق وهي المسجد الحرام، ونقطة الوصول وهي إلى المسجد الأقصى، وبيان بركة مكان الوصول، ليربط جل وعلا، بين بركة المكان وبركة الزائر إليه، وهو الذي شُرف بالعبودية. (٢)

وقوله تعالى(لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا)، هو بيان لغرض هذه المعجزة الخارقة، وهي الرؤية بالعين والقلب لهذه الآيات، السماوية والأرضية، كما رأى إبراهيم -عليه السلام- ملكوت السماوات والأرض، ولما كان المعول عليه في إدراك الآيات، حس السمع والبصر، ولما كان تمام الانتفاع بذلك هو العلم، ولما كان هذا النبي قد خصه الله بكمال الحس، حتى كان حس غيره معه عدماً، عبر عن ذلك كله بقوله تعالى(هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) . فلفظ إنه يعود على هذا العبد الذي اختصه بالإسراء وهو محمدﷺ. ومعنى السميع: أي سميع بالأذن والقلب، سميع بالإجابة لنا والإذعان بأوامرنا. وبصير: بصراً وبصيره والدليل ما أخبر به قومه من الآيات، وصدقه بالدلالات، حيث وصف كل ما سألوه من وصفٍ، عن رحلته الأرضية، سواء في بيت

(١)انظر نظم الدرر ج٤ ص٣٢٧

(٢)انظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ج١ ص٨٧٧

المقدس ووصفه لهم، أو في طريقها، حيث وصف لهم المقبلة منه، حتى اضطر من سمع هذا الوصف أن يقول: أما الوصف فصادق، وأما الواصف فساحر.(١)

والذي يراه الباحث: أن البصر على أقسام، بصر بالعين، وبصر بالعقل، وبصر بالقربة، وبصر النبوة، أما بصر العين فهو مطلق لكل الناس يرى كل واحدٍ من البشر على قدر ما أعطاه الله تعالى من قوة بصرٍ في عينيه، وأما بصر العقل فهو لأولي الألباب من الناس الذين توصلوا به لحقيقة التوحيد، وأما بصر القربة فهو الذي خُص به الأولياء وهو نور الفراسة. وأما بصر النبوة فهو خاص بالأنبياء اصطفاهم الله تعالى بها للنبوة، فرسولناﷺ جُمعت له هذه الأبصار كلها، شرفاً وكرماً له، فكان مطلعاً على الملك والملكوت بالعين البصيرة كما قال تعالى **﴿مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى* لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾** (النجم:١٧-١٨). وقالﷺ [إن الله تبارك وتعالى زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها](٢)

أما بصيرة العقل فقد كان رسول الله ﷺ أكمل الناس عقلاً، وفهماً حتى دانت له قريش قبل نبوته في حل كثير من مشاكلهم الاجتماعية، وخاصةً نزاعهم في وضع الحجر الأسود.أما بعد النبوة فالله تعالى هو الذي هدى عقله قال تعالى**﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى*إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾** (النجم:٣-٤) .

المطلب السابع: تفضيل محمدﷺ بخصال لم تعط لنبي قبله

إن الله تعالى قسم الأعطيات على أنبيائه كلٌ على حسب فضله وطبيعة قومة وطبيعة رسالته، ولذلك أعطى محمداً خصالاً ما أعطاها للأنبياء السابقين سواء من المعجزات، أو من الشرائع، كما قال في الحديث الصحيح[أُعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهرٍ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة، فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة].(٣)

وهذا بيان لبعض الخصال التي خُصت لنبينا محمدﷺ

(١) انظر نظم الدرر ج٤ ص٣٢٧

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ح٢٨٨٩

(٣) صحيح البخاري، كتاب التيمم ، باب قول الله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا ح٣٣٥

١ - **النصرة بقذف الرعب في قلب أعدائه**: وهذه من أفضل ما أُعطي رسول الله ﷺ من خصال ما أعطاها لنبي من قبله ، وذلك أن سلاح الرعب كان لرسول الله ﷺ سلاحاً فتاكاً يزلزل قلوب أعدائه، إما من قبل أن يخرج إليهم، بمسيرة شهرٍ وإما على أرض المعركة، فهذه قريش لما غدرت بعهودها التي أبرمتها مع رسول الله ﷺ وقتلت من حليفه خزاعة، تحرك الرعب في قلب قريش وسادتها، فعقدت مجلساً استشارياً, وقررت أن تبعث قائدها أبا سفيان ممثلاً لها ليقوم بتحديد الصلح مع النبي ﷺ مقابل هذا الغدر، وتحرك أبو سفيان إلى المدينة، ولم ينجح بذلك، حتى عاد إلى مكة خائباً، ولما أخبر قومه بما لاقاه من النبي ﷺ وأصحابه، سقط الرعب في قلوبهم، وبقيَ هذا الرعب مسيطراً على قلوبهم من محمدٍ ﷺوجيشه حتى دخل النبيﷺ والمسلمون مكة فاتحين تملأ قلوبهم الطمأنينة والسكينة واثقين بنصرة الله لهمً، فلم يجدوا من قريش من يشهر في وجوههم سيفاً، بل لجؤوا إلى البيت الحرام، مؤتمنين فيه، وبعضهم أغلق على نفسه باب داره خوفاً ورعباً من محمد ﷺوالمسلمين، قال تعالى ماناً على رسوله هذا النصر بسلاح الرعب﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا* لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا* وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا* هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ (الفتح:١-٤).[١] وأما سلاح الرعب في أرض المعركة، وخير شاهدٍ عليه يوم بدرٍ حيث خرجت قريش بعيرها ونفيرها، متبطرة ومرائية ومعاندة لله ورسوله، حتى قال زعيمها أبو جهل، لما أخبر بنجاة القافلة، وأُشير عليه بالرجوع، وعدم القتال، قال مقسماً باللات والعزى: لا نرجع حتى نرد بدرا، فنقيم بها ثلاثاً، ننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع العرب بمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا[٢]، فلما تراءا الجمعان، قذف الله تعالى في قلوبهم الرعب، وتحول الاستبشار بالنصر إلى رعب، يخلع قلوبهم، ويزلزلها، حتى أصبحوا طعما لسيوف الموحدين، يتساقطون بين قتيل وأسير، وفر با قيهم إلى مكة، يجر ذيول الخزي والعار والهزيمة، والله تعالى أخبر رسوله أنه هو الذي نصر الثلة المسلمة، بمدد من عنده وهزم الثلة الكافرة، بسلاح الرعب، قال تعالى ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا**

---

(١)انظر الرحيق المختوم ص٤٠٢

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص ٣٢٠

مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال:١٢) أي هو الذي رما السهام في أعناقهم وأجسادهم، ورما الرعب في قلوبهم، فالتقت السهام المادية مع الرعب المعنوي، فتزلزلت أجسادهم النجسة فهزموا.

يقول القطان في تفسيره :"إذا كنتم أيها المؤمنون قد انتصرتم عليهم وقتلتموهم فإنكم لم تفعلوا ذلك لقوتكم، بل إن الله تعالى هو الذي نصركم عليهم بتأييده لكم، وإلقاء الرعب في قلوبهم وما رميت أيها الرسول إذ كنت ترمي التراب والحصا في وجوههم، ولكن الله تعالى هو الذي رمى فأفزعهم".[١]

هذا مع مشركي العرب من قريش وحلفائها، أما مع أهل الكتاب، فيوم بني النضير ويوم خيبر، وقينقاع خير شاهدٍ، حيث كان في كل معركة ولقاء بين النبيﷺ وجماعة من اليهود، تكون اليهود على مستوى عالٍ من الاستبشار بالنصر، ولكن إذا ما التقى الجمعان، قذف الله تعالى في قلوبهم الرعب، قال تعالى**﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي المُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾** (الحشر:٢).[٢]

إن من أسرار هذا السلاح، أنه يتحول من قلوب المؤمنين، ويُقذف في قلوب المشركين، فأغلب المعارك التي خاضها المسلمون مع أعدائهم كان الرعب بدايةً يملأ قلوب المسلمين، من كثرة عدد عدوهم وعدتهم، وتكون المعنويات العالية في صفوف جيش المشركين، مغترين بعدتهم وعددهم، ولكن سرعان ما يُحول الله تعالى هذا الرعب في قلوب الموحدين إلى طمأنينة وسكينة، فيستبشروا بالنصر، وتُحول الطمأنينة في قلوب أعدائهم إلى رعب وخوف، فينهزموا قبل بدء المعركة، وخير دليل أن المسلمين أقبلوا على أرض بدر بخوف شديد، لقلة عددهم وعدتهم وعدم استعدادهم للحرب، حتى جادلوا الرسول في ذلك، قال تعالى: **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ* يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُون ﴾** (الأنفال:٥-٦) ولكن سرعان ما تحول هذا الرعب والخوف في قلوب المؤمنين إلى طمأنينة وسكينة، واستبشار بالنصر، بعد أن أنزل الله تعالى عليهم النعاس ونزّل من السماء المطر، وقلل جيش الأعداء في أعينهم، وقُذف الرعب في قلوب الأعداء لما كثَّر الله تعالى عدد المؤمنين في أعينهم في أرض المعركة فهُزموا.

---

(١) تفسير القطان ج٢ص١٠٠

(٢)انظر المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ج١٢ ص٩٩

وكذلك يوم الأحزاب، الله تعالى وصف لنا حال المؤمنين، لما رأوا الأحزاب بكثـرة عـدتهم، ونزولهم عليهم من كل جانب، وما حلَّ في قلوبهم من خوف وفزع فقال تعالى:﴿ **إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ (الأحزاب:١٠-١١) ولكن سرعان ما تحول حال المؤمنين من الخوف إلى الاستبشار بالنصر والطمأنينة، فقالوا بلسان المطمئن بنصر الله : هذا هو وعد الله الصادق الذي وعدنا ورسوله، قال تعالى ﴿ **وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ (الأحزاب:٢٢) . وتحولت الطمأنينة في قلوب جيش الكفر إلى خوف ورعب.[1] قال تعالى﴿ **وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا* وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا**﴾ (الأحزاب:٢٥-٢٦).

٢- **جعل الأرض له ولأمته مسجداً وطهورا**: إن من مظاهر محبة الله تعالى لنبيه محمدﷺ، أن يسر العبادة على أمته، ومن مظاهر التيسير في عبادة أمته، أن يسر لها في صلاتها وطهورها، حيث جعل كل الأرض لأمته مسجداً وطهوراً، فضلاً عن الأمم السابقة التي كانت لا تُقبل صلاتهم إلا في كنائسهم ومحاريبهم، قال تعالى ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (الحج:٧٨). وجعل طهورها الماء والتراب، فإذا ما غاب الماء حل التيمم بالتراب بدلاً منه، وهذا منَّةٌ من الله وفضلٌ لأمته، قال تعالى:﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ (النساء:٤٣) يقول ابن حجر في معنى طهوراً :" إن الطهور الطاهر المطهر لغيره، وليس الطاهر فقط، فلو كان المراد به الطاهر فقط لم يثبت به الخصوصية".[2]

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ، قام يصلي يوم تبوك، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه، حتى إذا صلى وانصرف إليهم، فقال لهم:[لقد أُعطيت الليلة خمساً ما أُعطيهن أحد

---

(١)انظر أيسر التفاسير ج٤ ص٢٤٩

(٢) فتح الباري ج١ ص٤٣٨

قبلي،.......... وجعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً، أينما أدركتني الصلاة تمسَّحت وصليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم] (١)

٣- **وأحلَّ الله له الغنائم**: إن الله تعالى قد أحل الغنائم للنبي محمد ﷺ، وخصَّه بها، وكانت الأمم الكتابية السابقة تجمع الغنائم، فتنزل نار من السماء فتحرقها، فالله تعالى رحم نبينا وأمته، فأحل لهم هذه الغنائم، يستمتعون بها لضعفهم وعجزهم وفقرهم، قال تعالى﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ.....**﴾ (الأنفال:٤١). عن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:[غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا ينبغي لرجل ملك بُضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولما يبن بها، ولا أحد بنا بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها. فغزا، فدنى من القرية صلاة العصر أو قريب من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت -يعني النار- لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، لما رأى ضعفنا وعجزنا، فأحلها لنا] (٢)

٤- **جعل شرعه في معجزته**: إن المتفحص في معجزات الأنبياء السابقين جمعيهم، يجد أن هناك انفكاك وفصل ما بين معجزة هذا النبي، وبين شرعه الذي جاء به، فالمعجزة كانت لهم لإثبات صدق الرسالة، وليست للتشريع، فما وجدنا علاقة بين عصا موسى-عليه السلام- وبين التوراة التي أنزلت عليه. وما وجدنا علاقة بين معجزة داود –عليه السلام- بتكليمه الدواب كلها، والزبور. وما وجدنا علاقة بين إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، في معجزة عيسى- عليه السلام- و الإنجيل الذي أنزل عليه. أما رسولنا محمدﷺ فإننا نرى أن أعظم معجزة له هو القرآن، وأن شرع رسالته كلها في هذا القرآن، قال تعالى﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ (النساء:١٠٥) وقال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (النحل:٤٤) وقال تعالى:﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (النحل:٦٤) . ولذلك ما وجدنا من تشريعٍ لحلال أو حرام، أو أمرٍ أو نهيٍ إلا قد انبثق

---

(١) مسند الإمام أحمد ، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ح٧٠٢٨ ، صححه شعيب الأرناؤط

(٢) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس ، باب قول النبي أحلت لي الغنائم، ح٣١٢٤

من هذا القرآن، الذي هو المعجزة الخالدة لنبيناﷺ أو من السنة التي أُستمد أصلها من القرآن، حيث لا انفكاك بين القرآن والسنة، فالسنة مفسره للقرآن.[1]

٥- **جعل الله تعالى دين محمدﷺ فوق الأديان كلها، وأمته فوق الأمم كلها**: لقد تكفل الله تعالى لنبيه محمدﷺ من أول بعثته بالظهور،فجعل دينه الذي ارتضى له فوق الأديان كلها، قال تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ** ﴾ (الصف:٩والتوبة:٣٣).

والمعنى: أنه تعالى قد أرسل محمداًﷺ بدين الإسلام، دين الحق الثابت، المتمثل بالقرآن، الذي هو هدىً للمتقين، لأجل أن يظهره على الدين كله رغم كراهية الكافرين، والمشركين لهذا الظهور. ولقد اختلف العلماء في هاء الضمير، في قوله:" ليظهره" على من تعود؟ هل على النبيﷺ ؟ بمعنى أن يُظهر محمداًﷺ على جميع أهل الأديان كلها، أو تعود على الإسلام الذي هو دين الحق، ليُظهره على الأديان كلها، والتي نُسخت به. لكن أغلب أهل العلم جعلوها عائدة على الإسلام، وذلك عند نزول عيسى-عليه السلام- حيث حينها لا يبق دين سوى دين الإسلام.[2]

وجعل أمته فوق الأمم كلها، قال تعالى﴿ **وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ (آل عمران:٥٥) .

وهذا القول لعيسى-عليه السلام- ولكن لمَّا بعث الله محمداًﷺ كان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، على الوجه الحق، فكان أتباع محمدﷺ هم أتباع لكل نبي على وجه الأرض، إذ قد صدقوا الرسول الذي دعاهم للتصديق بجميع الأنبياء والرسل، فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته وهم كاذبون، ولما كانوا هم المؤمنين بالمسيح الإيمان الحق، كما آمنوا بنبيهم محمدﷺ ، فهم الذين ظهروا على مشارق الأرض ومغاربها، ودانت لهم الأرض، ولما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقا، سلبوا من النصارى بلاد الشام، وأجلوهم إلى بلاد الروم. ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة، حيث أخبر الرسولﷺ بأن أمته سيفتحون القسطنطينية، ويغنمون ما فيها من الأموال، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جداً، لم ير الناس مثلها، ولا بعدها. وكذلك فعل باليهود الذين

---

(1) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ج٢ ص٢

(2) انظر تفسير روح المعاني ج١٩ ص ٤٩

كذبوا بعيسى، وقالوا فيه وفي أمه قولاً فاحشاً عظيماً، حيث أظهر علـــيهم المـــسلمين الـــذين صدقوا وآمنوا بنبوته، حتى أجلوهم من ديارهم وغنموا أموالهم وأملاكهم.[1]

---

(1) أنظر تفسير ابن كثير ج١ ص١٢٦

المبحث الثالث

تفضيل محمد ﷺ قبل بعثته

وفيه ثلاثة مطالب: -

المطب الأول: فضل محمدﷺ بذكره في الكتب السماوية السابقة

المطلب الثاني: فضل محمدﷺ بذكره على ألسنة الأنبياء والمرسلين

المطلب الثالث: فضل محمدﷺ بشهادة أهل الكتاب له

المبحث الثالث

تفضيل محمد ﷺ بذكره قبل بعثته

إن من مظاهر محبة الله تعالى لنبيه وتفضيله على سائر الأنبياء أن أعلن عنه قبل بعثته، وما كان ذلك إلا لنبينا محمد ﷺ دون الأنبياء جميعهم.

ولبيان ذلك الفضل قسم الباحث هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضل محمد ﷺ بذكره في الكتب السماوية السابقة

لقد ذكر محمدﷺ في الكتب السماوية السابقة كلها، وما ذلك إلا لعلو قدره ومقامه عند الله تعالى، وبين الأنبياء والمرسلين، قال تعالى **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾**(الأعراف:١٥٧)

لقد كانت اليهود تعلم أن محمداًﷺ نبيٌ مرسل- وأن الله تعالى أوجب عليهم الإيمان به واتباعه، وأوجب عليهم ترك دينهم، واتباع دينه، وأوجب عليهم أن يأمروا المشركين عبدة الأصنام الذين لا كتاب لهم أن يتبعوه، وبهذه المعرفة وهذا العلم بحقيقة محمدﷺ عندهم وفي كتبهم كانوا إذا ما قاتلوا العرب، وهزموا أمامهم، يقول بعضهم لبعض: تعالوا نستفتح على العرب بمحمد الذي وُعدنا أنه يخرج لنا نبي من العرب، فيقولون: اللهم بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أنك تخرجه، إلا نصرتنا عليهم. فيجابون أحياناً الدعاء. ولكن لما بُعث النبي ﷺ في العرب ومن العرب، كفروا به حسداً من عند أنفسهم والله تعالى لعنهم بهذا التكذيب، والإنكار، قال تعالى: **﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾** (البقرة:٨٩).[1]

وفي رواية عن عبد الله بن سلام أحد أحبار اليهود الذين أسلموا ، أنه لما رأى أوصافه في التوراة، وحسن إسلامه يقول:[إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ : إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً

---

(1) انظر كتاب الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجرِّي ص ٣٥١

*ترجمة الإمام الأجري:هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجري البغدادي المكي،ولد سنة٢٨٠هـ ونشأ ببغداد بمحلة تسمى" درب الأجر"، ثم انتقل حاجاً إلى مكة، فأقام فيها حتى توفاه الله سنة٣٦٠ هـ - أخذ العلم عن أبي مسلم الكحي، وأبي شعيب الحراني، وخلف العكبري، وأحمد الحلواني وجعفر بن محمد القرياتي، وغيرهم، وتتلمذ على يديه خلق كثير منهم: الحافظ أبو نعيم الأصفهاني،وأبو القاسم عبد الله السكري،وعبد الله العكبري

ونذيراً، وحرزاً للأمين، أنت عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا نحاب في الأسواق، ولا يجزى بالسيئة إلا مثلها، ولكن يعفوا ويتجاوز، لن أقبضه حتى يقيم الألسنة المتعوجة، بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله، يفتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً].(1)

أما ما وجد في كتب النصارى من صفات رسول الله ﷺ والإخبار به، قال تعالى في حقهم:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ*وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة:٨٢-٨٣) .

والمعنى: لقد فرق الله تعالى في هاتين الآيتين بين اليهود والمشركين من ناحية، وبين النصارى من ناحية أخرى، وذلك من الجانب الإيماني وتقبلهم للنبيﷺ حيث أن اليهود هم أصحاب قلوب قاسية، والمشركين أصحاب عقائد متوارثة عن أبائهم وأجدادهم، صعب عليهم تركها، أما النصارى فعندهم القساوسة والرهبان الذين يلين كثير منهم للحق لما يسمعوه، فالآيات نزلت في حق النجاشي وأصحابه من القساوسة والرهبان، الذين لما سمعوا ما أنزل على النبي ﷺ بكت عيونهم وصدقت قلوبهم، فسرعان ما أمنوا وطلبوا من الله أن يكونوا من الشاهدين بالحق عليه.(2)

وقصة النجاشي مع المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة، فارين بدينهم، والحوار الذي دار بين جعفر بن أبي طالب والنجاشي وقساوسته من جانب آخر، خير دليل على أن وصف الرسولﷺ موجود في الإنجيل، وذلك أن رسول اللهﷺ بعث جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم، في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة، فلما بلغ ذلك المشركين بعثوا عمرو بن العاص برهط منهم سبقوا أصحاب النبيﷺ إلى النجاشي، فقالوا له: إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها، زعم أنه نبي وأنه بعث إليك رهطاً ليفسدوا عليك قومك، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم، فقال: إن جاءوني نظرت فيما يقولون، فقدم أصحاب النبيﷺ فأتوا إلى باب النجاشي، فقال استأذن لأولياء الله، فقال: إئذن لهم مرحباً بأولياء الله، فلما دخلوا عليه سلموا، فقال لهم: ما منعكم أن تحيوني بتحيتي؟ فقالوا : حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة، فقال لهم: ماذا يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟ قالوا: يقول هو عبد الله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم، ويقول في مريم: إنها العذراء الطيبة البتول، فأخذ عوداً من الأرض فقال: ما زاد

---

(1) سنن الدارمي، المقدمة، باب صفة النبي في الكتب قبل مبعثه ح٦

(2) انظر تفسير زاد المسير لابن الجوزي ج٢ ص٤٠٧

عيسى وأمه على ما قال صاحبكم شيئاً فوق هذا العود، فكره المشركون قوله وتغيرت له وجوههم، فقال هل تعرفون شيئاً مما أنزل عليكم؟ قالوا: نعم، قال: اقرءوا، فقرأوا ووجوه القسيسون والرهبان كلما قرءوا تحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فقال الله تعالى فيهم **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾** (المائدة:٨٢-٨٣) .[١]

فاليهود ظاهروا المشركين عبدة الأوثان على المؤمنين حسداً للنبيﷺ بدلاً من يظاهروا المسلمين لأنهم مثلهم أهل كتاب على عبدة الحجارة والأوثان.

وفي لفظ النصارى في الآية قولان: أحدهما أنه أراد النجاشي وأصحابه لما أسلموا، أو قوماً من النصارى كانوا متمسكين بشريعة عيسى- عليه السلام- التي تبشر برسول اللهﷺ فلما جاء الرسول سرعان ما أسلموا به، وبهذا يكون اللفظ خاصاً بطائفة معينة من النصارى وليس بعمومهم، وقال البعض الآخر: هو عام يراد به النصارى في كل زمان، حيث إنهم أقل عداوة للمسلمين من اليهود والمشركين، ولذلك نجدهم يقبلون على الإسلام أكثر منهم. [٢]

وقد يظن البعض أن الآيات تمدح النصارى مدحاً مطلقاً، وهذا غير صحيح ففساد عقيدتهم في عيسى بالأُلوهية، أشد قبحاً من فساد عقيدة اليهود، ولكن المدح على الليونة في قبول الحق، فهم ألين وأقرب لقبول الحق من اليهود.

المطلب الثاني: فضل محمد ﷺبذكره على ألسنة الأنبياء والمرسلين

لقد ذُكر نبينا محمد ﷺ على ألسنة الأنبياء والمرسلين جمعيهم، حيث عهد الله تعالى إلى جميع الأنبياء وأخذ عليهم الميثاق أن يصدقوا محمداً في نبوته ورسالته، وأن يوصوا أقوامهم أن يصدقوه ويؤمنوا به، إذا ما بُعث فيهم، قال تعالى**﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾** (آل عمران:٨١)

---

(١) انظر تفسير زاد المسير ج٢ ص٤٠٧

(٢)انظر الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٢٣

وبهذا يكون قد جرى ذكره على ألسنة جميع الأنبياء والمرسلين، ولذلك قالﷺ حينما قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال [أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى][1]

فقد ذكره إبراهيم-عليه السلام- حيث دعى الله أن يبعث في ذريته النبي الخاتم، الذي يقيم في هذه الأمة شريعة التوحيد. قال تعالى:﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ (البقرة:١٢٩).

والمعنى: هذا نداء من إبراهيم-عليه السلام-تقدمه عدد من النداءات والأدعية وغرضه أن يجعل الرسالة في ذريته لتشريعهم وحرصاً على إتمام هديهم.[2]

يقول ابن عاشور: " إنما قال فيهم ولم يقل لهم لتكون الدعوة بمجيء رسول برسالة عامة، فلا يكون ذلك الرسول رسولاً إليهم فقط، ولذلك حينها نعلق(رسولاً) ليعم، فالنداء في قوله(ربنا وابعث) اعتراض بين جمل الدعوات المتعاطفة، ومظهر هذه الدعوة هو محمدﷺ فإنه الرسول الذي هو من ذرية إبراهيم وإسماعيل كليهما، وأما غيرهم من الرسل غير العرب ليسوا من ذرية إسماعيل، وشعيب من ذرية إبراهيم وليس من ذرية إسماعيل، وهود وصالح هم من العرب العادية، وليس من ذرية إبراهيم ولا من ذرية إسماعيل".[3]

ثم ذكر عيسى- عليه السلام- مبشراً به بما وجد وصفه في التوراة التي أنزلت على موسى- عليه السلام- فصدق هذه التوراة فتكلم مبشراً بما فيها، قال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾(الصف:٦).

والمعنى: إنما أخبر عيسى –عليه السلام- بمجيء رسول من بعده، لأن بني إسرائيل لم يزالوا ينتظرون مجيء رسول من عند الله يخلصهم من براثن المتسلطين عليهم، وهذا الانتظار هو ديدنهم، فهم موعودون لهذا المُخَلص لهم، على لسان أنبيائهم من عهد موسى – عليه السلام- إلى عهد عيسى- عليه السلام- فكان وعد عيسى كوعد من سبقه من أنبيائهم، وهذا الوعد هو تنبيه من عيسى –عليه السلام- أنه ليس هو المخلص لهم الذي ينتظرونه، إنما المخلص والمنتظر هو محمدﷺ الذي سيجيء من بعده، والذي لما أراد الله تعالى للبشر أن يستعدوا لقبوله وقبول رسالته، ذكره في التوراة والإنجيل.[4]

---

(1) كتاب المستدرك على الصحيحين، باب تفسير سورة الأحزاب، ج٢ ص ٤١٨ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) انظر أيسر التفاسير ج١ ص١١٥

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور ج١ ص ٧٢٢

(4) انظر التحرير والتنوير ج٢٨ ص١٧٢

المطلب الثالث: فضل محمد ﷺ بشهادة أهل الكتاب له

لقد أنكر الله تعالى على العرب المنكرين لرسالة محمد ﷺ بوجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، وهي معرفة علماء بني إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي الله قبل محمد ﷺ قال تعالى﴿ **أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾(الشعراء:١٩٧) ثم بين في موضع آخر من القرآن أن الذين أوتوا الكتاب، يعني التوراة والإنجيل، يعرفون نبوة محمد ﷺ وصدقه كمعرفتهم لأولادهم، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة:١٤٦). وخير شاهد على ذلك شهادة عبد الله بن سلام ﷺ وغيره من علماء اليهود وأحبارهم، حيث إن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ للمدينة، فأتاه فقال: [إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال:ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟
فقال رسول الله ﷺ أخبرني بهن آنفاً جبريل-عليه السلام- قال عبد الله بن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ أما أول شرط من أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد فان الرجل إذا عشر المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، قال عبد الله بن سلام أشهد أنك رسول الله].[1]

وأما شهادة علماء النصارى فكثيرة منها شهادة النجاشي لما تلاقا مع وفد المهاجرين إلى دياره على رأسهم جعفر بن أبي طالب، وقال له: حدثني عن قول نبيكم في عيسى وأمه، فلما حدثه قال: والله ما زاد عيسى وأمه عما قال صاحبكم عن هذا العود.
فنزل في حقه وحق أصحابه قوله تعالى(**ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**)

---

(1)صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ح ٣٣٢٩

الفصل الثالث

فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: فضل أمة محمدﷺ على جميع الأمم

المبحث الثاني: تفضيل الصحابة على جميع أمة محمدﷺ

المبحث الأول

فضل أمة محمدﷺ على جميع الأمم

ويتلخص فيما يلي: -

أولاً: فضل أمة محمدﷺ بخير نبي محمدﷺ

ثانياً: فضل أمة محمد ﷺ بخير كتاب (القرآن)

ثالثاً: فضل أمة محمد ﷺ بخير الشهور شهر رمضان

رابعاً: فضل أمة محمد ﷺ بخير الأيام يوم الجمعة ويوم عرفة

خامساً: فضل أمة محمدﷺ بالوسطية والشهادة على الأمم كلها

سادساً: فضل أمة محمد ﷺ بأن سماها الله تعالى بالأمة المجتباه

سابعاً: فضل أمة محمد ﷺ بتورثها عقائد الأنبياء السابقين والإيمان بهم

ثامناً: فضل أمة محمد ﷺ بأنها الأمة المحفوظة المرحومة

تاسعاً: فضل أمة محمد ﷺ بالتيسير وعدم الحرج

عاشراً: فضل أمة محمد ﷺ بالعفو عنها في حديث النفس والوسوسة

الحادي عشر: فضل أمة محمد ﷺ على الأمم بعفو الله عن خطأها ونسيانها وما استكرهت عليه

الثاني عشر: فضل أمة محمد ﷺ بصلاة العشاء

الثالث عشر: فضل أمة محمدﷺ بالستر على أعمالهم في القبول والرد

الرابع عشر: فضل أمة محمد ﷺ بالسلام والتأمين

الخامس عشر: فضل أمة محمد ﷺ بالسحور للصوم

السادس عشر: فضل أمة محمد ﷺ بتعدد أنواع الشهادة فيها

السابع عشر: فضل أمة محمد ﷺ بأن جعل فيها المجددين للدين

الثامن عشر: فضل أمة محمد ﷺ بالغر والتحجيل

التاسع عشر: فضل أمة محمد ﷺ بالنصر والتمكين إلى يوم الدين

العشرون: فضل أمة محمد ﷺ بأنهم الأكثر عدداً في الجنة والأولون في دخولها

الحادي والعشرون: فضل أمة محمد ﷺ بعظم شفاعة بعضها لبعض

الثاني والعشرون: فضل أمة محمد ﷺ بدخول الكثير منها الجنة بدون حساب

الفصل الثالث

فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم

إن الله تعالى فضل أمة محمدﷺ فجعل لها خصائص تجعل ريح الإيمان تهب عليها دائماً،خصائص في العقيدة ،وفي العبادة، و الأعمال والأخلاق، و اليقين، و التوكل، والإيثار، والاعتزاز بالدين. فشجرة هذه الأمة لا تزال تثمر، وخليتها لا تزال تعسل، ولم تستطيع أمة أن تقوم مقامها، ولا أن تؤدي دورها، فشرارة الحياة والطموح كامنة أبدا في رمادها، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعا، وتسيل دموعهم على خدودهم في ساعات السحر، خوفاً من الله تعالى، وحباً للقائه، فهذه الأمة أحبها الله تعالى فحباها بهذه الخصائص، ومنَّ عليها بهذه الصفات التي لن تموت فيها أبداً. بهذه قال عنها ربها جل وعلا**﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾**(آل عمران:١١٠). فيجب على كل فرد من هذه الأمة أن يقف طويلاً، ويفكر أين هو من صفات هذه الأمة، وماذا طبق منها، ولأيٍ منها انتمى، حتى تبعثه من هزله إلى الجد، ومن غفلته إلى اليقظة، ليقول للعالم بأسره مفتخراً: أنا ابن هذه الأمة، بكل فخر واعتزاز.[١]

ولبيان هذا الفضل في أمة محمدﷺ قسَّم الباحث هذا الفصل إلى مبحثين، وهي على النحو التالي:-

المبحث الأول

فضل أمة محمد ﷺعلى جميع الأمم

إن الله تعالى فضل هذه الأمة على البشرية كلها، فجعلها خير أمة أخرجت للناس قال تعالى**﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾** (آل عمران:١١٠). فهي بهذا خير الأمم جميعا إلى قيام الساعة، وقد وضع الله تعالى بعض الشروط لهذا الفضل، وهي الإيمان بالله تعالى إيماناً حقاً ليس فيه أي شائبة، إيمان بأسمائه وصفاته، وكماله جل وعلا، وتنزيهه عن أي نقصٍ، ثم الجمع لخصال الخير كلها، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتكون أمة خيرٍ رجالها مفاتيح للخير، مغاليق للشر،

---

(١) انظر كتاب مبشرات النصر والتمكين د سيد حسين العفاني ص ٣٤٣

كما قال النبيﷺ [إن من الناس ناس هم مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس ناس هم مفاتيح للشر، مغاليق للخير..........] [(١)].

فهذه الأمة هي أمة مفاتيح الخير بين الأمم، قال النبي ﷺ مادحاً أمته ومبيناً خيريتها :[أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله] [(٢)]. إن هذه الأمة خير أمة تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنما هي أمة عرفت مقامها فما بالغت فيه، كما بالغت اليهود والنصارى **﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾** (المائدة:١٨). وعرفت دورها في الحياة، فنهضت بتكاليف الأمة الخيرة، مع ما وراء ذلك النهوض من متاعب ومشاق، فقامت تدعوا إلى الخير وتنهى عن المنكر، تنشر الخير وتقضي على الفساد، ولقد لخصت هذه الفضائل لهذه الأمة في ما يلي:-

أولاً: فضل أمة محمد بخير نبي محمد ﷺ:-

لقد كرَّم الله تعالى أمة محمد ﷺ بأن جعل لها من نفسها رسولاً إليها هو سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة لكل العالمين، فشرف الأمة وفضلها بشرف وفضل من بُعث فيها، قال تعالى**﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** (الجمعة:٢). وقال تعالى**﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾** (التوبة:١٢٨). فشرف وفضل محمدﷺ أنه رحمةٌ للعالمين، حيث أن رسالته أخذت عمومية المكان، لقوله تعالى **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** (سبأ:٢٨). وأخذت عمومية الزمان قال تعالى**﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** (الأحزاب:٤٠) فهي رسالة لكل زمان ومكان، ورسالته جاءت تعالج داء البشرية كلها وآفاتها في كل زمان ومكان، فلا توجد قضية في العالم تمس حياة البشرية إلا في رسالة محمد ما يعالجها خير علاج. قال تعالى**﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾** (الإسراء:٨٢) فهو المعالج للداءات وهو الرحمة المانع لدخولها في المجتمعات، لو اتبعت البشرية هذه الرسالة.[(٣)]

---

(١) سنن ابن ماجة ، المقدمة ، باب من كان مفتاحا للخير ح٢٣٧ ، حسنه الألباني

(٢) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، ح٣٠٠١ ، حسنه الألباني

(٣) انظر كتاب معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي ص ٧٠-٧٢

ثانياً: فضل أمة محمد ﷺبخير كتاب (القرآن):-

لقد فضل الله تعالى القرآن على الكتب السماوية السابقة بأن جعله الله تعالى المعجـزة الباقيـة الخالدة لمحمدﷺ وأمته، وجعله الرسالة الخاتمة لرسالات الأنبياء جميعهم، وجعـل إعجـازه بتحدي البشرية في كل زمان ومكان وإلى قيام الساعة. وأيضاً بتمزيق حجب الغيـب الثلاثـة حجاب الزمن الماضي، وحجاب الحاضر، وحجاب المستقبل، بل أنه دخل إلى أعماق الـنفس البشرية، ليظهر ما يخفيه الإنسان ولا يبوح به، وكذلك من فضله على الكتب جميعها أنه أنبـأ عن أشياء لم يكن العقل البشري يعتقد أنها ستحدث، أو يمكن أن تحدث، وتحدث عـن نتـائج حروب لم تكن قد حدثت بعد، كحرب الروم والفرس، قال تعالى﴿ **الم* غُلِبَتِ الـرُّومُ* فِـي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْـلُ وَمِـنْ بَعْـدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ**﴾ (الروم:١-٤) . وقوله تعالى﴿ **سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ (القمر:٤٥) . ونبأ عن مصير شعوب قد اندثرت كعاد وثمود،ونبأ عن حقيقه في الوليد بن المغيرة هـو لا يعلمها في نفسه، حيث قال تعالى﴿ **عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾ (القلم:١٣) .أي أنه لقيط كما قال بعـض العلماء، وذلك لما كذب القرآن بعد أن شهد له بالصدق، وآمن أنه من عند الله، فـالله تعـالى أراد أن يظهر له في القرآن حقيقة في نفسه هو لم يعرفها، وذلك لبيان صدق القـرآن الـذي كذبه.

وتحدث عن علم الأجنة التي ما تحدث عنها أي كتاب، قال تعالى﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِـنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**﴾ (المؤمنون:١١-١٤) . ورمز إلى ما في باطن الأرض ليبين للبـشرية أن بـاطن الأرض ملـيء بالثروات قال تعالى ﴿ **لَهُ مَا فِي السموات وما فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْـتَ الثَّـرَى**﴾ (طه:٦). وتحدث عن عالم السماء وما فيه من شموس وأقمار وكواكب، وتكلـم عـن بـاطن البحار وما فيها من ثروات قال تعالى﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ** ﴾ (الرحمن:٢٢). هذا قليل من كثير مما حوى هذا القرآن من أعاجيب ومعجزات خلت منها الكتب السماوية السابقة.[١]

ثم إن هذا القرآن كُرم بعدم مساسه إلا بطهارة، لقولـه تعـالى﴿ **لا يَمَـسُّهُ إِلا المُطَهَّـرُونَ**﴾ (الواقعة:٧٩). ثم إن هذا القرآن حفظ من التحريف والتبديل في شرائعه وأحكامه، قال تعالى

---

(١) انظر معجزة القرآن للشعراوي ص٣

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(الحجر:٩). فما حُفظ كتاب سماوي من التحريف والتبديل إلا القرآن. ثم إن هذا القرآن جعله الله تعالى كتاب تعبد لأمة محمدﷺ فما من أمة من الأمم تعبدت بكتابها، إلا هذه الأمة.

بهذه الفضائل للقرآن كُرمت أمة القرآن، أمة محمدﷺ على الأمم جميعها، فهي تقرأه في صلاتها، وتتحصد الحسنات بقراءتها لقرآنها، قال النبي ﷺ [من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ،ولام حرف ،وميم حرف][1].

ثالثاً: تفضيل أمة محمد ﷺبخير الشهور شهر رمضان:-

إن الله تعالى شرع للبشرية الصوم لعلمه تعالى أنه من أكبر عوامل ضبط الشهوة والهوى في نفوس الناس، فهو الرمز العملي لضبط النفس، عن شهواتها وأهوائها، فالله تعالى خلق الإنسان وخلق معه نفسه وجعل لكل نفس هواها، فلو أطلق كل إنسان لأهوائه العنان في كل مجال،لفسدت الأرض، ولأصبحت الحياة لا تطاق، ولذلك جعل الله تعالى صوم رمضان ركناً هاماً من أركان دين الإسلام، ولأجل ذلك كانت فرض الصوم في جميع الأمم السابقة، صاحبة الرسالات السماوية، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣) . فالآية بينت أن الصوم فريضة في كل دين أنزله الله تعالى، والله تعالى فرض الصوم في قرآننا بصيغة نهائية، نسخ فيها ما كان من صيغ في الأديان السابقة، حيث كان التحريف في الصوم بالزيادة، والتحويل من فصل إلى فصل آخر، فلذلك قد تمايزت أمة محمد بهذه الصيغة النهائية، صيغة الصوم في شهر رمضان، حيث كانت هي الصيغة الضابطة لشهوات النفس وأهوائها.[2] ومن فضائل أمة محمدﷺ في رمضان على الأمم كلها:

١- **نزول القرآن في هذا الشهر:-** قال تعالى﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة:١٨٥). والمعنى أن هداية الأمة الإسلامية وبدء التشريع فيها ورحمتها، في نزول القرآن التي تشرفت فيه في رمضان.[3]

([1]) سنن الترمذي ، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر ح٢٩١٠ ، صححه الألباني

([2]) انظر كتاب الإسلام لسعيد حوى ص١٥٣

([3])انظر اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي بن عادل ج٣ ص٢٧٩

٢ - فيه ضاعف الله للأمة حسناتها: -

فقد ورد في الحديث [كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك][١].

٣ - أحل فيه لهذه الأمة جماع النساء في ليالي رمضان: -

وقد كان محرماً على الأمم السابقة، حيث كان الرجل إذا أمسى أحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء الآخرة، فإذا صلاها ولم يفطر حُرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى اليوم التالي، فكان كرامة الأمة في رمضان أن خفف عنها هذا المحرم، فجعل الأكل والشرب والجماع حتى يظهر الفجر الصادق، قال تعالى﴿ **أُحلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ...**﴾ (البقرة:١٨٧) عن البراء قال : لما نزل صوم شهر رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان الرجال يخونون أنفسهم فأنزل الله (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) [٢]وعن كعب بن مالك قال: [كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر من عند النبي ﷺ وقد سمر عنده فأراد امرأته فقالت : إني قد نمت فقال : ما نمت ووقع عليها وصنع كعب مثل ذلك فغدا عمر إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأخبره فنزلت الآية] [٣]

٤ - وفضلت هذه الأمة في رمضان بليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر: -

قال تعالى﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ*لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌمِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ (القدر:١-٣) والمعنى أن هذه الليلة تعادل في فضلها ألف شهر من أعمال الأمم السابقة، وهذا الفضل والكرم لهذه الليلة حيَّر الألباب وأدهش العقول، حيث منَّ الله تعالى على هذه الأمة الضعيفة في قوتها، فقواها بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عُمْرَ رجل معمر عمراً طويلاً، نيفاً وثمانين سنة.[٤]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس ، باب ما يذكر في المسك ح ٥٩٢٧

(٢)صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) ح٤٥٠٨

(٣)مسند الإمام أحمد ، مسند المكيين، حديث كعب بن مالك الأنصاري ١٥٣٦٨، تعليق الأرناؤوط إسناد حسن

(٤) انظر تفسير السعدي ٥٣١

٥- وفضلت أمة محمد في رمضان بخصال لم تعطها أمة من قبلها:-

كما ورد عن النبيﷺ أنه قال[أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطها أمـــة قـــبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويـــزين الله عز و جل كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادي الصالحون ان يلقوا عنهم المؤنـــة والأذى ويصيروا إليك، ويصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلةٍ قيل يا رسول الله أهي ليلة القدر؟ قال: لا ولكن العامل إنمـــا يـــوفى أجره إذا قضى عمله][١].

رابعاً: فضل أمة محمد ﷺبخير الأيام يوم الجمعة ويوم عرفة:-

لقد جعل الله تعالى في حياة هذه الأمة أياماً مباركة مفضله تمتاز بها عن الأمم كلها، تتقـــرب فيها إلى الله بالعبادة والدعاء، ويُقبل فيها دعاؤها كما قال النبي ﷺ عن يوم الجمعة [خير يوم طلعت فيه الشمس وفيه خُلق آدم –عليه السلام- ، وفيه أدخل إلى الجنة، وفيه أخـــرج منهـــا، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة].[٢] وقد ذكر الله تعالى يوم الجمعة في القرآن لعلو شأنه، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْـــرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (الجمعة:٩).

أما يوم عرفة فقد ورد عن فضله أنه من أفضل أيام قبول الدعاء، وجعل الوقوف في أرضـــه من أعظم أركان الحج، بل هو الركن الأساس في الحج، حيث قال النبيﷺ [الحج عرفـــة].[٣] والنبي ﷺ سن فيه الصوم، وقال عن صوم يومه أنه من أفضل صوم التطوع، حيث ورد أن صومه يكفر سنة ماضية قال النبي ﷺ [صيام عرفة يكفر السنة والتي تليها وصيام عاشوراء يكفر سنة] [٤]. وقد ذكر الله تعالى فضل يوم عرفة مع باقي الأيام التي تسبقه في شهره، قـــال تعالى﴿ **وَالفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ *** ﴾ **(الفجر:١-٢).**

خامساً:تفضيل أمة محمد ﷺ بالوسطية والشهادة على الأمم كلها:-

---

(١) مسند الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين مسند أبي هريرة، ٧٨٥٧ ، ضعفه الأرناؤوط

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ٨٥٤

(٣) سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب فرض الوقوف بعرفة ح٣٠١٦ ، صححه الألباني.

(٤) مسند الإمام أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث أبي قتادة الأنصاري ح٢٢٠٢٤، صححه الأرناؤوط.

لقد كرم الله تعالى هذه الأمة أن جعلها أمةً وسطا بين الأمم، لتشهد عليها يوم القيامة مع نبيها، فهي أمة وسطاً في أحكامها، ووسطاً في شرائعها، قال تعالى **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾**(البقرة:١٤٣) . يقول الطبري في تفسيره:" أرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلوٍ فيه، كغلو النصارى الذين غلو بالترهب وفي قولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم مقصرون فيه كتقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله تعالى وقتلوا أنبيائه، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها".(١)

بهذه الوسطية اختارها الله تعالى لتشهد على الناس جميعاً، في مقام الحكم بالعدل بينهم. إن أمة محمد ﷺ أمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء بمعنى الحسن والفضل، أو بمعنى الاعتدال والقصد، أو بالمعنى المادي الحسِّي، فهي أمة الوسط في التصور والاعتقاد، فلا تغلو في التجرد الروحي، ولا في الارتكاس المادي، فهي أمة الوسط في التفكير والشعور، فلا تتبع كل ناعق، وتقلد التقليد الأعمى، ولا تغلق منافذ التجربة، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها، وهي أمة الوسط في التنسيق والتنظيم، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها للتشريع والتأديب،فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم إلى وحي الوجدان، ولكن مزاج بين هذا وذاك. وهي أمة الوسط في الارتباط والعلاقات، لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً، لا هم له إلا ذاته. وهي أمة الوسط في المكان والزمان، حيث تتوسط أقطار الأرض من شرق وغرب، وجنوب وشمال، فهي في موقعها هذا تشهد للناس جميعاً، وتشهد على الناس جميعاً، وهي تتوسط البشرية في الزمان، تنهي عهد الطفولة من قبلها، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها، تقف في الوسط، تنفض عن البشرية ما علق بها، من أوهام وخرافات في عهد طفولتها، وتسير برصيدها العقلي على الصراط المستقيم.(٢)

بهذه الوسطية التي ذكرناها حق لها أن تكون الأمة الشاهدة على البشرية، سواء في الدنيا أو في الآخرة، قال تعالى **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾** (البقرة:١٤٣). فهي تشهد للأنبياء أنهم بلغوا رسالاتهم إلى أقوامهم، قال ﷺ [يجيء نوح وأمته فيقول الله: هل بلغت؟ فيقول:نعم إي ربِ، فيقول لأمته: هل بلغكم،

---

(١) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن ج٢ ص ٥

(٢) كتاب مبشرات النصر والتمكين ص ٣٤٧-٣٤٨

فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، وهـذا قولـه تعالى(**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**) فيدعون، فيشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم].[1]

سادساً: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بأن سماها الأمة المجتباة: -

قال تعالى﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَـرَجٍ** ﴾ (الحج:٧٨) والمعنى: أن الله تعالى اجتبى هذه الأمة واصطفاها، فما جعل عليها في دينها ضيق، بل وسع عليها وسهله لها، وكما قال قتادة: أُعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم يعطها إلا نبـي،منهـا: كان يقال للنبي: أنت شهيد على قومك، وقال الله لها(**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**)، وكان يقال للنبي: سل تعط، وقال لها﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ (غافر:٦٠).[2]

سابعاً: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بتورثها عقائد الأنبياء السابقين والإيمان بهم: -

إن أمة محمدﷺ هي الأمة الوحيدة التي آمنت برسالات الأنبياء السابقين بدون اسـتثناء أحـد منهم، وآمنت بعقائدهم التي جاءوا بها، قال تعالى﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْـزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَـا أُوتِـيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة:١٣٦). والمعنى: أن النبي محمدﷺ جاء برسالة الإسلام للمسلمين وأمرهم أن يقروا بحقيقة الإيمـان، والتـي تتـضمن الإيمان بالله تعالى وتنزيهه عن كل نقص، ووصفه بكل صفة كمال، والإيمان بما أُنزل إلـيهم وهو القرآن والسنة، ثم الإيمان بما أُنزل على الأنبياء كلهم، عموماً وخصوصاً دون تفريـق بين أحد منهم، في دعوى الرسالة والنبوة، فالإيمان بالأنبياء وكتبهم، إيمان على وجه العموم، أما ما عرف منهم بالتفضيل وجب الإيمان به مفصلاً، وهذه الخاصـية انفـردت بهـا أمـة محمدﷺ على أي ملةٍ ادعت أنها على دين. فاليهود والنصارى والـصابئون وغيـرهم، وإن آمنوا برسلهم فقد كفروا بغيرهم من الرسل، وتركوا الإيمان بكتب رسـلهم، والتـي جميعهـا أُخبرت برسالة ونبوة محمد ﷺ فبذلك يكونوا قد آمنوا بـبعض رسـالات أنبيـائهم وكفـروا ببعض.[3]

---

(1) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) ح٣٣٣٩

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٨٤

(3) انظر تفسير السعدي ص٦٩

ثامناً: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بأنها الأمة المحفوظة المرحومة:-

إن الله تعالى كرم محمداًﷺ أن أعطاه أغلب ما سأل لأمته، ولذلك قد أكثر من السؤال لأمتـــه، ومن خير ما سأل الله تعالى لأمته، أن يجعلها أمة محفوظة مرحومة، قال ﷺ [ســألت ربــي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يُهلك أمتي بالسَّنَة، فأعطانيها، وســألت ربي أن لا يُهلك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها].(1)

وأيضاً جعل من بركات محمد ﷺ في أمته أنها أمة مرحومة في الدنيا، ومرحومة في الآخرة، فلا يُعذبها العذاب المخلد في النار، كما هو حال أهل الكفر من الأمم السابقة، قال النبيﷺ [إن هذه الأمة أمة مرحومة، عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة، دُفع إلى كــل رجــل مــن المسلمين رجل من المشركين، فيقال: هذا فداؤك من النار].(2)

ويجمع بين قوله تعالى﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** ﴾(الأنفال:٣٣). وبين قول النبيﷺ [عذابها بأيديها] هو أن الله رفع عنها عذاب الدنيا الذي فيه زوالها كلياً، كمــا حــصل للأمــم السابقة، حيث كان العذاب ينزل على الأمة كلها، فلا يدع فيها كافراً، وأمام عين نبيهــا، أمــا هذه الأمة فهي مرحومة، فعذابها الدنيوي هو عذاب لا يطول كل الأمة، إنما عــذاب مفــرق، ولا يؤدي إلى هلاك الأمة كلها، إنما هو بأس للأمة فيما بينها، فلا يكون بالشدة التــي كانــت في الأمم السابقة.

تاسعاً: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بالتيسير وعدم الحرج:-

لقد ضُيق على الأمم السابقة في شرائعها، وما ذلك إلا لتعنتها مع أنبيائها، أما هذه الأمة فــالله تعالى يسر لها شرعها ودينها، قال تعالى ﴿ **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة:١٨٥) . وقال تعالى﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَــأْمُرُهُمْ بِــالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَــضَعُ عَــنْهُمْ إِصْــرَهُمْ** ﴾ (الأعراف:١٥٧). والمعنى: أن الله تعالى أحل لهم الحلال الطيب، ووضع عنهم التثقيل الذي كــان في دينهم، وحرم عليهم كل ما هو خبيث من الأطعمة كلحم الخنزير ومال الربا، وكــل مــا أباحوا لأنفسهم من حرام، ووضع عنهم أيضاً ما كان قد أخذ الله عليهم من الميثاق، فيما حُرم

(1) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ح٢٨٩٠

(2) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد،باب صفة أمة محمد ح٤٢٩٢ ، صححة الألباني

عليهم، والتجديد في الشرائع، وهذا مصداق قوله تعالى﴿ **وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا** ﴾ (البقرة:٢٨٦). [١]
قال ﷺ [إن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لها العسر].[٢]

عاشراً: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بالعفو عنها في حديث النفس والوسوسة:-

إن الله تعالى قد منَّ على هذه الأمة أن رفع عنها المحاسبة على الوسوسة وحديث النفس، قال تعالى﴿ **لله مَا فِي السَّمَوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾(البقرة:٢٨٤). والمعنى أن ظاهر الآية تدل على أن الله تعالى سيحاسب العباد على ما أضمرته أنفسهم أو أظهرته من الأمور، التي يحاسب عليها، وبعدها يغفر أو يُعذب من يشاء، ولكن العلماء اختلفوا فيها إلى أقوال:[٣]

الأول: أنها وإن كانت عامة، فهي مخصوصة بكتمان الشهادة، فمن كتمها سيحاسب على كتمانها، سواء أظهر للناس أنه كاتم للشهادة أو لم يُظهر، ولكن هذا القول مردود، لما في الآية من عموم اللفظ.

الثاني: أن ما في الآية مختص بما يطرأ على النفوس من الأمور التي هي بين الشك واليقين.

الثالثً: أنها محكمة عامة ولكن العذاب على ما في النفس يختص بالكفار والمنافقين.

الرابع: أن هذه الآية منسوخة لقول كثير من الصحابة، ولقول النبيﷺ في الحديث[إن الله غفر لهذه الأمة ما حدثت به أنفسها]. [٤] يقول أبو هريرة لما نزلت (**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ**) اشتد ذلك على أصحاب النبيﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب وقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصوم والصلاة والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم(سمعنا وعصينا)، بل قولوا: (سمعنا وأطعنا، غفرانك وإليك المصير)،فقالوا:ربنا سمعنا وأطعنا، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في أثرها﴿**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**

---

(١) انظر فتح القدير ج٢ ص ٣٦٧
(٢) مسند الإمام أحمد ح٥/ ٣٢ وصححة الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٦٣٥
(٣) انظر أيسر التفاسير ج١ ص٢٨٧
(٤) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون ٥٢٦٩

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة:٢٨٥).
فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله عز وجل﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة:٢٨٦) .[١]

الحادي عشر: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بعفوا الله عن خطأها ونسيانها وما استكرهت عليه: -

وهذا في قوله تعالى﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(البقرة:٢٨٦). وقوله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ (النحل:١٠٦). قال ﷺ [إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه].[٢] قال ابن حجر "في الحديث إشارة إلى عظيم قدر أمة محمدﷺ لأجل نبيها وذلك بقوله "تجاوز لي" وهذا فيه إشعار باختصاصها".[٣]

الثاني عشر: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بصلاة العشاء: -

إن من حب الله تعالى لهذه الأمة أن زاد عليها في عبادتها له، وخاصة في الصلاة، أكثر من الأمم السابقة، وما ذلك إلا كفارة لذنوبها، فجعل صلاتها تأخذ قسطاً من النهار وقسطاً من الليل، وهي صلاة العتمة، وهذا معنى قوله تعالى﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم:١٧) . لقد ذكر الرازي في تفسيرها عدة آراء: -

١ - قال بعض المفسرين المراد منه الصلاة، أي صلوا واذكروا، إشارة إلى الصلوات الخمس
٢ - وقال بعضهم أراد به التنزية أي التتابع في الشيء،فقد نزهوه عن صفات النقص، ووصفوه بصفات الكمال.[٤]

يقول الرازي:" وهذا أقوى، والمصير إليه أولى، لأنه يتضمن الأول، وذلك لأن التنتري المأمور به يتناول التنتري بالقلب، وهو الاعتقاد الجازم، والتنتري باللسان وهو الذكر الحسن، والتنتري بالأركان وهو العمل الصالح، فالأول هو الأصل، والثاني ثمرة الأول، والثالث ثمرة الثاني، وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد شيئاً ظهر من قلبه على لسانه، وإذا قال ظهر صدقه في مقاله من أحواله وأفعاله بالأركان، فاللسان ترجمان الجنان، والأركان برهان اللسان، والصلاة

---

(١) انظر فتح القدير ج١ ص٤١٥
(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي ٢٠٤٣
(٣) فتح الباري ج١١ ص ٥٢
(٤) انظر مفاتيح الغيب ج٢٥ ص٩٢

هي أفضل أعمال الأركان، فهي مشتملة على الذكر باللسان والقصد بالجنان، والله تعالى خص بعض الأوقات بالأمر بالتسبيح وهي الصلاة ، لأن أفضل الأعمال أدومها، ولأن الإنسان لا يستطيع أن يصرف جميع أوقاته إلى هذا التسبيح لأجل مشاغل الدنيا، والله تعالى أشار إلى أوقات إذا أتى العبد فيها تسبيح الله تعالى أي الصلاة، يكون كأنه لم يفتر عنها، وهي أول النهار ووسطه وآخره، فآخر النهار هو جزء من الليل، وليس آخر الليل، لأن آخر الليل جُعل للنوم والراحة". [١]

ثم استطرد في تقسيم ركعات الصلاة على أوقات النهار فقال: إذا صلى الإنسان ركعتين أول النهار"الصبح" حُسب له صرف ساعتين من النهار، ثم إذا صلى أربع ركعات، وقت الظهر، حُسب له صرف أربع ساعات، وإذا صلى أربعاً في آخر النهار"العصر" حسب له أربع أخرى، فإذا صلى المغرب والعشاء سبع ركعات، حصل له صرف سبع ساعات، فيكون مجموع ما تحصل عليه من ذكر الله بالصلوات الخمس سبعة عشر ساعة، وتبقى من ساعات اليوم سبع ساعات وهي قسطه من الراحة وهي النوم، والنائم مرفوع عنه القلم، فيقول الله تعالى لملائكته إن عبدي صرف جميع أوقات تكليفه في تسبيحي، فلم يبق لكم أيها الملائكة عليهم أي مزية، إذ ادعيتم بقولكم ﴿ **نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ (البقرة:٣٠). على سبيل الانحصار، فهم مثلكم ومقامهم مثل مقامكم في أعلى عليين.[٢]

وقد ورد في فضل صلاة العشاء، أنها كرامة لأمة محمدﷺ قال ﷺ [أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم ولم تُصلها أمة قبلكم].[٣]

وفي رواية لمسلم[إنكم تنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم].[٤]

الثالث عشر: فضل أمة محمد ﷺبالستر على أعمالهم في القبول والرد:-

إن من المعروف في الأمم السابقة أنهم كانوا يُفضحون في رد أعمالهم إليهم، وذلك أنهم كانوا إذا قربوا قرباناً إلى الله تعالى، نزلت نار من السماء فتأكل ما تُقبل منها، وتدع ما لا يقبل، فيُفتضح صاحبه به، وبيان ذلك في قصة قابيل وهابيل قال تعالى﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ** ﴾ (المائدة:٢٧). قال المفسرون على إن هذا الأمر في قابيل وهابيل ابني آدم، حيث قرب كل منهم قرباناً إلى الله تعالى، والله

([١]) مفاتيح الغيب ج٢٥ ص٩٢

([٢]) انظر المرجع السابق ج٢٥ ص٩٣

([٣]) مسند الإمام أحمد، باب حديث معاذ بن جبل، ح ٢٢١١٩ ج٥ ص٢٣٧، تعليق شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح.

([٤]) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها، ح٦٣٩

تعالى أرسل ناراً فحرقت قربان هابيل وهو علامة قبوله، ولم تقرب قربان قابيل وهي علامة عدم قبوله، مما أدى به إلى بغضه وقتله حسدا من نفسه على هذا القبول لقربان أخيه، وعلى هذه الفضيحة في عدم قبول قربانه. (١)

وهذا بيان فضل أمة محمد ﷺ على الأمم السابقة بأن أعمالهم لا تحتاج إلى نار تنزل من السماء فتفصل في قبولها وردها، إنما سترها عليهم.

الرابع عشر: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بالسلام والتأمين:-

إن الله تعالى قد كرم هذه الأمة بتحية السلام، فجعلها لها في الدنيا، ولها ولكل المؤمنين في الآخرة. فأما في الدنيا فقد شرع الله تعالى لهم السلام تحية أمان وسلام فيما بينهم، قال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** (النور:٢٧). ثم إن الله تعالى فرض على من سُلمَ عليه بهذه التحية أن يردها على من حياه، لشرفها ومكانتها عند الله تعالى، فقال:**﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾** (النساء:٨٦).

أما في الآخرة فإن السلام هو تحية الله والملائكة لأهل الجنة، قال تعالى**﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾** (إبراهيم:٢٣). وأيضاً تحية بعضهم لبعض في الجنة، قال تعالى**﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾** (يونس:١٠). وفي قوله **(وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)** وجهان:

أحدهما: إن تحية أهل الجنة إذا تلاقوا فيها السلامة، وهو قول الجمهور.

والثاني: أن التحية هاهنا الملك، أي أن ملكهم فيها دائم السلام، ومأخوذة من قولهم في التشهد التحيات لله أي الملك لله.(٢)

وفي المحيي لهم بالسلام ثلاثة أوجه:

١- أن الله يحييهم بالسلام.

٢- أن الملائكة يحيونهم بالسلام.

٣- أن بعضهم يحي بعضاً بالسلام.(٣)

---

(١) انظر البحر المحيط لأبي حبان محمد بن يوسف بن علي بن حبان ج٣ ص٤٧٥

(٢)انظر النكت والعيون للماوردي ج٣ ص١٣١

(٣) المرجع السابق،ج٣ص١٣١

ولقد بين النبيﷺفي فضل أمته بالسلام والتأمين حيث حسدتها الأمم الأخرى، فقال[ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين].(١)

الخامس عشر: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بالسحور للصوم:-

إن الله تعالى جعل السحور لهذه الأمة بركة تتقوى به على صومها، قال تعالى﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ**﴾ (البقرة:١٨٧). وهذا السحور لم يشرع في الأمم السابقة، ولذلك ورد في الحديث أن النبيﷺ كان يحث أصحابه على الأخذ بهذه الفضيلة، فقال [تسحروا فإن في السحور بركة].(٢) وقال [إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوها].(٣)

وقال في حديث مبيناً فضلنا في صيامنا على أهل الكتاب، فقال ﷺ [فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر].(٤)

السادس عشر: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بتعدد أنواع الشهادة فيها:-

لقد كان من المعروف في الأمم السابقة أن الشهيد هو من مات في سبيل الله في الحرب على يدي عدوه، ولكن الله تعالى كرم الأمة المحمدية، فجعل الشهادة فيها على عدة وجوه، أعلاها ما كان في أرض المعركة،فهناك عدة وجوه للشهادة في أمة محمد ﷺ لخصها النبي في قوله لأصحابه[ما تعدون الشهيد منكم؟ قالوا يا رسول الله: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل، قالوا: فمن يا رسول الله، قال:من قتل في سبيل الله فهو شهيد،ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد، ومن مات بالبطن فهو شهيد].(٥)

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الجهر بآمين ح٨٥٦ وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري، كتاب السحور، باب بركة السحور من غير إيجاب ح١٩٢٣

(٣) سنن النسائي، باب فضل السحور، ح٢١٦١ ج٤ ص ٤٥٣

(٤) صحيح ابن حبان، باب ذكر العلة التي من أجلها أمر بهذا الأمر، ح٣٤٧٧، ج٨ ص٢٥٤، إسناده صحيح على شرط مسلم

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء ح٥٠٥٠

وفي رواية لأحمد قال رسول الله ﷺ [ما تعدون الشهيد فيكم، قالوا يا رسول الله: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي لقليل، القتل في سبيل الله شهادة، والبطن شهادة، والغرق شهادة، والنفساء شهادة، والطاعون شهادة].[1]

السابع عشر: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم أن جعل فيها المجددين للدين:-

إن الأمم السابقة كانت إذا فشت فيهم الضلالة سرعان ما تنتشر فيهم ويجتمعون عليها، حتى رهبانهم وأحبارهم، وهذا مدعاة لتحريف كتبهم، وعقائدهم وشرائعهم. أما هذه الأمة المحمدية فقد تكفل الله تعالى بحفظ دينها عليها، قال تعالى**﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾** (الحجر:٩). ومن أبواب هذا الحفظ أن الأمة لا تجتمع على ضلالة وأن الله تعالى يبعث فيها من يجدد لها دينها، حتى لا تضل الأجيال المقبلة بعدها، وقد ورد في الحديث أنه قال ﷺ [إن لكل قرن من أمتي سابقون]،[2] فالخيرية في هذه الأمة لا تنقطع.[3] لقوله ﷺ [إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها][4]

ولقد اقتبس النبي ﷺ استمرار خيرية الصالحين من أمته وعدم انقطاعهم، وتجديد عطائهم لأمتهم من قوله تعالى**﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾** (إبراهيم:٢٤-٢٥) . فشبه الإنسان المسلم في استمرار عطاؤه وتجديده وعدم انقطاعه بهذه الشجرة، التي ضربت مثلاً في القرآن بالكلمة الطيبة التي تخرج من اللسان الطيب، فقال النبي ﷺ [إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وإنها كمثل المسلم......].[5]

قال علماء الحديث إن هذه الشجرة هي النخلة التي لا ينقطع عطاؤها، ودائمة التجديد في عطائها للبشر والدواب، فهي تُعطي البلح ثم الرطب ثم التمر على مدار العام، فالمسلم عطاؤه متجدد مستمر لا ينقطع، ولو انقطع سرعان ما عاد للتجديد.[6]

---

(١) مسند الإمام أحمد، باب مسند أبي هريرة، ح٨٠٧٨، ج٢ ص ٣١٠، تعليق شعيب الأرناؤوط :إسناده صحيح على شرط مسلم

(٢) جامع الأحاديث للسيوطي ج١٥ ص٤ إسناده حسن

(٣)انظر كتاب مبشرات النصر والتمكين ص ٣٨٨

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة ح٤٢٩١،قال الألباني صحيح

(٥) صحيح البخاري ، كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا وأنبأنا ح٦١

(٦)انظر فتح الباري ج١ ص١٤٦

الثامن عشر: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بالغر والتحجيل: -

إن الله تعالى قد ميز أمة محمدﷺ بمميزات يعرفها بها نبيهاﷺ يوم القيامة وخاصةً أنه ما عاصر جميع أمته، فهو لا يعرف من أمته إلا من عاصره، ولكن سيعرفهم يوم القيامة بهذه المميزات، التي أعطاها الله تعالى لهم، ومنها السجود الذي يبعث النور في وجوه الساجدين لله تعالى، قال تعالى في وصف أصحاب محمدﷺ والذين هم عنوان هذه الأمة إلى يوم القيامة ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُود**﴾ (الفتح:٢٩) ثم الوضوء الذي أمرنا الله تعالى بفعله عند الصلاة، قال تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْن....**﴾ (المائدة:٦).

وقد بين النبيﷺ فضل الوضوء على أمته يوم القيامة، قال ﷺ [إن حوضي أبعد من إيله من عدن، لهو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسول: أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سيماً ليست لأحد من الأمم، تردون عليَّ غراً محجلين من أثر الوضوء].(١)

إذاً هذه الأمة مميزة عن الأمم كلها يوم القيامة بنور سجودها، وبالغر والتحجيل في وضوءها.

ما يراه الباحث: أن الله تعالى جعل نور السجود في الصلاة، ونور التحجيل من أثر الوضوء، ورائحة المسك في خلوف فم الصائمين في أمة محمدﷺ، لتتميز هذه الأمة بهذه السمات، عن الأمم كلها، في أرض المحشر، وذلك أن رسالة محمد ﷺ باقية من بعده إلى يوم القيامة، وأمته باقية ببقاء رسالته، وذلك خلاف الأنبياء السابقين، وهو لم ير من أمته إلا أصحابة الذين صاحبوه في دعوته، والله تعالى أعطاه الشفاعة كرامة لأمته فهو يتعرف بهذه السمات على أفراد أمته في أرض المحشر، الذين لم يرهم في الدنيا.

التاسع عشر: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بالنصر والتمكين إلى يوم الدين: -

ما من أمة من الأمم السابقة إلا كتب الله تعالى عليها الهزيمة والدمار بعد علوها، إلا أمة محمدﷺ فإن الله تعالى قد بشرها بالعلو حتى لو هزمت في مرحلة من المراحل، فنجد أن الله تعالى قال لبني إسرائيل ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾ (الإسراء:٤). ثم إن الله تعالى وعدهم بالدمار التام بعد هاذين العُلوَين، فقال

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الوضوء، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ح٢٤٧

تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآَخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء:٧).

والمعنى أن الله تعالى أخبر عن علوهم في الأرض مرتين واصطحابهم الفساد مع كل علو، وإحلال العذاب والدمار عليهم مع كل فساد، فبين الله تعالى أنهم قد فسدوا الفساد الأول فأرسل عليهم من يسومهم سوم العذاب، وذلك على يدي بوخذ نصر البابلي، حيث قتل رجالهم، وسبى نسائهم وأطفالهم، وبعد ذلك عاد علوهم وفسادهم مرة ثانية، والله تعالى حذرهم من مغبة هذا الفساد، وذكرهم بما حل بهم من دمار، وتوعدهم بإرسال من يسومهم سوء العذاب إن عادوا للفساد الثاني،[١] ودمر علوهم دماراً شديداً، فقال لهم﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآَخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا*عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء:٧-٨) . أي إن عدتم للفساد عدنا للدمار والإذلال في الدنيا وما ندخره لكم في الآخرة من العذاب والنكال.[٢]

قال قتادة: قد عاد بنو إسرائيل فسلط عليهم محمدﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.[٣]

والذي يراه الباحث أن تسليط محمدﷺ وأصحابه عليهم لم يكن الدمار النهائي لهم، حيث إن علوهم لم يكن علواً شاملاً لجميع اليهود كما هو الحال الآن، إنما كان علواً لبعض أحياء اليهود في جزيرة العرب، أما العلو المتوعد به دمارهم النهائي هو العلو الذي بدأ في زماننا هذا والذي نراه لليهود الآن حيث تحكموا في مقدرات العالم بأسره، والذي يمتد إلى خروج الدجال حيث يكون لهم الدمار النهائي كما قال رسول الله ﷺ [لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وينطق الحجر والشجر، يا مسلم يا عبد الله ورائي يهودي تعال فاقتله.....].[٤]

هذا هو حال الأمم السابقة في علوها، أنه لا يدوم، وأنه ليس فيه التمكين المستمر، أما أمة محمدﷺ فعلوها موجود دائماً ولكنه مرتبط بإقامة الدين، ووجود الإيمان، ووجود النصرة لدين الله تعالى، فهو معرض للظهور في كل لحظة إذا وجد الإيمان والعمل به، ولذلك قال

([١]) انظر تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٨

([٢])انظر المرجع السابق ج٣ ص ٢٨

([٣]) انظر تفسير ابن كثير ج٣ ص ٢٩

([٤]) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتني كنت مكانه ح ٢٩٢٢

تعالى﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾(آل عمران:١٣٩). وقال تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ (محمد:٧). وقال تعالى﴿ **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾ (النور:٥٥) . يقول ابن كثير: " هذا وعد من الله تعالى لرسوله بأنه سيجعل أمته الولاة على الناس فيصلح بهم العباد، ويخضع لهم العتاد، وليبدلنهم بعد خوفهم أمناً وحكماً".[١]

والله تعالى وعد محمداًﷺ وأمته بظهور دينهم وعلوهم على كل أهل الكفر، ويظهر هذا العلو جلياً أيام ظهور المهدي وعيسى –عليه السلام- قال تعالى﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ**﴾(التوبة:٣٣). وقال ﷺ موضحاً هذا الوعد من الله[بشر هذه الأمة بالنصر والسناء والتمكين........].[٢]

العشرون: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بأنهم الأكثر عدداً في الجنة والأولون في دخولها: -

إن الله تعالى منَّ على أمة محمد ﷺ بأن جعلها أقل الأمم عدداً في الدنيا، وأكثرها في الجنة، وأسبقها دخولاً فيها، وهذا ما وضحه النبيﷺ لما نزلت عليه أوائل سورة الحج، قال تعالى
﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**﴾ (الحج:٢) [نزلت هذه الآية على النبيﷺ وهو في مسير، فرجع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه، فقال: أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقول الله لآدم: يا آدم قم فأخرج بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فكَبُرَ ذلك على المسلمين، فقالﷺ سددوا وقاربوا وأبشروا، فو الذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، وإن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج].[٣] وفي رواية عن عمران بن حصين﷛ عن النبي ﷺ أنه قال[إني

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص ٣٠٧

(٢) صحيح ابن حبان، باب ذكر وصف إشراك المرء بالله، ح ٤٠٥ ج ٢ ص ١٣٢إسناده صحيح

(٣) كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، كتاب الفتن، ح ٧٨٢٣ج ٨ ص ٢١٩ صححه أحمد والحاكم

لأرجوا الله أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبروا، ثم قال إني لأرجوا أن تكونـوا ثلـث أهـل الجنة،فكبروا، ثم قال إني لأرجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا.....].[1]

هذا بيان لفضل أمة محمدﷺ في كثرة عددها في الجنة، حيث إنها الأمة القليلة في عددها فـي الدنيا، الكثيرة في عددها في الجنة، وبسبقها للحساب بين يدي الله تعالى على الأمم كلها، كمـا ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال:[نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمـة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون].[2]

الحادي والعشرون: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بعظيم شفاعة بعضها لبعض:-

إن من كرم الله تعالى على أمة محمدﷺ أن جعل فيها الشفعاء وهم كثر، حتى أنه جل وعـلا جعل من الأمة من يشفع لبعضهم البعض، مثل الشهداء والعلماء والصالحين، وما أكثرهم فـي هذه الأمة، والدليل على شفاعة الصالحين قوله تعالى في رده لشفاعة الظالمين يوم القيامة،

﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر:١٨) . والمعنى: أنه لـيس للظـالمين يـوم القيامة الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم في الدنيا، من صاحبٍ يشفع لهم، فيُقبل، ولا شفاعة مـنهم لغيرهم تُقبل.[3]

وقد بين النبي ﷺ عظم شفاعة الشهداء يوم القيامة، فقال:[يشفع الشهيد في سبعين مـن أهـل بيته].[4]

وبين النبيﷺ عِظَم شفاعة أمته بعضها لبعض، فقال:[إن من أمتي من يدخل الجنة بـشفاعته أكثر من مدر، وإن من أمتي من يُعظم في النار حتى يكون أحد زواياها].[5]

الثاني والعشرون: فضل أمة محمد ﷺعلى الأمم بدخول الكثير منها الجنة بغير حساب:-

إن الله تعالى جعل الحساب على الخلائق لبيان عدله في خلقه، والله تعالى يمايز بين الخلائـق في حسابه، فهناك من توزن أعماله ويحاسب على كل صغيره وكبيرة، قال تعالى**﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** (الزلزلة:٧-٨). وقال تعالى**﴿ فَأَمَّا مَـنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾** (القارعة:٦-٩).

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، قصة يأجوج ومأجوج ح٣٣٤٨

(2) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ٤٢٩٠ ، صححه الألباني.

(3) انظر جامع البيان ج٢٤ص٣٥

(4) سنن أبي داوود، باب الشهيد يشفع ، ح٢٥٢٤ ج٢ ص ٣٢٢، صححه الألباني

(5) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة النار ح٤٣٢٣ ، صححه الألباني

وهناك من يُعطى الخير الكثير، والجزاء الوفير يوم القيامة بغير حساب ولا ميزان، قال تعالى﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾(الزمر:١٠). يقول الطبري:" إنما يُعطي الله أهل الصبر على ما لاقوا في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب، يقال لهم: ثوابهم بغير حساب".[١]

وبين النبيﷺ فضل أمته في أعمالها حيث بين أن الكثير من أمته يدخله الله تعالى الجنة بغير حساب، ويغدق عليهم الخير في الجنة، بغير مكيال، قال ﷺ [يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف مما سيكون بعضهم أَخذا بيد بعض، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على ضوء القمر ليلة البدر].[٢]

وقال أيضاً:[وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثياته].[٣]

وإن عدد السبعين ألف بالنسبة لعدد الأمة قليل، ولكن الكثرة والبركة في حثيات الله، التي لا يعلم عددها إلا الله تعالى.

---

(١) جامع البيان ج٢٣ص١٣١

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ح٦٥٥٤

(٣) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ح٢٤٣٧، صححه الألباني

المبحث الثاني

تفضيل الصحابة على جميع أمة محمدﷺ

وفيه ستة مطالب: -

المطلب الأول: تفضيل الصحابة على جميع الأمة بالسبق للإسلام وغربته الأولى

المطلب الثاني: تفضيل الصحابة على جميع الأمة بصحبة النبي ﷺ

المطلب الثالث: تفضيل الصحابة على جميع الأمة بذكرهم في الكتب السماوية السابقة

المطلب الرابع: تفضيل الصحابة على جميع الأمة بمدح القرآن لهم

المطلب الخامس: تفضيل الصحابة على جميع الأمة بزيادة محبتهم وطاعتهم لرسول اللهﷺ

المطلب السادس: تفضيل الصحابة على جميع الأمة بجهادهم مع رسول اللهﷺ

المبحث الثاني

تفضيل الصحابة على جميع أمة محمد ﷺ

وكما أن الله تعالى قد فاضل بين الخلائق، وفضل أمة محمدﷺ على الخلائق كلها، فإنه جل وعلا قد فاضل بين أمة محمد ﷺ فيما بينها، ومن مظاهر هذا التفاضل، فقد فضل الصحابة "أصحاب النبيﷺ" على جميع أمة محمدﷺ فيكون بذلك هم أفضل أهل الأرض جميعاً، بعد الأنبياء والرسل.

ولبيان فضل أصحاب النبيﷺ فقد قسم الباحث هذا المبحث إلى ستة مطالب:-

المطلب الأول: فضل الصحابة على جميع الأمة بالسبق للإسلام وغربته الأولى: -

إن الله تعالى جعل لكل نبي حواريين يؤازرونه في دعوته، ويتحملون معه مشاق الدعوة إلى الله تعالى، وهؤلاء هم أهل السبق لنصرة أنبيائهم، ورفعة دينهم، وكذلك فقد جعل لنبينا محمدﷺ أصحاباً تحملوا معه مشاق هذه الدعوة، وأذى أهل الكفر وعذاباتهم، فكانوا هم أهل السبق لنصرة دعوة الله، وحازوا على وسام الشرف من الله تعالى، حيث بشرهم بأنهم هم السابقون المقربون يوم القيامة، قال تعالى﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ*أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ**﴾ (الواقعة:١٠-١١) . والمعنى: أن الله تعالى مدح أهل السبق والاستجابة لدعوة الإسلام، فجعلهم في مقام القربة عنده يوم القيامة، ولقد اختلف أهل التأويل في هوية هؤلاء السابقين، فقال ابن عباس:"هم أهل السبق للهجرة مع النبي" حتى قال عنهم السابقون إلى الهجرة في الدنيا، هم السابقون للجنة في الآخرة "، [١]وقال تعالى: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (الحشر:٨). قال عكرمة: هم السابقون للإسلام، وقال بعضهم: هم السابقون إلى إجابة رسول الله في الدنيا فهم السابقون إلى الجنة في الآخرة، [٢]وقيل: هم المسارعون إلى التوبة وأعمال البر، لقوله تعالى﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ**

---

[١]الكشف والبيان ج٩ ص٢٠٢

[٢]انظر تفسير معالم التنزيل ج٧ ص٩

النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣-١٣٤) [١] وقال بعضهم: هم أول الناس روحاً إلى المسجد في الصلوات الخمس.[٢]

والذي يراه الباحث: أن هذا السبق وإن كان أول من حاز على شرفه أصحاب النبي ﷺ وفضلوا به على جميع الخلائق، فإن فضله يبقى شرفاً لكل من سابق في هذه الأمة، لنصرة دعوة الله سبحانه وتعالى في كل زمن يحتاج فيه الدين النصرة، وتحمل الأذى في سبيله، فيكون من أهل السبق في زمانه، وينطبق عليه قوله تعالى(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ). والدليل على ذلك قول النبي ﷺ في الحديث [بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء].[٣] ولكن وإن كان كثير من المسلمين قد شارك أصحاب النبي ﷺ في شرف السبق إلى نصرة دين الله، والسبق إلى أعمال الخير، فإن أصحاب النبي ﷺ قد تميزوا بسبقهم عن سبق غيرهم، في هذه الأمة، فهم أول من لاقى من الأذى وتحمل الشدائد مع نبيهم ﷺ، في أول مسيرة الدعوة،وفي بدء ظهورها، وهم الذين دفعوا ثمن السبق فيها أغلى ما يملكون من أرواح ودماء وأموال وأوطان وبنين، فقد تركوا أوطانهم وهاجروا منها، وعادوا أقرب المقربين إليهم، حتى آبائهم وأبنائهم، وما ذلك إلا نصرة لدين الله، حتى نزل في حق الكثير منهم قرآن، قال تعالى في حق بعضهم**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ﴾** (البقرة:٢٠٧). وهم أول من خاض المعارك في سبيل نصرة دين الله، كيوم بدر وأحد والأحزاب، فقال تعالى في حقهم**﴿ مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾**(الأحزاب:٢٣).

ولذلك فإن النبي ﷺ أوصى بأصحابه خيراً، وحذر من التعدي عليهم بالقتل أو السب أو الشتم، فقال [لا تسبوا أصحابي، والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه].[٤] وفي هذا رد على أهل الضلالة والانحراف من غلاة الشيعة، الذين تطاولوا بألسنتهم على أصحاب النبي ﷺ بالسب والشتم ونسبة الكفر والضلال لهم.

---

(١) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج٧ ص١٥

(٢) انظر تفسير معالم التنزيل ج٧ ص٩

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ ح١٤٥

(٤) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب الرسول ح٤٦٥٨ ، صححه الألباني

المطلب الثاني: تفضيل الصحابة على جميع الأمة بصحبة النبي ﷺ

إن لمقام الصحبة مع رسول الله ﷺ عند الله تعالى شأن عظيم ميز الله تعالى فيه أصحاب محمد عن غيرهم من الأمة، بل من البشرية كلها، ولذلك مدحهم في كثير من آيات القرآن، في مواقف كثيرة، أو صفات حميدة. ومن أعلى درجات المدح من الله تعالى، أن مدحهم في مقام الصحبة، قال تعالى﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾(الفتح:٢٩).والمعنى: أن الله تعالى مدح فيهم هذه المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد، وذلك بقوله(وَالَّذِينَ مَعَهُ)، أي الذين داوموا معه على السمع والطاعة والنصرة والفداء بالنفس والمال والأهل، والذين عُرفوا بما عاهدوا الله عليه.[١]

فقد بدأ الله تعالى المدح والثناء في هذه الآية على رسولهم، وأثبت له الرسالة التي أنكرها سهيل ابن عمرو ممثل أهل الكفر في توقيع صلح الحديبية، حيث قال للنبيﷺ:" لو عرفناك رسول الله ما صددناك، فقال: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ). وبعدها أثنى على هذه الجماعة المصاحبة لرسول الله، التي آمنت وصدقت به[٢] فرسم الله تعالى في هذه الآية صورة وضيئة لواقع هؤلاء الصحابة، صور من عدة لقطات، لأبرز حالاتها، لقطة تصور حالهم مع الكفار(أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ) ، ولقطة تصور حالهم مع أنفسهم(رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)، ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم(تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا)، ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها(يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا)، ولقطة تصور أثر هذه العبادة والتوجه إلى الله(سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)، ثم بعد ذلك لقطة تبين تشبيههم بالزرع الذي أخرج ثمره، فتقوى سوقه بهذا الثمر، حتى أعجب جماعة من الزراع وأغاظ جماعة أخرى. [٣]

لقد كان هذا من أعلى مراتب المدح لصحابة رسول الله ﷺ التي استحقوها بصحبتهم لرسول الله ﷺ والتي تميزوا بها عن باقي الأمة، حتى ظهر هذا التميز بسمات الصلاح في وجوههم، والتي اختلف المفسرون في معناها، فقال بعضهم: إنه أثر محسوس لكثرة السجود التي تميزوا به، حيث يتعلق التراب والطين في جبهة الساجد، أو علامة تظهر في جبهة الساجد من كثرة سجوده.

---

(١) انظر اللباب في علوم الكتاب ج١٧ ص٥١٢

(٢) انظر أعلام النبوة للماوردي ص١٢١

(٣) انظر في ظلال القرآن ج٧ص٥١٣-٥١٤

وقال بعضهم: إنه أثر يظهر يوم القيامة على أرض المحشر، في وجوههم لقوله تعالى﴿ **تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ** ﴾ (الحديد:١٢). وقال بعضهم: هو أثر نفسي يتركه السجود في نفوس الساجد من راحة وطمأنينة يشعر بها بعد سجوده وركوعه.[1]

ولقد ذكر النبيﷺ فضل صحبتهم الميمونة، فقال [اشتقت لإخواني قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله، قال: أنتم أصحابي..........].[2]

وفي هذا الحديث بيان لفضل صحابة رسول الله على كل من جاء بعدهم، حيث حازوا على التفرد بفضل الصحبة، واكتساب فضل الأخوة ضمنا مع كل المؤمنين، حيث قال تعالى﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ (الحجرات:١٠).

المطلب الثالث: تفضيل الصحابة على جميع الأمة بذكرهم في الكتب السماوية السابقة:-

إن من أهم مناقب صحابة النبي ﷺ الذين صاحبوه في دعوته إلى الله، ذكرهم في الكتب السماوية السابقة، كالتوراة والإنجيل، كقوله تعالى﴿ **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ**﴾ (الفتح:٢٩) والمعنى في قوله(ذلك)أي صفات أصحاب رسول اللهﷺ في التوراة، وهي الشدة على الكفار، والرحمة بالمؤمنين، وحالة السجود والركوع، الذي ترك في وجوههم سمات الصلاح والفلاح.[3]

أما المعنى في قوله(وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ)، أي أن هذا الزرع الممثل به أصحاب النبي ﷺأخرج فراخه، (فَآزَرَهُ) أي شدَّ إزره فقواه، فالمؤازرة من المعاونة،(فَاسْتَغْلَظَ) أي صار من الدقة إلى الغلظة،(فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) أي استقام على قصبه وهي جمع ساق، فهذه الصفات الحميدة العجيبة، وما تولد منه أعجب الزراع الذين يتفننون في فن الزراعة، وفي المقابل أغاظ قلب فئة لا تحسن فن الزراعة، فملئت قلبها بالحسد على هذه الجودة من الزرع.[4]

إن هذا المثل ضربه الله تعالى لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة، إلى أن قوي واستحكم، لأن النبيﷺ قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه، كما الطاقة الأولى من الزرع بما يتخرج منه، حتى أعجب الزراع.

---

(١) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٦ ص٢٠٥

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل عند الوضوء ح٢٤٩

(٣) انظر أيسر التفاسير ج٥ ص١١٨

(٤)انظر تفسير السعدي ص٧٩٥

يقول عكرمة: " إن هذا الزرع الذي زرعه محمدﷺ قد أخرج شطئه بأبي بكرٍ، وآزره بعمر، واستغلظ بعثمان، واستوى سوقه بعلي". [1]

وقيل إنه مكتوب في الإنجيل: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهــون عن المنكر. [2]

وتمشياً مع هذه المعاني في صفات أصحاب النبي ﷺ التي أُستنبطت من التــوراة والإنجيــل، والتي جمعها القرآن، نرى أن النبيﷺ يضرب المثل ويشبه بين الزرع الطيب، وبين أصحابه ومن سار على هديهم، فقال:[إن من الشجر لشجر لا يسقط ورقها،وإنها كمثل المسلم]. [3]

وقد استنبط النبي ﷺ هذا المثل من قوله تعالى**﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾**(إبــراهيم:٢٤). فالكلمة الطيبة تُمثل الرجل المؤمن الذي سار على دين الله تعالى، والشجرة الطيبة هي كما قال العلماء النخلة.

المطلب الرابع: تفضيل الصحابة بمدح القرآن لهم:-

إن من مظاهر رضا الله عن أصحاب النبيﷺ أن الله تعالى قد مدح مــواقفهم التــي قــدموها لخدمة دين الله تعالى، والتي تمايزوا وتفاضلوا عن البشر كلهم بها في قرآنه، فالله لا يــضيع أجر المحسنين، ومن هؤلاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم. كما أنه في المقابل ذكر كثيرا من أهل السوء الذين علم الله تعالى أنه لا تغير في حالهم إلى الأصلح، فذكرهم بالــسوء والشر والتوعد بالنار، كأبي لهب وأبي جهل وابن المغيرة وغيرهم من أهل الكفر.

والله تعالى قد مدح أصحاب النبيﷺ على وجهين: وجه جماعي، ووجه انفرادي.

أولاً: المدح الجماعي، وهو على ثلاثة وجوه :-

١- مدح جماعي عام: حيث مدح أصحاب النبيﷺ بصفة جماعية، دون تمايز بين أحد مــنهم جمع فيه بين المهاجرين والأنصار، قال تعالى**﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِــدَّاءُ عَلَــى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾**(الفتح:٢٩). وكقوله تعالى**﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِــنَ المُهَــاجِرِينَ وَالأَنْــصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾**(التوبة:١٠٠). وكمدحه أصحاب بيعة الرضوان، وهم مــن

---

[1] تفسير الكشاف ج٤ ص٣٥٠

[2] انظر المرجع السابق ج٤ ص٣٥٠

[3] صحيح البخاري ، كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا وأنبأنا ح٦١

المهاجرين والأنصار، الذين بايعوا الرسولﷺ على الموت لمّا تسرب أن قريش قتلت عثمان رسول رسول الله ﷺ إليهم، قال تعالى﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ (الفتح:١٨). [١]

٢- **مدح جماعي خاص بالمهاجرين**: وفيه مدح الله تعالى المهاجرين الذين هاجروا مع نبيهم، تاركي الأهل والأموال، والبلدان لأجل الله تعالى ولنصرة نبيهﷺ، قال تعالى﴿**لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (الحشر:٨) . يقول ابن كثير:" هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وخالفوا أقوامهم ابتغاء مرضات الله ورضوانه، وهم الذين صدّقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين".[٢]

وقوله أيضاً في المهاجرين﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ** ﴾(الأنفال:٧٢). والمعنى: أن الله قد قسم المؤمنين في مكة بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة إلى قسمين، قسم: هم الذين وافقوه في هجرته فهاجروا معه، تاركي الأموال والأولاد والأرض، فهؤلاء هم المهاجرون الأولون الذين سابقوا وسارعوا معه في هجرته، ولم يتأخروا لزمن طويل، فالله تعالى وصفهم بصفات أربع، مدحهم فيها:[٣]

الأولى: أنهم آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وقبلوا جميع التكاليف التي بلغها لهم رسولهم ﷺ ولم ينكروها أبداً.

الثانية: صفة الهجرة ومفارقة الأوطان، وترك الأقارب والجيران في طلب مرضاة الله تعالى.

الثالثة: صفة الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، حيث ضاعت بهذه الهجرة أموالهم ومساكنهم، وضيعهم، ومزارعهم، وأنفقوا ما تبقى معهم من المال، في سبيل نصرة دين الله.

الرابعة: أنهم من أول الناس سبقاً لهذا الفضل، فضل الهجرة والإنفاق في سبيل الله تعالى.

وقسم: هم الذين خالفوا أمره فآمنوا به ولم يهاجروا معه، فالله تعالى ما قبل منهم هذا الإيمان، ولا استحقوا أن يمدحوا، بل ذمهم الله تعالى، قال تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي**

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ج١٢ ص١٤٨

(٢) تفسير ابن كثير ج٤ص٣٣٧

(٣)انظر مفاتيح الغيب ج ١٥ ص٥٢١

أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:٩٧).[١]

٣- **مدح جماعي خاص بالأنصار**: وهؤلاء هم الذين لما هاجر إليهم النبيﷺ بطائفة من أصحابه من أهل مكة، آووهم ونصروهم، فسموا بالأنصار قال تعالى**﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾** (الحشر:٩). والمعنى: أن المراد في قوله (الدار): هي المدينة،وهي دار الهجرة، تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، وتقديرها: الذين تبوءوا المدينة والإيمان من قبلهم.

فإن قيل: هل تبوءوا الإيمان قبل المهاجرين بمعنى هذه الآية؟ فالجواب: ليس المعنى أنهم تبوءوا الإيمان قبل المهاجرين، إنما المعنى أنهم جعلوا الإيمان مستقراً ووطناً لهم لتمكنهم منه، واستقامتهم عليه، أو أنهم تبوءوا الدار، وتبوءوا الإيمان قبل أن يهاجر لهم المهاجرون.[٢]

ثانياً: الوجه الانفرادي: وهو أن الله تعالى قد مدح بعض أصحاب النبي ﷺ بصورة إنفرادية، على عملٍ قدمه أو قام فيه، استحق به المدح، كقوله في حق أبي بكر رضي الله عنه **﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى* الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾**(الليل:١٧-١٨). عن قتاده في قوله: (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) يقول : "ليس به مثابة الناس ولا مجازاتهم إنما عطيته لله.[٣] وقد نزلت الآية في أبي بكرٍ، قد أعتق ناساً لم يلتمس منهم جزاءً ولا شكوراً، وهم ستة أو سبعة، ومنهم بلال وعامر ابن فهيرة" [٤]

وقوله تعالى**﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى﴾** (الليل:٥-٦). قال ابن الزبير:"إنها نزلت في حق ابي بكر رضي الله عنه". وقوله تعالى **﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** (لقمان:١٥) قال ابن عباس:" إنه أبو بكر".[٥]وقوله تعالى**﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾** (الزمر:٣٣). قال علي رضي الله عنه:" إن الذي جاء بالصدق محمدﷺ والذي صدق هو أبو بكر رضي الله عنه ".[٦]

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ج ١٥ ص٥٢١

(٢) انظر مفاتيح الغيب ج٢٩ ص٥٠٩

(٣) انظر الدر المنثور ج٨ ص٥٣٨

(٤)انظر تفسير معالم التنزيل ص١١٢٦

(٥)انظر كتاب الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ج١ ص٨٤

(٦) انظر المرجع السابق ج١ ص٨٤

وقد يكون المدح بتأييد الله لأحد على رأيٍ أبدى به وهو ما يسمى الإقرار، وهذا أسلوب من أساليب المدح في القرآن تكررت في آيات كثيرة، كتأييد رأي عمر رضي الله عنه في أسرى بدر حيث استشار النبي ﷺ أصحابه فيهم، فكان لعمر رأيٌ مغاير لآراء الصحابة فيهم.

ولقد استشار النبي ﷺ الناس في الأسرى يوم بدرٍ، فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر: فقال يا رسول الله إضرب أعناقهم، فاعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد ﷺ فقال يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس، فقام عمر فقال: يا رسول الله إضرب أعناقهم، فأعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد ﷺ فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء، قال: فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، قال: فأنزل الله تعالى **﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآَخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (الأنفال:٦٧)].[1]

فهذه الآية مؤيدة لرأي عمر رضي الله عنه وكرامة له، وفي ذلك قال عمر رضي الله عنه [وافقني ربي في ثلاث، قلت يا رسول الله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت**﴿وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾** (البقرة:١٢٥). وقلت يا رسول الله: إن نسائكم يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبنَّ، فنزلت**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾**(الأحزاب:٥٩). واجتمع على رسول الله ﷺ نساءه في الغيرة، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت**﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾** (التحريم:٥).] [2]

وكذلك مدح الله تعالى عثمان بن عفان رضي الله عنه في عبادته وفي إنفاقه في سبيل الله، قال الله تعالى مادحاً عبادته**﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾** (الزمر:٩). قال عمر رضي الله عنه: إنها نزلت في عثمان رضي الله عنه.[3] ونزل في حقه أيضاً قوله تعالى**﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (البقرة:٢٦٢). وقوله تعالى**﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أُولَئِكَ**

([1]) مسند الإمام أحمد ، مسند المكثرين، باقي المسند السابق ح١٣١٤٣، قال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره

([2]) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن، باب واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ح٤٤٨٣

([3]) انظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص١٨٤

عَنْهَا مُبْعَدُونَ* لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠١-١٠٢).
يقول على ﷺ : أن هذه الآيات نزلت في حق عثمان ﷺ.[١]

وكذلك مدح الله تعالى طلحة بن عبيد الله ﷺ في ثباته مع رسول الله ﷺ يوم أحد، حينما انكشف أصحاب النبيﷺ عن رسول الله ﷺ، وفروا من أرض المعركة،[لما رجع النبيﷺ إلى المدينة، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه،فقرأ ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا**﴾ (الأحزاب:٢٣). فأقبل طلحة وعليه ثوبان أظفران، فقام رجل فقال يا رسول الله: من هؤلاء؟ فقال النبيﷺ: أيها السائل هذا منهم، وأشار إلى طلحة].[٢]

وقد مدح الله تعالى زيد بن حارثةﷺ وذكره في القرآن باسمه، فما ذُكر أحدٌ من المسلمين باسمه إلا زيد، قال تعالى﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا**﴾(الأحزاب:٣٧). وهذا شرف عظيم لزيد بن حارثة ﷺ،حيث كان يُدعى زيد بن محمد، من شدة حب رسول اللهﷺ له، فنزلت هذه الآية، لتبطل عادة التبني.[٣]

وكذلك مدح الله تعالى صهيب الروميﷺ، حينما ترك ماله الكثير لكفار قريش، مقابل أن يهاجر مع رسول اللهﷺ، قال تعالى﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ (البقرة:٢٠٧).

أخرج ابن مردويه عن صهيبﷺ قال: لما أردت الهجرة من مكة إلى النبيﷺ قالت لي قريش: يا صهيب قدمت إلينا وما مال لك، وتخرج أنت ومالك؟ والله لا يكون ذلك أبدا، فقلت لهم: أرأيتم إن دفعت إليكم مالي، تخلون عني؟ قالوا نعم، فدفعت لهم مالي، فخلوا عني، فخرجت حتى قدمت المدينة، فبلغ ذلك النبيﷺ فقال: ربح البيع صهيب مرتين، فنزلت الآية.[٤]

([١]) كتاب الرياض النضرة في مناقب العشرة ص ٢١٢

([٢]) كتاب الأحاديث المختارة، لأبي عبد الله ابن أحمد المقدسي، ح٨١٧ج ٣ ص١٨ إسناده حسن

([٣]) انظر صفة الصفوة ص ٦٦ لابن الجوزي

([٤]) فتح القدير ج١ ص ٢٩٠

المطلب الخامس: تفضيل الصحابة على الأمة بزيادة محبتهم وطاعتهم لرسولﷺ

إن من أهم عوامل الإيمان في عقيدتنا، محبة رسول اللهﷺ ، وتقديم هذه المحبة على محبة أي شيءٍ في الحياة، حتى النفس، وهذا ما قاله النبي ﷺ لعمرﷺ ، حينما قال له عمر:[لأنت أحب إلي من كل شيء ، إلا نفسي، فقال له النبيﷺ والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر:فإنه الآن، والله لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال النبيﷺ الآن يا عمر].(١)

وقول النبي ﷺ [ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..........].(٢)

ولقد ظهرت محبة أصحاب النبي ﷺ أكثر من محبة الأمة له بأسرها، وذلك بافتدائهم أرواحهم له، وبحماية دعوته، وبما أنفقوا من مالٍ وأهلٍ في سبيل محبته، فطبقوا قول الله تعالى﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (آل عمران:٣١).

المعنى: أن الله تعالى قد ربط محبته بمحبة رسولهﷺ حيث لا تكون المحبة إلا بالإتباع، فلما أعلنت اليهود أنهم أحباء الله وأولياؤه، ولما قالت النصارى: إنما نُأله عيسى محبة لله، ولما سجدت قريش للأصنام، فقال لهم رسول الله، لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم، فقالوا: ما نعبدهم إلا محبة لله وقربى له، فنزلت هذه الآية، تنكر عليهم هذه المحبة المزيفة، الخاطئة الكاذبة، وتبين لهم، أن محبة الله مربوطة بمحبة محمد ﷺ وأتباعه.(٣)

وقد تجسدت محبة أصحاب رسول الله ﷺ له في مواقف شهدت لهم بها الأعداء، أن ليس هناك أحد يحب أحداً، كحبهم لمحمدﷺ فلما صلبت قريش خُبيب بن عَديﷺ لدمٍ بينها وبينه في يوم بدرٍ، وأخذوا يضربونه بالسهام حتى نزف دمه، جاءه أبو سفيان يعرض عليه على أن يكون محمدٌ مكانه على الصلب، وهو معافى في أهله، فرفض ذلك وقال: والله لا أرضى أن أكون معافى بين أهلي ومحمد يشاك بشوكة في قدمه في المدينة، فقال أبو سفيان: والله ما رأيت أحداً يحب أحداً، كحب أصحاب محمد لمحمد.(٤)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ح٦٦٣٢

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ح١٦

(٣) انظر مفاتيح الغيب ج٨ ص١٩٥

(٤) انظر الرحيق المختوم ص٢٦٧

ولقد ظهرت أيضاً محبة أصحاب النبيﷺ له حينما ضرب كفار قريش الحصار على رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب، فتضامنوا مع رسولهم حتى أكلوا ورق الشجر، وقطع الجلد من شدة الجوع، حتى مكثوا على ذلك ثلاث سنين، قطعت فيها عنهم الميرة والمادة، فلم يترك المشركون طعاماً يدخل مكة ولا بيعاً إلا بادروا فاشتروه، حتى لا يصل إليهم في الشعب، وبقي حالهم على ذلك حتى سُمع من وراء الشعب أصوات الصبيان والنساء، يبكون من شدة الجوع، وما ذلك إلا محبةً لرسولهم ﷺ.(١)

وهناك مواقف فردية من أصحاب النبيﷺ تبين مدى محبتهم له، ومثال ذلك ما كان من أبي بكرؓ في مكة حينما جاء عقبة بن أبي معيط ليتعدى على رسول اللهﷺ بالأذى فوقف في وجهه أبو بكرٍ وقال له: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، فما كان من عقبة وبعض المشركين الذين تكاثروا عليه إلا أن انهالوا عليه ضرباً حتى أدموه، وفقد وعيه، وحينما أخذوه لبيته وأفاق من إغمائه، أخذ يسأل عن رسول الله ﷺ ويقول: ماذا فُعل برسول اللهﷺ فرفض الطعام والشراب حتى أخذوه ليرى رسول اللهﷺ وليطمئن على حاله، وكان يتهادى بين اثنين من أهله من شدة مرضه.(٢)

وكذلك ألقت أم عمارة في يوم أحد بنفسها على رسول الله ﷺ عندما اشتد وطيس المعركة وفر بعض الصحابة عنه، فأخذت تتلقى عنه ضربات السيوف والرماح، حتى أُدميَ جسدها بثلاث عشرة جرحاً، وكان أعظم جراحها ضربةَ ابن قميئة على عاتقها، تقول أم عمارة: رأيتني وقد انكشف عن رسول اللهﷺيوم أحد، فما بقي إلا في نفير ما يُتمون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآنا ولا ترس معي، فرأى رجلا مولياً ومعه ترس، فقال النبيﷺ: إلق ترسك إلى من يقاتل، فألقاه فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول اللهﷺ.(٣)

وكذلك أحب عليؓ رسول الله ﷺ في صغره، فكان من المسارعين لقبول دعوته، وهو أول من افتدى رسول اللهﷺ بنفسه، حيث نام في فراشه ليلة هجرته، وتحمل خطر الموت في هذه الليلة من أهل الكفر في قريش، وما ذلك إلا محبةً لرسول الله ﷺ، وبهذه المحبة زوجه رسول اللهﷺ، ريحانة قلبه فاطمة ابنته، وقد قال عنه رسول الله ﷺ يوم خيبر: اليوم أعطي الراية

(١)انظر الرحيق المختوم ص ١٣٣

(٢) انظر السيرة لابن هشام ج١ ص٢٨٩

(٣)انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ص٤١٣

لرجل يحبه الله ورسوله، حتى تنافس أصحاب النبيﷺ أيهما يكون صاحب ذلك الحظ، فإذا به يعطيه لعلي ابن أبي طالب. [1]

وكذلك من النساء السميراء بنت منسي، التي قالت للنبيﷺ: كل مصيبة بعدك جلل، وذلك لما أُخبرت يوم أحد بمقتل ابنيها النعمان وسليم، فقالت: ما فَعل رسول اللهﷺ؟ قالوا: خيراً، هو بحمد الله صالح، على ما تحبين، فقالت: أرونيه أنظر إليه، فأشاروا لها إليه، فقالت: كل مصيبة بعدك يا رسول الله جلل. [2]

أما من جانب الطاعة لرسول الله ﷺ، فقد أثبت أصحاب النبيﷺ في مواقف كثيرة مدى طاعتهم المطلقة لرسول الله ﷺ، حتى تمايزوا بطاعتهم عن طاعة بني إسرائيل لموسى –عليه السلام- . ومن مظاهر التمايز بينهم وبين بني إسرائيل في الطاعة ما يلي:-

١-قالت اليهود لموسى- عليه السلام- لما قرأ عليهم وصايا التوراة **﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾** (البقرة:٩٣). أما أصحاب النبي ﷺ قالوا:**﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** (البقرة:٢٨٥).

٢- قالت اليهود لموسى- عليه السلام- لما خرج بهم لفتح بيت المقدس بأمر من الله تعالى، فوجدوا فيها القوم الجبارين، قال تعالى عنهم: **﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾**(المائدة:٢٤). ولكن لما خرج أصحاب النبيﷺ يوم بدرٍ مع رسولهم للقاء قريش، فأراد النبيﷺ أن يطمئن لثباتهم معه وعدم خذلانهم له، فقال لهم أشيروا علي، فقالوا: والله يا رسول الله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى- عليه السلام- اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول لك إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

٣-قال بنو إسرائيل لموسى- عليه السلام- حينما اشتد عليهم أذى فرعون بعد إسلامهم معه **﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾** (الأعراف:١٢٩). أما أصحاب النبيﷺ لما اشتد عليهم الأذى والخناق يوم الأحزاب، قال الله تعالى عن موقفهم:**﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾** (الأحزاب:٢٢).

---

(١)تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون ص٣٣١

(٢) انظر كتاب مغازي الواقدي ج١ ص٢٩٢

٤ -إن بني إسرائيل لما أدركهم فرعون وجنوده فقدوا الإيمـــان والتوكــل علــى الله، فقـــالوا لموسى- عليه السلام- ما قاله الله تعالى عنهم : **﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَــى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾** (الشعراء:٦١) . أما أصحاب النبيﷺ لما أثخنوا بالجراح بعد معركة أحد فحـــاول بعض المثبطين أن يثبطوا عزائمهم ويبثوا الرعب في قلوبهم، فقالوا لهم إن قريش قد جمعــت لكم للقضاء عليكم، فقالوا كما قال الله تعالى عنهم **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾**(آل عمران:١٧٣) .

٥ - إن بني إسرائيل لما اختلفوا في قاتل الرجل عندهم وطلبوا من موسى –عليه السلام- أن يخبرهم بالقاتل عن طريق ربه جل وعلا فقال لهم: أن يذبحوا بقرة، وذلك بأمر ربهم، فقـــالوا له مكذبين **﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾**(البقرة:٦٧). ولكن أصـــحاب النبي ﷺ صدقوا نبيهم في أدق أمور الغيب، ومنها حينما أخبرهم يوم حفــر الخنــدق حــول المدينة ، فقال الله أكبر فتحت فارس، ثم الله أكبر فتحت الروم، ثم قـــال الله أكبــر جــاء الله بحمِيَر أعواناً وأنصارى.[1] فحينها صدقه أصحابه خير التصديق وما كذبه إلا منافق معلــوم النفاق، طبع الله على قلبه بالكفر.

وبهذا التمايز قال الله تعالى في بني إسرائيل **﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَــرَّتَيْنِ وَلَــتَعْلُنَّ عُلُــوًّا كَبِيرًا﴾**(الإسراء:٤) . وقال في أمة محمدﷺ **﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** (آل عمران:١١) .

المطلب السادس: تفضيل الصحابة على الأمة بجهادهم مع رسول اللهﷺ: -

ومن خير ما فُضل به أصحاب النبي ﷺ، على الأمة كلها أنهم هم أول مــن تحمــل عبء الجهاد في سبيل نصرة هذا الدين، فكانوا هم السابقين الأولين لفريضة الجهاد في سبيل الله مع رسول اللهﷺ، حتى عاشوا حياتهم كلها جهاد ونصرة لدين الله تعالى، ولرسول اللهﷺ، حتى سموا بفرسان النهار، رهبان الليل، والله تعالى قد حفظ لهم هذا الشرف بالسبق للجهــاد في سبيل الله، فقال تعالى**﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَــدُوا فِــي سَــبِيلِ اللهِ وَالَّــذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾** (الأنفال:٧٤).

يقول البقاعي في نظم الدرر:" لما تقدمت أنواع المؤمنين، المهاجر والناصر والقاعد، وذكــر أحكام موالاتهم، أخذ يبين تفاوتهم في الفضل، فقال (وَالَّذِينَ آَمَنُوا)، أي آمنوا بالله ومـــا آتـــى منه.(وَهَاجَرُوا) أي مع نبيهمﷺ وسابقوا بالهجرة، (وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) أي بما تقــدم مـــن المال والنفس، أو بإحداهما في سبيل الله، فبذلوا الجهد في إذلال هذه في سبيل الله، كما بـــذل

([1]) أنظر كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد البوصيري ،ج ٥ ص ٢٣٠

الأعداء الجهد في إذلال أنفسهم وأموالهم لمحاربة الله ورسوله.(وَالَّـذِينَ آَوَوْا وَنَـصَرُوا) أي من هاجر إليهم من حزب الله، (أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا) أي هذا الصنف من البشر هم المؤمنون حق الإيمان."[1]

يرى الباحث أن أصحاب النبي ﷺ كفاهم فخراً وعزةً وشرفاً بجهادهم مع رسول الله ﷺ ما خذلوه في معركة من معاركه مع أهل الكفر ولا في غزوة من غزواته، كما فعل بنو إسرائيل مع أنبيائهم، فما خذله إلا منافقٌ معلوم النفاق، لفظه أصحاب النبي ﷺ وعاملوهم بالبغض والكراهية، فكان الخذلان من بني إسرائيل لأنبيائهم خذلاناً جماعياً، أما خذلان أصحاب النبي ﷺ فهو خذلان فرديٌ، حدث من فئة قليلة من أصحاب النبي ﷺ .

---

(1)نظم الدرر ج٣ص٣٣٩

الفصل الرابع

فضل أهل الشام على كثير من الأمة

وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: فضل بلاد الشام بفضل بلادهم

المبحث الثاني: فضل أهل الشام

المبحث الأول

فضل بلاد الشام بفضل بلادهم

وفيه ستة مطالب: -

المطلب الأول: فضل الشام بذكر بركتها وقدسيتها في القرآن الكريم

المطلب الثاني: فضل الشام بذكر رسول الله ﷺ لفضلها

المطلب الثالث: فضل الشام بالمسجد الأقصى المبارك

المطلب الرابع: فضل الشام بمهبط الأنبياء وملتقى الرسالات فيها

المطلب الخامس: فضل الشام بأنها أرض الجهاد والرباط إلى يوم القيامة

المطلب السادس: فضل الشام بأنها أرض المحشر والمنشر

الفصل الرابع

فضل أهل الشام على كثير من الأمة

لقد بينا في الفصل السابق أن الله تعالى كرم أمة محمد ﷺ فجعلها خير أمة أخرجت للناس،وأنه تعالى جعل سنة التفاضل فيما بينها، ففضل الصحابة رضوان الله عليهم على جميع الأمة، وكذلك فإن الله تعالى جعل لأهل الشام بعض الخصال التي تتفضل بها على كثير من الأمة.

ولبيان هذا الفضل لأهل الشام فقد قسم الباحث هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول

فضل أهل الشام بفضل بلادهم

إن أرض الشام أرضٌ مباركة، بارك الله تعالى فيها،فالناظر إلى كتاب الله تعالى، وإلى ما ورد في سنة النبيﷺ في فضل بلاد الشام عامةً، وبيت المقدس وما حوله خاصةً، يتبين له مدى بركة هذه البلاد عند الله تعالى. فإذا كانت هذه البركة وهذه القدسية لهذه الأرض قد أُغفلت عن كثير من أهل هذه الأمة، فقد انتبه أعداء هذه الأمة في قديم الزمان وحديثه لهذا الفضل، وهذه البركة لها، فجعلوها مطمعاً لهم، فشدوا رحال جيوشهم لغزوها، فما كانت حروب الروم والفرس قبل الإسلام فيما بينهم، إلا نزاعاً على خيرات هذه البلاد، وبركة العيش فيها، وما كانت الحروب الصليبية بعد الإسلام مع المسلمين إلا طمعاً في ضم بلاد الشام لمستعمراتهم، والسيطرة على مقدساتها لأجل طمس الإسلام فيها.

ولقد ثبت أن ابن تيمية رحمه الله اعتمد مناقب الشام في الكتاب والسنة، لأجل تحريض المسلمين لملاقاة وصد جيوش التتار عند غزوهم لبلاد الشام، فنهى عن الفرار من بلاد الشام، إلى أي بلد كمصر وغيرها، بل ألزمهم بفتوى شرعية بوجوب القيام فيها، ورغب في الجهاد على أرضها، والرباط على ثغورها، كما حث الجيش المصري بالانضمام إلى جيوش الشام لصد التتار عنها.[1]

ولبيان فضل الشام على كثير من البلاد فقد قسم الباحث هذا المبحث إلى خمسة مطالب:-

---

(1) انظر كتاب إسعاد الأخصا بذكر صحيح فضائل الشام والأقصى لهشام بن موسى العارف القدسي ج1 ص13

ترجمة للكاتب: هو أبو عبد الرحمن هشام بن فهمي بن موسى العارف سلفي المذهب قدسي المحلة

المطلب الأول: فضل الشام بذكر بركتها وقدسيتها في القرآن الكريم

لقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين بركة بلاد الشام عامةً، وبيت المقدس وجواره خاصةً منها، قال تعالى ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا.... .** ﴾ (الأعراف:١٣٧).

والمعنى: أن الله تعالى قد ذكر في هذه الآية الاستخلاف للصالحين الصابرين من بني إسرائيل في هذه الأرض المباركة والتي يُعنى بها كما قال العلماء أرض الشام، بعد ذكر غرق فرعون وجنده مباشرةً مع أن عملية الاستخلاف ما كانت على أرض فرعون في مصر، بل كانت في أرض الشام. وما كان هذا الاستخلاف في عهد موسى- عليه السلام- بل بعد موته، وبعد تيه بني إسرائيل أربعين سنة، وما ذلك إلا ليدلل الله تعالى على أن سنته في هلاك الظالمين، وسنته في استخلاف الصالحين المؤمنين لا يحجبها زمان ولا مكان، فمتى تحقق الطغيان، تحقق الدمار، ومتى تحقق الصلاح تحقق الاستخلاف في الأرض. فهذه الآيات هي بمثابة طمأنة للنبي ﷺ وأصحابه الذين لاقوا أشد ألوان العذاب على يد أعداء الله في مكة، وهي تحمل في طياتها دعوة للصبر والثبات، ليحققوا الاستخلاف في الأرض، وهي أيضاً بمثابة بيان لفضل هذه الديار، ديار الشام، حيث كانت أرض استخلاف للصالحين، ودمار للمتعالين المتجبرين.[١]

يرى الباحث أن الله تعالى ما مكن للصالحين من بني إسرائيل في الأرض بعد معجزة الغرق لفرعون وجنده مباشرةً، لأن بني إسرائيل بعد نجاتهم بقيت نفوسهم مشدودة لحب العبودية والتبعية، حيث إنهم طلبوا من موسى-عليه السلام – عبادة العجل، وأرجلهم ما زالت مبللة بماء البحر، وبقيت في نفوسهم رواسب الجاهلية التي زُرع فيها الجبن والضعف، وحب الالتواء هروباً من تحمل التبعات، فكانت معركة موسى-عليه السلام- مع نفوسهم، أشد من معركته مع فرعون، فلذلك حرم هذا الجيل من الاستخلاف في الأرض المقدسة. ولكن بعد أن انقضى هذا الجيل الذليل المستعبد، وجاء جيل الصلاح، الله تعالى مكنَ لهم واستخلفهم في الأرض المباركة، وفي هذا درس للأمة الإسلامية بأن الله تعالى، حتى لو دمر الطغاة من أهل الكفر، لن يمكن لهم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وينتصروا عليها، ويتحرروا من رق الشهوات وعبودية الماديات، حتى يكونوا أهلاً للاستخلاف.

---

(١) انظر في ظلال القرآن ج٣ ص ٦٢١

*ومنها قوله تعالى في بيان فضل الشام﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾(الأنبياء:٧١).

والمعنى: أن الله تعالى جعل أرض الشام أرض نجاةٍ لإبراهيم –عليه السلام- ولوط الذي آمن به، وهو أول نبي تحدى أهل الكفر تحدياً عملياً، وذلك بتحطيم أصنامهم، فخرجا إلى الأرض المباركة والتي هي بلاد الشام كما قال أهل العلم، فيكون معنى أنجيناه أي أخرجناه، فلذلك عُدِيَ بحرف "إلى" في قوله (إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ). وقيل إنها متعلقة بمحذوف وقع حالاً، ويكون المعنى: أي نجيناه منتهياً إلى الأرض التي باركنا فيها. والمراد بها أرض الشام، فقد أُخرج من بلاد العراق إلى فلسطين في بلاد الشام التي وصفت بعموم البركات، ففيها البركات الدينية حيث بعثة الأنبياء فيها، والبركات الدنيوية حيث خصب أرضها وطيب ثمارها. [١]

يقول ابن جرير الطبري:" إنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم- عليه السلام- من العراق كانت إلى بلاد الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها ابنه إسماعيل – عليه السلام- مع أمه هاجر، فهو لم يقم فيها ولم يتخذها وطناً لنفسه، وكذلك لوط –عليه السلام-. [٢]

*ومنها قوله تعالى ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ**﴾(الأنبياء:٨١). حيث إن الله تعالى سخر الريح لسليمان- عليه السلام- تجري له في هذه الأرض المباركة، يقول ابن جرير في تفسيرها:" إن الله تعالى سخر لسليمان ابن داود-عليهما السلام- الريح عاصفةً، وعصوفها شدة هبوبها، تجري بأمره أي بأمر سليمان-عليه السلام- إلى الأرض التي بارك فيها وهي أرض الشام، حيث كان يأمر الريح أن يسير به حيث يشاء، ثم يأمرها أن تعود به إلى منزله في أرض الشام."[٣]

*ومنها قوله تعالى﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**﴾ (سبأ:١٨). إن الله تعالى قد حكا عن بركتها في ثمارها وزروعها وحلول الأمن والأمان في ديارها، الأمن من الجوع، والأمن من الخوف، حيث إن بلاد الشام هي ملتقى الأسفار في رحلات التجارة ما بين جزيرة العرب وكثير من البلاد،

---

(١) انظر تفسير روح المعاني ج١٧ ص٧٠

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن ج١٧ ص٣٤-٣٥

(٣) المرجع السابق ج١٧ ص٣٦

يقول ابن كثير في هذه الآية: "أن الله تعالى قد ذكر ما كانوا فيه من النعمة، والغلبة والعيش الهنيء الرغيد، والبلاد المرضية والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل ماء وزاد، فأينما نزل وجد الماء والطعام ووجد الأمن والأمان، فهو يقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاج لسيره، وهذه من بركة بلاد الشام".[1]

*ومنها قوله تعالى﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ* لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (التين:١-٤). والله تعالى أقسم ببركة بلاد الشام فعبر في القسم بخيراتها التي أكرمها الله تعالى بها، والتي هي مصدر من مصادر الحياة الرئيسية.

يقول ابن كثير:"هذه محال ثلاثة بعث الله تعالى في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم الذين هم أصحاب الشرائع الكبرى، فالأول محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس، والتي بُعث فيه عيسى-عليه السلام-، والثاني هو طور سيناء الذي كلم الله تعالى موسى بن عمران –عليه السلام- فيه، والثالث هو مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أُرسل فيه محمدٌ ﷺ ".[2]

*ومنها قوله تعالى﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آَيَةً وَآَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ* يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ (المؤمنون:٥٠-٥١). إن الله تعالى بين أنه منَّ على نبيه عيسى-عليه السلام-وعلى أمه بنعمة الأمن والحفظ في بقعة من هذه الديار، لمّا فرَّ من كيد الكافرين .

والمعنى: أن الله تعالى جعل عيسى-عليه السلام- وأمه آية للناس، فأجرى عليهما آيات لم يجرها على أيديهم، فهو وأمه آية للناس حيث أجرى فيهما معجزة الخلق، فالله تعالى خلقه من غير أب، وحملت به أمه من غير زوج، فهما بذلك آية ومعجزة للبشر، حيث خرجوا عن قانون البشرية، وكما جعله وأمه آية للناس فقد أجرى على يديه آيات منها إحياء الموتى بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص، وجعل لأمه كرامة الطعام، حيث كانت ترزق الطعام وهي صغيرة في غير أوانه حتى تعجب ذكريا –عليه السلام- من ذلك، فتمنى أن يكون له ولد مثلها، قال تعالى﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ* هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ**

---

(١)تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٣٩

(٢)المرجع السابق ج٤ ص٥٣١

سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران:٣٧-٣٨). فلما فرا بدينهما آواهما الله تعالى إلى مكان مرتفع، قال العلماء: إنها إيلياء (القدس)، وقيل إنها الرملة، وقيل هي غوطة دمشق، وكلها في الشام، وهذه الربوة التي هي ذات قرار ومعين أي الأرض المستقرة التي يستقر بها السكان لأجل خيراتها وثمارها الكثيرة، ومائها الجاري الطاهر على وجه الأرض، السهل في مجراه.(١)

*ومنها قوله تعالى في ذكر بركتها في سورة الإسراء ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**(الإسراء:١) . وقد يأتي تفصيلها فيما بعد.

المطلب الثاني: فضل الشام بذكر الرسول ﷺ لفضلها في السنة

لقد بين النبي ﷺ فضل الشام وأهلها في أحاديث كثيرة، حيث وجه الموحدين من أمته إلى الفرار في زمن الفتن إليها، ورغب في سكناها، والرباط على أرضها، وهذه بعض الأحاديث النبوية التي تدل على ذلك:

١- عن زيد بن ثابت ﷺ قال : [بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما حين قال طوبى للشام طوبى للشام قلت ما بال الشام قال الملائكة باسطو أجنحتها على الشام].(٢)

٢- عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: [اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا؟ قال: هناك الزلازل والفتن، وبها أو قال: منها يخرج قرن الشيطان].(٣)

٣- عن أبي حوالة ﷺ عن النبي ﷺ قال:[ستجندون أجنادا جندا بالشام، وجندا بالعراق، وجندا باليمن، قلت : يا رسول الله اختر لي قال : عليكم بالشام فمن أبي فليلحق بيمنه وليسق من غدره فإن الله عز و جل تكفل لي بالشام و أهله].(٤)

---

(١)انظر تفسير الرازي ج٢٣ص٢٨٢

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، ح٢١٠٩٦ ، صححه شعيب الأرناؤوط

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما قيل في الزلازل والآيات ح١٠٣٧

(٤) صحيح ابن حبان، باب ذكر الإخبار عما يستحب للمرء من سكنى الشام عند ظهور الفتن بالمسلمين، ح ٧٣٠٦ ج١٦ص٢٩٥إسناده صحيح

٤- قال ﷺ [إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ولا يزال أناس من أمتي منصورين لا يبالون من خذلهم حتى تقوم الساعة][(١)]

٥- قال ﷺ :[بينما أنا نائم رأيت عمود الإسلام احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوبٌ به، وأتبعته بصري، فحمل به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام].[(٢)]

والذي يراه الباحث أن هذه الأوصاف لم تكن لأهل بلدٍ سوى أهل الشام، حيث إن الطائفة المنصورة موجودة ومستمرة فيهم في كل زمان، وفي زماننا هذا، فجند الإسلام في بلاد الشام وخاصة في غزة، هم الفئة المنصورة التي مُيزت على الأمة كلها بنصرها على عدوها، وما حرب الفرقان منا ببعيد. ثم إن الإيمان نراه قد نقص في بلاد الحجاز رغم أنها هي منبع الإيمان، وكذلك في العراق ومصر واليمن، ولكن نرى بزوغ نوره في بلاد الشام،وخاصةً في فلسطين، وتحديداً في قطاع غزة، والضفة وفلسطيني الداخل، فما نراه من صحوة إسلامية في بلادنا، قد تفوق بلاد كثيرة من بلاد المسلمين رغم قلة العدد، وشدة المحن والابتلاءات، ثم إننا في هذه الديار تحت كفالة الله تعالى، كما أسلفنا من قبل، فلن يضيعنا الله بهذه الكفالة أبداً، فما نراه من ثبات ونصره في بلادنا رغم الحصار وشدة القهر، وتكالب قوى الشر جميعها في العالم كله على شعبنا.

المطلب الثالث: فضل الشام بالمسجد الأقصى

لقد منَّ الله تعالى على بلاد الشام بالمسجد الأقصى، الذي أمر الله تعالى نبيه سليمان بن داود-عليهما السلام- ببنائه على أساسه القديم، كما بنى إبراهيم-عليه السلام-الكعبة على أساسها القديم، ولقد سكن الجبارون هذه الأرض المقدسة، فأفسدوا فيها، فسلط الله تعالى عليهم يوشع بن نون،فأهلكهم فيها وقضى عليهم، ثم سلط الكفار على بيت المقدس، فصيروه مزبلة، فأوحى الله تعالى لسليمان-عليه السلام- فبناه.[(٣)]

ولقد ذكر الله تعالى المسجد الأقصى في القرآن الكريم، لبيان فضله وبركته، قال تعالى**﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾**(الإسراء:١).

---

(١)مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، بقية حديث معاوية بن قرة، ح١٥١٦٩ ، صححه شعيب الأرناؤوط

(٢)مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، باقي حديث أبي الدرداء، ح٢١٢٢٦ ، صححه شعيب الأرناؤوط

(٣) انظر فضائل القدس لابن الجوزي ج ١ ص٢

والمعنى: أن الله تعالى ذكر قدسية ديار الشام وبركتها، وذلك بالربط بين أعظم مكانين مقدسين على وجه الأرض، المسجد الحرام والمسجد الأقصى، في رحلة هي بمثابة معجزة لأعظم نبي، أُرسل في البشرية كلها هو محمدﷺ. والله تعالى بدأ بذكر هذه الحادثة المعجزة بتنزيه نفسه عن كل نقصٍ، وعن كل سوء، عما ينبغي من أمور الدنيا التي تجرى على البشر، وذلك لبيان عظمته في هذه المعجزة، وقدرته على كسر حاجز الزمان والمكان، ثم ذكر الإسراء، وهو السير ليلاً حيث لا يكون الإسراء إلا بالليل، ليبين أن هذه الرحلة الطويلة التي لا تقل مسافتها عن أربعين ليلة سفراً قد انقضت في جزءٍ يسير من الليل، و هذا سر من أسرار هذه المعجزة. (١)

ثم قوله (بعبده): قال العلماء: لو كان للنبي ﷺ اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العظيمة، فقال بعضهم:لما رفعه الله تعالى إلى حضرته السنية وأرقاه فوق الكواكب العلية، ألزمه اسم العبودية. وقوله (إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)، أجمع أهل العلم أنه المسجد الذي هو في بيت المقدس في فلسطين، والبركة هنا في أرضها، ومناخها، وثمارها، وماءها، وأهلها، ثم باركها بمهبط الأنبياء فيها.(٢)

ومن بركات المسجد الأقصى التي عادت على بلاد الشام كلها:

١- قد ذكر رسول الله ﷺ في فضل بيت المقدس بشارة لساكنيه، أو من جاور سكناه، فقال ﷺ [لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله وأين هم، قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس](٣)

٢-ثم إن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع للناس في الأرض، حيث قال الله تعالى أن أول بيت وضع للناس في الأرض هو البيت الحرام، قال تعالى﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران:٩٦).فما دام قد ذُكر لفظ الأول فلا بد أن يكون له ثاني وثالث، وقد ورد في الحديث أن المسجد الأقصى قد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، قال أبو ذر سألت رسول الله ﷺ [فقلت يا رسول الله: أي مسجد وضع

(١) انظر تفسير الرازي ج٢٠ص٢٩٧

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٦٩

(٣)مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، ح٢١٨١٦ ، قال الأرناؤوط صحيح لغيره

في الأرض أول، قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي، قال المسجد الأقصى،قلت: كم بينهما، قال: أربعون سنة].[1]

٣- ثم إن المسجد الأقصى هو من أحد المساجد الثلاثة، التي لا تشد الرحال إلا إليها، قال ﷺ [لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى][2]

والله تعالى قد أخبر عن علو بني إسرائيل وفسادهم، ودمارهم مع كل علو، وفساد في المسجد الأقصى، وأكنافه، وهذا بيان لفضله قال تعالى﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ولَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا*فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا**﴾ (الإسراء:٤-٥).

والمعنى: إن الله تعالى قد حكم على بني إسرائيل حكماً لا نسخ فيه، ولا هو يقبل النقض، أن يفسدوا في الأرض مرتين، وأن فسادهم هذا سيقام على علوٍ لهم في الأرض، والأرض هي بلاد الشام، وخاصةً بيت المقدس، كما قال كثير من الصحابة والتابعين، والعلو الكبير هو علو طغيان وتكبر، وبغي، واستطالة، وغلبة على الخلائق، فلما حدث الفساد الأول والثاني، بعث الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، وقد اختلف العلماء في طبيعة الفساد الأول والثاني، على من وقع؟ والدمار على يد من جرى؟.

قال بعضهم: إن الأول قد وقع على أحد أنبيائهم وهو أرمينيا، حيث دعاهم فكذبوه، فحبسوه وجرحوه، فأرسل الله عليهم جالوت، حيث كان ذا بأس شديد، فقتلهم شر قتله، فبعث الله تعالى طالوت ومعه داود –عليه السلام- فقتل جالوت، ثم عاد ملكهم مرة ثانية، ليعود فسادهم الثاني.

وقال بعضهم: هو بخذ نصر البابلي الذي جاء في المرة الأولى، فهُزِم من بني إسرائيل، حيث كانوا على بقية دين وإيمان، فلما بدلوا وغيروا في أنفسهم، جاءهم مرة ثانية، فقتلهم ودمرهم تدميرا، وذلك بعد أن استحلوا المحارم، وقتلوا نبيهم شعيا، فدخل بيت المقدس هو وجنوده، فقتلهم حتى أفناهم.

وقيل: إن المقتول في المرة الأولى هوزكريا-عليه السلام- حيث اختبأ منهم في جذع شجرة، فدلهم الشيطان عليه، فنشروه مع الشجرة إلى نصفين.

والراجح في القول هو قتل شعيا وحبس أرمينيا.

---

(1) صحيح مسلم، ح ١١٨٩، ج ٢ ص٦٣

(2) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ح١١٨٩

ثم رد عليهم الكرة وعاد ملكهم وعلوهم بعد قتل داود- عليه السلام- لجالوت، ومددهم الله بالأموال والبنين، قال تعالى﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا**﴾ (الإسراء:٦).[١]

أما الفساد الثاني فقد وقع على زكريا ويحيى- عليهما السلام-، ثم محاولة قتل عيسى-عليه السلام- حيث رفعه الله تعالى إلى السماء، فحينها أرسل الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، وليسوءوا وجوههم، فأظهروا المساءة في وجوههم بالإهانة والقهر، ودخلوا بيت المقدس، فدمروه، وأخربوه، وأحرقوا التوراة فيه، حتى ما أبقوا شيئا من آثار حضارتهم وعمرانهم، وكان المسلط عليهم في هذه المرة، ملك من ملوك الفرس الذي ملكه في بابل، واسمه بيردوس، وقيل هو قيصر الروم أسيانوس. وكان بين الدمارين نحو من خمس مئة سنة.[٢]

والذي يراه الباحث أن فساد اليهود وعلوهم لم يتوقف على هذين العلوين، الذين ذكرا في السورة، إنما كانا نموذجاً لفطرتهم الشاذة المبنية على الفساد، فهاذان الفسادان قد حصلا وكانا من أعلى درجات العلو والفساد، وقد دمر ولكن لم تنته أسطورة الفساد في حياتهم، بقيَ قانون الله تعالى، ووعده فيهم قال تعالى ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا**﴾(الإسراء:٨).فهاهم قد عادوا مرة ثانية في عهد النبيﷺ وحصل ما حصل لهم من دمار، استحقاقاً للعقوبة على يدي النبيﷺ وأصحابه، ثم عادوا مرة ثانية في هذا الزمان، حيث العلو الكبير، والفساد الذي ملأ الأرض، فما سلم بيت المقدس وأكنافه وساكنيه من فسادهم، حتى طال الحجر والشجر والبشر، فها نحن ننتظر فيهم وعد الله تعالى وقانونه(وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) فننتظر عودة من يسومهم بإذن الله تعالى سوء العذاب، وخاصة من أبناء هذه الديار المقدسة.

المطلب الرابع: فضل الشام بمهبط الأنبياء وملتقى الرسالات فيها

إن من أهم فضائل الشام أن جعل الله تعالى أغلب رسالات الأنبياء فيها، وخاصةً في جوار بيت المقدس في فلسطين، بل كانت هجرة عدد من الأنبياء إليها، وهذا دليل فضلها على غيرها من البلدان، حيث تشرفت بهذه الدعوات، وهؤلاء الأنبياء. ثم إن من دخلها من الأنبياء وخرج منها بقيت تتوق نفسه للموت على أرضها، أو بالقرب منها، كما كان مع موسى- عليه السلام- حيث إنه لما قارب أجله دعا ربه أن يقربه من بيت المقدس، أو الأرض المقدسة ولو برمية حجر، فكان له ذلك من ربه جل وعلا. قال أبو هريرةﷺ: قال رسول

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٧٧-١٧٨

(٢) انظر التفسير المنير ج ١٥ ص٢٣-٢٤

الله ﷺ [جاء ملك الموت إلى موسى - عليه السلام - فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى - عليه السلام - عين ملك الموت، ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى، فقال: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي، فقل: الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثورٍ فما توارت يدك من شعرةٍ فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ ، قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، ربِ أمتني من الأرض المقدسة رمية حجرٍ].(١)

وإن من فضلها أن أول نبي دخل الأرض المقدسة في الشام هو إبراهيم-عليه السلام- ونبي الله لوط- عليه السلام-، وذلك بعد أن طرده قومه من دياره في أرض العراق، بعد نجاته من نار النمرود. ولقد صحبه في هذه الهجرة نبي الله لوط –عليه السلام- الذي آمن به، قال تعالى﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (العنكبوت:٢٦). فدخل أرض مصر، ثم تيمن إلى الأرض المقدسة وحط فيها. أما لوط –عليه السلام- فقد نزح بما معه من أموال كثيرة بأمر إبراهيم –عليه السلام- إلى أرض الغور المعروف بغور زغر(٢)،والذي يبعد عن مدينة القدس ثلاثة أيام،وهي بالقرب من أريح، فنزل بمدينة سدوم(٣)، قال تعالى﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾(الأنبياء:٧١)، فمن بركتها أنها كانت أرض نجاةٍ لأبي الأنبياء إبراهيم-عليه السلام-، ومعه نبي الله لوط –عليه السلام-. ولقد أوحى الله تعالى إلى إبراهيم أن يمد بصره وينظر شمالاً، وجنوباً، وشرقاً، وغرباً، ثم بشره بأن هذه الأرض كلها سيجعلها لك ولخلفك إلى آخر الدهر، وستكثر ذريتك فيها، وهذه البشارة قد اتصلت بهذه الأمة المحمدية، فكانت من بركاتها،(٤) ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ [إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زويَ لي منها].(٥)

ثم إن هذه الأرض المقدسة مولد نبي الله إسحق-عليه السلام- ، حيث كانت البشارة لإبراهيم وزوجه سارة-عليهما السلام- لما مرت الملائكة بها ، حيث كانوا ذاهبين إلى مدائن قوم

---

(١) البخاري- كتاب الجنائز- باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة ونحوها ح١٣٣٩

(٢)زغر: قرية بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام، وزغر اسم بنت لوط، عليه السلام، نزلت بهذه القرية فسميت باسمها، وهي في واد ردي في أشأم بقعة، وعين زغر تغور في آخر الزمان وهي من علامات القيامة كما جاء في حديث الجساسة، (انظر معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٣)

(٣) سدوم : مدينة قديمة في فلسطين على شاطئ البحر الميت وهي التي أجرى الله تعالى عليها الخسف والدمار لفعل أهلها(انظر معجم البلدان ج ٤ ص ١٥١)

(٤) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ١٣٢

(٥)صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح٢٨٨٩

لوط، لتدميرها بسبب كفرهم، وفعلهم الفاحشة، قال تعالى﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ* فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ* وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾(هود:٦٩-٧١).

والمعنى: أن الملائكة جاءت لإبراهيم-عليه السلام- بالبشرى، حيث بشروه بإسحق -عليه السلام- وهم في طريقهم لتدمير قوم لوط -عليه السلام، بما اقترفوا من فاحشة، فحسبهم أُناساً من البشر، فأسرع لضيافتهم، فقام بذبح عجل سمين، فلما قدمه إليهم ورأى أيديهم لا تمتد إليه، خاف منهم، فحينها كانت البشارة له بإسحق، ومن ورائه يعقوب -عليهما السلام-، وقد تعجبت زوجته من هذه البشرى، فصكت وجهها من شدة التعجب، لكبر سنها وسن زوجها، قال تعالى﴿**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**﴾ (الذاريات:٢٩).

ولكن الملائكة أكملت البشرى لهم بالطمأنينة من أمر الله وفعله، قال تعالى ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾(هود:٧٣). أي هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله، محمود ممجد في صفاته وذاته،[١] ولذلك قال الصحابة لرسول اللهﷺ:

[قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: قولوا اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد].[٢]

ثم إن الله تعالى بشره بمولد يعقوب في حياته، قال تعالى﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾(هود:٧١). فكان مولد إسحق- عليه السلام- ويعقوب- عليه السلام- وذريتهم من بعدهم في الأرض المقدسة. وكذلك كانت الأرض المقدسة محضن موسى-عليه السلام- حيث تربى على أرضها بعد فراره من فرعون وقومه، لما حاولوا قتله، وتزوج على أرضها ابنة الرجل الصالح نبي الله شعيب- عليه السلام- في مدين[٣] قال تعالى﴿**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ* وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي**

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ص٤٥١-٤٥٢

(٢)صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا)، ح٣٣٦٩

(٣) مدين: هي قرية قريبة من معان، في أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز، قريبة من بحيرة قوم لوط، وهي المدينة التي أهلك الله فيها اصحاب الأيكة وهم قوم شعيب- عليه السلام- وكان هلاكهم قبل زمان موسى- عليه السلام- ، (انظر معجم البلدان، ج٥ ص٧٧)

لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ* فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص:٢١-٢٤).

والمعنى: أن موسى-عليه السلام- بعد قتله لرجل من آل فرعون، فر خارجاً من مصر وهو خائف يتلفت من شدة الخوف من فرعون وقومه، وهو لا يدري أين يذهب، يقول بعض العلماء: إن الله تعالى قد أرسل إليه ملكاً على فرس فأرشده الطريق إلى أرض مدين، فتوجه إليها حتى وصل إلى بئرها، الذي هو سقاء للناس ولمواشيهم، فوجد هناك أمراً شده إليه، حيث وجد الناس يسقون مواشيهم، ويملؤون أوعيتهم، وبالجانب تجلس فتاتان، معهن قطيعاً من الغنم، تنتطران ولا تزاحمان الرجال، فشدته الغيرة عليهن، فذهب وسألهن عن سبب تنحيهما، فقالتا له: إننا لا نزاحم الرجال، وإنا ننتظر السقاية، حتى يفرغ الرجال، وأن السبب في إتياننا هنا، كبر سن أبينا فهو شيخ كبير، يقول أكثر أهل العلم: إنه شعيب –عليه السلام-، فما كان منه إلا أن سقا لهن، بعد رفع الصخرة الكبيرة، التي غطا بها الرجال البئر دون الاكتراث بهن، والتي لا يقوى عليها العصبة من الرجال، وبعد أن قفلتا إلى أبيهن أخبرنه بخبر من سقا لهن، وتحدثن عن قوته وأمانته، مما دعا أباهن إلى إرسال إحداهن لاستدعائه، ليجزيه أجر سقايته لهن، فعادت إحداهن إليه تستدعيه لأبيها، وقد رأت منه أمانةً لم ترها من الرجال، مما حذاها أن تتحدث لأبيها عن أمانته، والطلب منه أن يستأجره لهن، فهو القوي الأمين، قال تعالى **﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾**(القصص:٢٦). فعرض عليه شعيب-عليه السلام- طلب الاستئجار عنده مقابل زواجه إحدى الابنتين،قال تعالى**﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** (القصص:٢٧) واتفقا على مدة ثمان سنين، وزيادة سنتين من عند موسى على المدة المعروفة، وقد تم ذلك بزواجه إحداهن والمكث لهذه المدة المتفق عليها، حتى عاد إلى مصر، بزوجته وأولاده.[١]

بهذا تكون أرض الشام هي محضن التربية السليمة لنبي الله موسى-عليه السلام- والتي اختلفت عن تربية قصر فرعون المليء بالشهوات، وأمور الكفر من عبادة لفرعون، وغيرها.
وقد كانت أرض الشام محضن لدعوة إلياس واليسع –عليهما السلام- قال تعالى**﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ* أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ* اللهَ رَبَّكُمْ**

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ص٣٩٠-٣٩١

وَرَبَّ آَبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ* فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللهِ المُخْلَصِينَ﴾(الصافات:١٢٣-١٢٨).

لقد كان إلياس-عليه السلام- أحد بني إسرائيل وقيل إنه من أولاد هارون- عليه السلام-، ولقد أرسله الله تعالى إلى أرض بعبلك ونواحيها في الشام، وقد إتبعه اليسع -عليه السلام- حتى صار من بعده نبياً في بني إسرائيل. وقد جعل الله تعالى اسمه مناسباً لأمره، حيث كان كثير اليأس من قومه، حتى فرَّ منهم إلى الجبال، فاستخفى فيها عدداً من السنين، مما دفع قومه بالبحث عنه كثيراً حتى يئسوا من القدرة على الإمساك به وهلكوا دون أن يتمكنوا من قتله.[1] وكذلك كان يوشع بن نون-عليه السلام- هو الفاتح للديار المقدسة، والمخلص لها من بطش الجبابرة الذين تجبروا على أرضها، حيث قاد الجيل الجديد الذي تربى على الإيمان الصادق من بني إسرائيل، بعد أربعين سنة من تباطؤ جيل الخذلان في عهد موسى -عليه السلام- والذي كتب الله عليه التيه والشتات لعصيانه لموسى-عليه السلام- حيث قالوا: إن فيها قوماً جبارين، وأنا لن ندخل هذه الديار ما داموا في داخلها، حتى قالوا له: إذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون، قال تعالى**﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ* يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾** (المائدة:٢٠-٢٢).[2] فكانت الأرض المقدسة موطن الصراع بين صف الموحدين الذي

قاده يوشع بن نون-عليه السلام- كما قال بعض المفسرين، وقال البعض الآخر إن الذي قاد هذا الجيل هو نبي الله شيمويل، وذلك أنه لما مات موسى-عليه السلام- خلف من بعده يوشع بن نون-عليه السلام- في بني إسرائيل، فأقام فيهم التوراة، وأمر الله تعالى، حتى قبضه الله تعالى، فخلف فيهم من بعده كالب حتى قبض، ثم حزقيل حتى قبض، ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله، فعبدوا الأوثان، وعظمت فيهم الخطايا، حتى سلط الله عليهم جالوت، الذي قاد العمالقة في الديار المقدسة، فظهروا على بني إسرائيل فقتلوا أكثرهم، وسَبُوا ما تبقى منهم، وذلك بين غزة وعسقلان، وبقيت فيهم امرأة حُبلى، فدعت الله تعالى أن يُخرج منها غلاماً يكون على يديه خلاص بني إسرائيل من الجبابرة، فولدت غلاماً، سمته شيمويل، نسبةً إلى أن الله تعالى قد سمع دعائها، فدفعته في بيت المقدس، ليتعلم التوراة، حتى كان المنقذ لبني إسرائيل حيث بعثه الله فيهم نبياً[3] قال تعالى:**﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلَإِ مِنْ بَنِي**

---

(١)انظر نظم الدرر ج٦ ص٣٣٧

(٢) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج١ ص٢٩٣

(٣) انظر تفسير البغوي ج١ ص٢٩٦

إسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:٢٤٦) . فأوحى الله إليه أن ابعث فيهم طالوت ملكاً عليهم، حيث أمَّره على جيش الموحدين، وكان من جنده داود –عليه السلام- ودارت المعركة بينهم وبين أهل الكفر من الجبابرة الظالمين الذين أفسدوا في بيت المقدس ، وانتصر صف الموحدين من بني إسرائيل على الجبابرة، ودخلوا الأرض المقدسة، وكان القضاء على جالوت ملك الجبابرة على يدي داود-عليه السلام- والذي كان من سلالة يعقوب –عليه السلام- فلما قتل داود جالوت، أحبه بنو إسرائيل، حتى ملكوه عليهم، فصار الملك إلى داود –عليه السلام- ، فجمع له الله تعالى بين الملك والنبوة، - أي بين خيري الدنيا والآخرة-، وهذه مفارقة في بني إسرائيل، حيث كان الملك في سبط، والنبوة في سبط آخر، ولكن الله تعالى جمع الأمرين لداود- عليه السلام- قال تعالى

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ المُلْكَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (البقرة:٢٥١). وهكذا كان الملك لداود –عليه السلام- في الأرض المقدسة والتي هي رمز بلاد الشام، فكانت هذه الأرض مبعث يوشع بن نون- عليه السلام- ونبي الله شيمويل.[1]

ثم إن سليمان-عليه السلام- ورث من أبيه داود –عليه السلام الملك والنبوة، في الأرض المقدسة، فميراث الأنبياء لا يكون مالاً إنما يكون نبوة، لأن الأنبياء كما قال النبيﷺ: لا نورث مالاً، إنما تبقى للناس صدقة، قال تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ﴾(النمل:١٦).

والمعنى: يقول الزمخشري: " ورث منه النبوة والملك، دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر، وكان داود أكثر الناس تعبداً، وسليمان أقضى وأشكر الناس لنعمة الله تعالى، ولذلك قال للناس مخاطباً وتشهيراً لنعمة الله عليه ،وتنويهاً بها، واعترافا بمكانها، فقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِين﴾.[2](النمل:١٦).

وبقيت ديار بيت المقدس في الشام محضناً لدعوة الأنبياء من بني إسرائيل، حتى وصلت إلى نبوة زكريا ويحيى-عليهما السلام- وقد مدح الله تعالى لرسوله محمدﷺ نبيه زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، قال تعالى﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنعام:٨٥). ثم أمره أن يقص على الناس خبر زكريا وابنه يحيى –عليهما السلام- وما كان من أمرهما

([1])انظر تفسير معالم التنزيل ج١ ص٢٩٦

([2]) كتاب الكشاف ج٣ ص ٣٩٦

في الديار المقدسة، حيث رزق الله تعالى زكريا الولد بعد مشيب الشعر ووهن العظم، ليــزرع في الناس الأمل وعدم اليأس من رحمة الله تعالى، قال تعالى﴿ **كهيعص*ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا *ذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا*قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُــنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا*وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِــنْ لَــدُنْكَ وَلِيًّا*يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا*يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَــى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**﴾ (مريم:١-٧).

والمعنى: أن الله تعالى قد أثنا على عبده ونبيه زكريا-عليه السلام- بنداءه الخفي الــذي فيــه الإسرار بالدعاء، بعيداً عن أعين الناس وأسماعهم، في عزلة يخلص فيها لربه ويكــشف لــه عما يثقل كاهله ويكرب صدره، فيناديه من قرب واتصال بقولــه(رب .....)، بــلا واســطة وبدون حرف النداء، لبيان القرب من ربه، ومع أنه يعلم أن الله تعالى يسمعه ويراه من غيــر دعاء ولا نداء، ولكن لأنه مكروب والمكروب يشعر بالراحة بالبث لربه،ويشعر بأنه محتــاج إلى الشكوى إليه، لعلمه أنه الرحيم بعباده، فلذلك كان هذا الدعاء للتنفيس عما يثقل النفس مــن كرب وحزن، واعترافه بأن الله تعالى قد عوده الاستجابة له إذا دعاه، وكــان ســبب دعائــه خوفه على ميراث بني إسرائيل في النبوة، حيث كان يخشى عليها الضياع منهم،بسبب عــدم صلاحهم للقيام بها، قال تعالى(يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)، والميراث هو النبوة، وكان هــذا الميراث في بيت المقدس، حيث نبوة أنبياء بني إسرائيل، فاستجاب له ربــه، فرزقــه بنبيــه يحيى-عليه السلام- الذي قُتل على يدي اليهود وهو يدعوهم إلى الله تعالى.[١]

يرى الباحث: أن هذا الميراث للنبوة في بني إسرائيل في بيت المقدس، ليس مبرراً بأن تكون هذه الديار هي ميراثهم، وأنه لا حق لغيرهم بها، فهؤلاء الأنبياء ما كانوا يهــوداً ولا كــانوا نصارى، إنما كانوا مسلمين من سلالة نبي الله إبراهيم-عليه السلام-، والذي نطق بالإســلام في حياته، قال تعالى ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَــانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (آل عمران:٦٧). وكذلك يعقوب- عليه السلام- قد مات على الإسلام، حيث جمــع أبنائه وهو على فراش الموت، ولقنهم الإسلام قبل موته، قال تعــالى ﴿ **أَمْ كُنْــتُمْ شُــهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْــرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة:١٣٣).

بهذه المعطيات نعلم أن الأرض المقدسة لا تكون إلا لــسلالة الأنبيــاء المــسلمين الراضــين بالإسلام، وليس الرافضين له، فمن رضيَ بالإسلام ديناً فهو من ميــراث هــؤلاء الأنبيــاء،

---

(١) انظر في ظلال القرآن ج٤ص٢٣٠٢

ويستحق السكنى في هذه الديار المقدسة، ومن رفض الإسلام وقاتل أبناء الإسلام، فلا حق له في هذه الديار المقدسة حتى لو كان من سلالة الأنبياء.

وكذلك كان في بيت المقدس مبعث نبي الله عزيراً -عليه السلام- وكـان مـن علمـاء بنـي إسرائيل، يحفظ التوراة عن ظهر قلب، وهو الذي مر على القرية الخاوية علـى عروشـها، فتعجب في كيفية إحياء هذه القرية وأهلها بعد هذا الخراب، فكان تعجبه تعجب دهشة، ولـيس من باب الشك، قال تعالى**﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَـارِكَ وَلِنَجْعَلَـكَ آَيَـةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَـى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (البقرة:٢٥٩). ولقد اختلف أهل العلم فيمن مر عن هذه القرية، وعن ماهية هـذه القرية، فقال بعضهم: إن الذي مر هو العزير –عليه السلام- وذلك حينما غزا بوخـذ نـصر الأرض المقدسة، فقتل من بني إسرائيل جمعاً كثيراً، وسبا جمعاً آخر، وكان من بين الـسبي عزير بن شرخيا، وجاء بهم إلى بابل، ولكن بعد عودة عزير من السبي راكباً حمـاره، مـر على قرية تسمى دير هرقل على شط دجلة، فطاف في القرية فلم يـرَ فيهـا أحـداً، وعامـة شجرها حامل بالفاكهة، فأكل من الفاكهة، واعتصر من العنب فشرب منـه، وجعـل فـضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زقٍ، فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها، قـال: (أَنَّـى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)، فأماته الله مئة عام ثم بعثه، فسأله ربه كم لبثـت، فقـال: يومـاً أو بعض، فأخبره: أنه قد مات مئة عام ثم أحياه، ثم جعله ينظر إلى حمـاره كيـف يحيـه لـه، وينظر إلى طعامه كيف حفظه من التلف، ليدلل له كيف يحيى الخلائـق بعـد موتهـا يـوم القيامة،وبعد ذلك ركب عزير حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكرهم، وأنكر منـازلهم، فانطلق حتى أتى منزله، فإذا به بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة، كانـت تعرفه من قبل، فقال لها عزير: يا هذه هذا منزل عزير؟ قالت: نعم وبكت، وقالت: ما رأيـت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا، قال: فإني أنا عزير كان الله قد أمـاتني مئـة سـنة ثـم بعثني، قالت: إن عزيراً كان رجلاً مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية، فأدعُ الله أن يرد لي بصري وعافيتي، حتى أراك، فدعا لها، فرد الله تعـالى لهـا بـصرها وعافيتها، وقامت تمشي على أرجلها، فنظرت إليه وقالت: أشهد بالله إنك عزير، فانطلقت إلى بني إسرائيل تخبرهم بشأنه، فكذبوها، فلما أخبرتهم برد بصرها وعافيتها على يديه، انطلقـوا معها ليروا عزيراً ومعهم أبناؤه، فعرفه كبيرهم بشامة في كتفه،فصدقوه، وقـال لهـم: إن الله

بعثني إليكم لأجدد التوراة، التي حفظتها عن ظهر قلبٍ، فقالوا: ما جعل الله التوراة في صـــدر رجل بعدما ذهبت إلا أن يكون إبنه، فكانت مقولتهم عزير ابن الله.
وقيل إن الذي أماته الله تعالى هو أرمينيا، بعد أن دعا على قومه بالهلاك لما كذبوه، فأمـــاتهم الله جميعاً، فلما رأى هذا الهلاك فيهم، ندم وقال: (أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)، فكانت قصة الإماتة والإحياء له، وهذا في بيت المقدس بعد أن خربها بوخذ نصر.[1]
ثم كان عيسى- عليه السلام- آخر أنبياء بني إسرائيل، على أرض الشام، حيـــث إن أمـــه – عليها السلام- قد نذرتها أمها لخدمة بيت المقدس،قال تعالى **﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّـــي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾** (آل عمران:٣٥). فلما وضعتها في محرابه تساهم عليها علماء بني إسرائيل على أيهم يكفلها، فكانت من نصيب ذكريا –عليه السلام- قال تعالى**﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَـــا دَخَـــلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (آل عمران:٣٧).
وتكفلها نبي الله زكريا- عليه السلام- بالرعاية حتى كبرت، فنفخ الله تعالى بها من روحـــه فأنجبت عيسى- عليه السلام- قال تعالى **﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَـــا رُوحَنَـــا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾** (مريم:١٧-١٩). وقد لا قى ما لاقى من سوء خلـــق قومـــه، وتـــصديهم لدعوته، فحاولوا قتله في الأرض المقدسة، والصاق القول الذي فيه البهتان العظـــيم لأمـــه – عليها السلام- قال تعالى**﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾** (النساء:١٥٥-١٥٦) . والله تعالى قد أخبر أنه رفعه إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم، وخلصه ممن أرادوا قتله من اليهـــود، بعد أوشوا به إلى بعض الملوك الكفره في ذلك الزمان، فحاصروه في بيت المقدس، فلما حان وقت دخولهم عليه، ألقى الله تعالى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده، ورفع عيـــسى من روزنه من ذلك المكان إلى السماء، وأهل البيت ينظرون إليه ودخل الشرط، فوجدوا ذلك الشاب الذي أُلقيَ عليه الشبه، فأخذوه ظانين أنه نبي الله عيـــسى-عليـــه الـــسلام- فـــصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له، فظنوا أنهم قد قتلوه.[2]
فبهذا شرفت بلاد الشام وخاصة بيت المقدس بميلاد عيسى- عليه السلام- وأمـــه، ورســـالته ونبوته ورفعه منها إلى السماء.

([1]) انظر تفسير معالم التنزيل ج١ ص٣٢١

([2]) انظر كتاب قصص الأنبياء لابن كثير ص٥٣٣

المطلب الخامس: فضل الشام بأنها أرض الجهاد والرباط إلى يوم القيامة

لقد كرم الله تعالى بلاد الشام على كثير من ديار المسلمين بكرامة الجهاد والرباط في سبيل الله، فالصراع بين الحق والباطل على أرضها قائمٌ إلى يوم القيامة،وخاصةً بين أهل الإسلام وأهل الكتاب، من يهود ونصارى، والصراع فيها يفرض على أهلها أن يكونوا في رباطٍ وجهاد إلى يوم القيامة. ولما سأل الحوالي النبيﷺ أن يختار له الموطن الآمن من الكفر، في زمن الفتن فأختار له بلاد الشام، وقال له إنها بلاد جهاد ورباط إلى يوم القيامة،عن أبي حوالة عن النبيﷺ قال:[ستجدون أجناداً جنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن،قلت يا رسول الله: إختر لي، قال: عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهله].[1]

وخير دليل على وجود الجهاد والرباط فيها إلى يوم القيامة، قوله ﷺ [لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة، قالوا: أين هم يا رسول الله، قال: في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس].[2]

ولقد بين النبيﷺ فضل الرباط والجهاد، فقال ﷺ [رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها].[3]

وقد كان المقام في الثغور بنية المرابطة في سبيل الله، أفضل من المجاورة بالمساجد الثلاثة، باتفاق العلماء، فإن جنس الجهاد أفضل من جنس الحج، قال تعالى **﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِين ﴾** (التوبة:١٩).

وقد أجاب النبيﷺ لما سئل عن أي الأعمال أفضل، قال:[إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا،قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا، قال: حج مبرور].[4]

فبهذا تكون أرض الشام لشهرتها بالجهاد والرباط في سبيل الله، أفضل من كثير من ديار المسلمين، وهذا ما دفع أبا الدرداء ﷺ أن يكتب لأخيه سلمانﷺ هلم إلى الأرض المقدسة،

---

(١) سبق تخريجة

(٢)مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، ح٢١٨١٦ ، قال الأرناؤوط صحيح لغيره

(٣)صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب رباط يوم في سبيل الله، ح٢٨٩٢

(٤)صحيح البخاري، كتاب الإيمان ، باب من قال أن الإيمان هو العمل، ح٢٦

أرض الجهاد والرباط، لأنه سمع النبيﷺ يقول:[الشام صفوة الله من بـلاده، يـسوق إليهـا صفوة عباده، من خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه و من غيرها إليها برحمته].(١)

وقد قدم على معاوية بن أبي سفيان وفد من العراق، فقال لهم معاوية: مرحبـاً بكـم وأهـلاً، قدمتم على خير خليفة، وهو جنة لكم، وقـدمتم الأرض المقدسـة، وقـدمتم أرض المحـشر والمنشر، وقدمتم أرضاً فيها قبور الأنبياء.(٢)

ولبيان فضل الجهاد والرباط في هذه الديار المقدسة، فإن الله تعالى سـخر نـواميس الكـون ليوشع بن نون -عليه السلام- في إحدى معاركه مع الطغاة بعد موسى- عليه السلام- لإتمـام عملية النصر على عدوه، فحبس الشمس له لإتمام نصره، وما حبست الـشمس لأحـد مـن الأنبياء، والفاتحين في أي بقعة من بقاع الأرض إلا ليوشع بن نون -عليه السلام- في الأرض المقدسة.(٣)

ومن مظاهر فضل الشام بالجهاد في سبيل الله نجد أن النبيﷺ قد اهتم بإرسال الجيوش إليها، لتقاتل نصارى الروم من أهل الكتاب على أرضها، ومن هذه الجيـوش جـيش يقـوده ابـن رواحة، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً، وفي صفوفهم خالـد بن الوليد ﷺ وذلك لغزوة مؤتة(٤) على أرض الشام، وهذه من أكبر معارك الإسلام في عهـد النبيﷺ حيث إنها كانت معركة دامية، وكانت مقدمة لفتوح بلدان النصارى، وتحريـر أرض الشام من أيدي الصليبيين.

وقد كانت هذه المعركة بعد أن قتل رسول رسول اللهﷺ، على يدي أحـد ملـوك الغـساسنة الموالين للروم في أرض الشام، فأرسل النبيﷺ إليهم هذا الجـيش، فمـا أن وصـلوا حتـى فوجئوا، بأعداد كبيرة من جيوش الروم، قد اجتمعت عليهم لم يكن لجيش الإسلام كفاءه بهـم من حيث العدة والعدد. ودارت المعركة وقتل زيد، ثم جعفر، ثم ابن رواحة، ثم وقع اختيـار المسلمين على خالد بن الوليد ليقود الجيش، فوضع خالد ﷺ خططاً عسكريةً جديدة في هـذه المعركة، لم يعهدها العرب من قبل، وكان بها وبفضل الله أولاً نجاة جـيش المـسلمين بأقـل الخسائر، حتى أن الله تعالى زوى أرض المعركة للنبيﷺ ينظر إليها، ويقـول لأصـحابه: [

---

(١)المستدرك على الصحيحين كتاب الفتن والملاحم ،ح ٨٥٥٥ ج ٤ ص ٥٥٥

(٢) انظر إسعاد الأخصا ج١ ص ٧

(٣)انظر المرجع السابق ج١ ص ١١

(٤) مؤتة: هي قرية بأدنى بلقاء الشام، بينها وبين بيت المقدس مرحلتان، (انظر معجم البلدان، ج٥ ص٢٢٠)

أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان -، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم].(١)

وهذه المعركة رغم أنها لم تُحصل للمسلمين الثأر لرسولهم الذي قُتل، إلا أنها كانت لها نتائج كبيرة وعظيمة حيث إنها أرعبت قبائل العرب المجاورة، والتي كانت تكن العداء للمسلمين،حيث قاتل المسلمون أعظم دولة كانت على وجه الأرض في ذلك الزمان، ورجعت بخسائر قليلة جداً ، مما حدا بكثير من القبائل أن تدخل الإسلام، إما خوفاً، وإما اقتناعاً بأن الله هو الذي نصرهم، ومن هذه القبائل: بنو سليم، وأشجع، وغطفان، وذبيان، وفزاره، وغيرها، فكانت هذه المعركة من فضائل الجهاد على أرض الشام، وسبباً في إسلام الكثير من العرب المعادين للإسلام، واستقلال الكثير من القبائل عن حكم قيصر وانضمامها إلى المسلمين.(٢)

وكذلك قد ظهرت بركات الجهاد في بلاد الشام في غزوة تبوك، حيث شعر قيصر الروم بأن معركة مؤتة وإن لم تحقق للمسلمين مكاسب عسكرية، إلا أنها حققت مكاسب مادية وسياسية، إذ بدت كثير من القبائل العربية التي تواد الروم، تفكر في الاستقلال عنها، والانضمام بالولاء للمسلمين، فشعر أن هذا خطرٌ عظيم، قد يداهم حدوده بعد ذلك، ففكر بغزو دولة الإسلام في المدينة، والقضاء عليها، قبل أن يتحقق هذا الحلم للمسلمين، وقبل قيام التمرد والثورات من قبائل العرب عنده، وبدأ قيصر الروم على أرض الشام يعد العدة، لينطلق بجيش جرار لغزو المدينة، فلما ترامت الأخبار للنبي ﷺ بما أعد قيصر عزم على مباغتتهم في حصونهم وديارهم، قبل أن يزحفوا إلى المدينة، وأخبر رسول الله ﷺ أصحابة بهذه الغزوة لخطورتها، مع أنه لم يكن يُخبر عن أي غزوة قبلها. (٣)وقد كانت هذه الغزوة في ظروف صعبة تحدث عنها القرآن، وبين أنها اختبار للمسلمين، ليميز المؤمنين عن غيرهم، قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾(آل عمران:١٧٩). فخرج لهذه الغزوة كل من كان صادقاً في إيمانه، وتخلف عنها كل من كان منافقاً، حتى صار التخلف عنها أمارة على نفاق الرجل المتخلف، فما تخلف عنها إلا منافقٌ معلوم النفاق، عدا الثلاثة الذين تاب الله عليهم في القرآن، قال تعالى﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب،باب مناقب خالد بن الوليد ح٣٧٥٧

(٢) انظر الرحيق المختوم ص٣٧٩-٣٩٩

(٣)انظر المرجع السابق ص ٤٣٣-٤٣٨

الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(التوبة:١١٨). وتسابق المسلمون على الإنفاق بأموالهم في سبيل الله على هذه الغزوة، وتقاعص المنافقون حتى أنهم لمزوا المنفقين بألسنتهم وأعينهم، حتى أنزل الله تعالى فيهم قرآناً يوبخ أفعالهم، قال تعالى**﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** (التوبة:٧٩) .

والله تعالى حث المسلمين على الخروج لهذه الغزوة لأهميتها، قال تعالى**﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** (التوبة:٤١).

وبدأ خروج النبي والمسلمين إلى تبوك أرض الشام، وظهر في هذا الخروج موقفان، موقف المؤمنين الصادقين الذين لم يجد النبيﷺ ما يحملهم عليه، فما كان منهم إلا التوسل والبكاء، قال تعالى**﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾**(التوبة:٩٢). وموقف آخر كان من المنافقين الذين اختلقوا الأعذار لكي لا يخرجوا قال تعالى **﴿وَجَاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (التوبة:٩٠) والله تعالى بين لرسوله ﷺ حال هؤلاء المخلفين وأنه تعالى هو الذي خلفهم، لعلمه تعالى ما في خبايا نفوسهم من حب إيقاد الفتنة في الصف المسلم،ولعلمه جل وعلا أنهم لو خرجوا معه ما كان منهم إلا الخذلان ووضع الفتنة وزيادة الخبال في صفوف المسلمين، قال تعالى**﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا وَلأَوضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾**(التوبة:٤٧ -٤٨). ووصل رسول اللهﷺ إلى تبوك في أرض الشام وعسكر فيها، مستعداً للقاء الروم، وحث الجيش على الثبات، والجهاد لنيل خيري الدنيا والآخرة، فرفع من معنويات الجيش حتى تشوقوا للقاء الروم. وأما الروم لما سمعوا بزحف المسلمين دبَّ في قلوبهم الرعب، فلم يجترئوا على التقدم صوب المسلمين ولا لقاءهم، بل تفرقوا في البلاد داخل حدودهم، فكان لذلك أحسن الأثر بالنسبة لسمعة المسلمين العسكرية، في داخل الجزيرة العربية وأجزائها النائية، فبذلك يكون المسلمون قد حصلوا مكاسب سياسية، ومادية كثيرة، لم يكونوا ليحصلوها لو وقع القتال بين الجيشين ، فكانت أرض الشام أرض بركة وكرامة على النبي ﷺ وجنده ، حيث توافدت قبائل العرب من كل حدب وصوب على أرض تبوك تصالح

رسول الله ﷺ وتعطيه الجزية، مثل أهل إيليا، وأهل جربا،وأهل أدرج، وأهل ميناء، فكتب لهم رسول الله ﷺ الكتب والعهود والمواثيق بذلك، وجاء خالد بن الوليد بأكيدر دومة الجندل، مقيداً، حيث اختطفه من قصره، فصالح رسول الله ﷺ على مالٍ كثير، من البعير والغنم، والدروع والرماح، وأقر بالجزية.(١)

وهكذا بقيت بلاد الشام رمزاً للرباط والجهاد ضد أعداء الله تعالى، بعد عهد رسول الله ﷺ حتى عهد الفتوحات الإسلامية، زمن الخلفاء الراشدين، وما بعدهم، فهذه معركة اليرموك على أرض الشام، حيث شهدت أعظم معركة عرفها تاريخ حروب المسلمين مع أعدائهم، كُسر فيها أنف أعداء الله تعالى من الروم، حيث قُتلوا مقتلةً عظيمة لم تمر في حياتهم، وذلك على يدي خالد بن الوليد ﷺ الذي قاد الجيش الإسلامي الغير متكافئ مع جيش الروم لا بعدة ولا بعدد، إنما زادوا عليهم بقوة الإيمان وعلاقتهم مع رب العالمين.

لقد قام أبو بكرٍ ﷺ في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات، فبعث عمرو بن العاص ﷺ إلى فلسطين، فخرج إليها حتى نزل العرمات من أرض الشام، وبعث شرحبيل بن حسنة ﷺ إلى الأردن، فلما علم الروم بهذه الزحوف في أرض الشام، خافوا خوفاً شديداً، فكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر، وقد كان في حمص، ويقال إنه في بيت المقدس، فلما انتهى إليه الخبر، قال لهم: ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنهم لا قبل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم على نصف خراج الشام، وإن أبيتم أخذوا منكم الشام، وضيقوا عليكم جبال الروم، ولكن ما أعجبهم كلامه، فاضطر أن يبعث إليهم الجيوش الرومية، لمقابلة جيوش المسلمين، نزولاً عند رغبتهم، حتى بلغ جيوش الروم التي دخلت فلسطين أكثر من مئتي ألف مقاتل، وكان عدد جيش المسلمين واحداً وعشرين ألفا، عدا جيش عكرمة بن أبي جهل ﷺ الذي كان واقفا في أطراف الشام، وعدده ستة ألاف مقاتل، فأرسل قيادات جيش الإسلام لأبي بكرٍ يذكرون له كثرة عدد جيش الروم، وطلب المدد، فقال أبو بكر: والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان، بخالد بن الوليد، فبعث إليه وهو في العراق أن يقدم إلى الشام بجنده، ويكون هو الأمير عليهم، ثم كتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً، والقوا جنود المشركين فأنتم أنصار الله، والله ينصر من نصره، ويخذل من خذله، ولن يؤتى مثلكم على قله، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها، ونزل جيش الروم أرض اليرموك بأمرٍ من هرقل، واجتمع جيش المسلمين مع قياداتهم المتعددة، وأشار عليهم خالد أن يجتمعوا تحت إمارة واحدة، يتولى كل أمير إمارة ليلة، واستأذنهم في الأولى، وكان له ذلك ووضع لهم الخطط العسكرية التي ليس لها مثيل من قبل، فقسم الجيش إلى ألوية، ووضع على كل لواء

---

(١) انظر الرحيق المختوم ص ٤٣٣-٤٣٨

أمير، وثبت كل قومٍ على راية، وبدأت المعركة وثبت المسلمون على راياتهم، وبدأ الجيش المسلم يعمل بالخطة التي رسمها لهم خالد بن الوليد ﷺ، حيث أبلوا بلاءً حسناً، فكانت المقتلة في جيش الروم بالآلاف، حتى حُسمت المعركة من أول ليلة، حيث قُتل من جيش الروم مئتا ألف مقاتل، فكان في اليوم الثاني التشتت لجيش الروم في البلدان، وأخذ خالد بجيشه يطارد فلولهم في بلاد الشام، حتى وصل إلى دمشق فقتل منهم خلقاً كثيرا، ثم تتبعهم إلى حمص حيث مقام هرقل، فلما بلغ الخبر إلى هرقل إرتحل من حمص، وقال قولته المشهورة: " أما الشام فلا شام، وويلٌ للروم من المولود المشئوم". [1]

وهكذا كانت الشام موطن عزة ونصرة للمسلمين بالجهاد على أرضها، ومقتلة ومقبرة للغزاة الروم الكفرة.

وكذلك كانت الشام في عهد خلافة عمر بن الخطاب ﷺ أرضاً للجهاد والرباط، حيث فُتحت الديار المقدسة، وحُرر بيت المقدس من الروم، الذين كانوا مستعمرينها من قبل الإسلام، وذلك لما فرغ أبو عبيدة من دمشق، فكتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الإسلام، أو يبذلوا الجزية، أو يؤذنوا بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه، فركب إليهم مع جنوده، وحاصر القدس، وضيق عليهم، حتى أجابوا إلى الصلح، بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر ﷺ يتسلم منهم مفاتيحها، فجاء عمر بعد أن كتب إليه أبو عبيدة بذلك الشأن، وسار بالجيوش نحوهم حتى وصل مشارف بيت المقدس، فلما تلاقى الأميران عمر وأبو عبيدة عزم أبو عبيدة على تقبيل يد عمر، فعزم عمر على تقبيل قدمي أبي عبيدة، لإنجازه مهمة فتح بيت المقدس، فكف أبو عبيدة وكف عمر عن ذلك، ثم سار عمر وصالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم من بيت المقدس، وكتب إليهم كتاب مصالحة وأمان. وهكذا تشرف بيت المقدس بالجهاد على أرضه حتى حُرر من أهل الشرك.[2]

وكذلك كانت موقعة قيسارية وأجنادين على أرضها، واللتان اشتهرتا في تاريخ فتوحات فلسطين. فمعركة قيسارية خاضها معاوية بن أبي سفيان ﷺ حيث أرسله عمر بن الخطاب ﷺ لفتحها، فسار إليها وحاصرها وزاحفه أهلها مرات عديدة، وكان آخرها أن قاتلوا قتالاً شديداً، فشد عليهم معاوية، واجتهد في قتالهم، حتى فتح الله عليه فقتل منهم خلقاً كثيراً، يقال أكثر من ثمانين ألفا، ولاحق الذين انهزموا من المعركة، حتى أكمل بهم المائة ألف.[3]

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص٤-١٤

(٢) انظر البداية والنهاية ج ٧ ص٥٦-٥٧

(٣) انظر المرجع السابق ج ٧ ص ٥٥

أما أجنادين فقد كتب عمر إلى عمرو بن العاص يوجهه إليها، فسار بجيشه إليها، حتى وصل إلى الرملة فوجد عندها جمعاً من الروم، تأمر عليهم الأرطبون، وهو قائد من أعظم قيـادات الروم، مشهور بالدهاء والمكر والخديعة وفنون الحرب، فحاصرهم عمرو حـصاراً شـديداً، ودخل على الأرطبون بنفسه متخفياً بحجة المحاورة بين الطرفين، لأجل معرفـة مـا داخـل حصونهم، وكان مخادعة من عمرو للأرطبون، حتى شك الأرطبون بالذي يحاوره أن يكـون هو عمرو بن العاصﷺ أو أكبر المقربين إليه، مما حذا به أن يغدر به ويقتله، فأوعز لأحـد جنوده باغتياله خارج الحصن، فانتبه عمرو لهذه الخديعة وهو خارج من الحصن، فرجع إلى الأرطبون وأشار إليه قائلاً:إني أحد عشرة رجال من المقربين لعمرو بن العاص، فهل لك أن آتيك بهم للمشاورة، فوافق الأرطبون وأسر في نفسه قتل العشرة بدلاً من قتل واحد، فمنـع قتله وخرج عمرو من الحصن سالماً، فلما علم عمر بن الخطاب في المدينة ما حدث، أُعجب حتى قال: رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، وبقيَ عمرو محاصراً لها فشدَّ عليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، حتى فتحها، وقُتل الأرطبون فيها.[1]

وهكذا توالى الجهاد والرباط على أرض الشام، حتى كانت الغزوات الـصليبية علـى بـلاد المسلمين، وخاصة بلاد الشام، حيث دارت المعارك الضارية على أرضها، حتـى بعـث الله صلاح الدين، الذي كسر شوكة الصليبين، في موقعة حطين، وظهر أحمد باشا الجـزار فـي عكا، فحطم آمال نابليون الذي قاد الحملة الفرنسية على بلاد المسلمين، فدخل فلسطين بعد أن هزم الجيوش العربية في مصر وبعض بلاد الشام، وهناك قال قولته الشهيرة بعد هزيمته أمام جيش الإسلام في عكا: " لقد دفنت آمالي وأحلامي تحت أسوارك يا عكا" وفـر هاربـاً إلـى فرنسا في جنح الظلام، وسيأتي تفصيل عن ذلك فيما بعد.

المطلب السادس: فضل الشام بأنها أرض المحشر والمنشر

ومن فضل بلاد الشام عند الله تعالى أن جعلها موطن الحشر والنشر يـوم القيامـة، وذلك مما ورد في الكتاب والسنة، فعن أبي ذرﷺ قال: [قلت يا رسول الله أخبرنا عن بيـت المقدس، فقال: أرض المحشر والمنشر، أموه فصلوا فيه، فليأتين على بيت المقدس ولبـسطة

---

(1)انظر البداية والنهاية ج ٧ ص٥٥-٥٦

قوسٍ، أو مسحة قوسٍ في بيت المقدس، أو من حيث يرى بيت المقــدس، خيــرٌ مــن كــذا وكذا].[1]

أما ما ورد في كتاب الله قال تعالى **﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾** (ق:٤١) .

والمعنى: أن استمع إلى ما يوحى إليك من أحوال القيامة، يوم ينادي إسرافيل –عليه الــسلام- أو جبريل –عليه السلام- على الخلائق وذلك من فوق قبة الصخرة، وقيل هي صــيحة يــوم القيامة أي النفخ في الصور النفخة الثانية من إسرافيل، وقيل إن إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي، فيقول: أيها الناس هلموا للحساب، بحيث يصل النداء لكل فرد من أهل المحــشر، والمكــان القريب هو بيت المقدس، من فوق الصخرة المشرفة، والتي هي أقرب الأرض إلى الــسماء، وهذا قول أكثر أهل العلم. [2]

يقول القرطبي في تفسيرها: إنه ملك قائم على صخرة بيت المقدس، فينــادي أيتهــا العظــام البالية، والأوصال المتقطعة يا عظاماً نخرة، ويا أكفاناً بالية، ويا قلوباً خاويــة، ويــا أبــداناً فاسدة، ويا عيوناً سائلة، قوموا للعرض على رب العالمين، والمنادي هو صــاحب الــصور، ينادي من صخرة بيت المقدس.[3]

وقال تعالى**﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِــنْ قِبَلِــهِ العَــذَابُ﴾** (الحديد:١٣) . والمعنى: أن السور حاجز بين الجنة والنار، أو بين أهل النار وأهل الجنــة، والله تعالى وصف السور المذكور في الآية أن باطنه فيه الرحمة، وهو الذي يلي أهل الجنة، حيث النعيم المقيم الذي لا ينقطع، وليس له مثيل، وهذا رحمة لأهل الجنة، أما الباطن الآخر وهــو الظاهر من السور هو الذي يلي أهل النار، وهم أهل الكفر الذين يصب عليهم العذاب من كل جانب، والسور فوق بيت المقدس. وقيل إن المؤمنين يسبقون المنافقين إلــى الجنــة، فيبقــى المنافقون محصورون خارجها، والسور هو سور الجنة الذي حصر بين الفريقين، ففي داخل الجنة الرحمة وخارجها العذاب على المنافقين.[4]

يقول الطبري: "هذا السور الذي ذُكر والذي ضرب الله به بين المؤمنين وبين المنافقين، هــو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار، وهو فوق بيت المقدس".[5]

---

(1) سنن ابن ماجة ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ماجاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس،ح١٤٠٧، ضعفه الألباني

(2) انظر فتح القدير ج٥ ص٩٧

(3) كتاب التذكرة القرطبي ص ١٧٢

(4) فتح القدير ج٥ ص٢٠٤

(5)تفسير جامع البيان في تأويل القرآن ج٢٧ص١٢٩

وقال تعالى ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النَّازعات:١٤). يقول القرطبي: "هي أرض الشام، أرض المحشر والمنشر".[١]

وقوله تعالى﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ﴾ (الحشر:٢). والمعنى: أن أول حشرهم في الدنيا والذي هو مقدمة حشرهم في الآخرة في أرض الشام. وفي ذلك قال النبي ﷺ لليهود لما أخرجهم: [أخرجوا فقالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر، وهذا أول الحشر]. وفي ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه " من شك أن الحشر في الشام، فليقرأ هذه الآية". [٢]

وعن النبي ﷺ أنه قال :[ههنا تحشرون ها هنا تحشرون ها هنا تحشرون ثلاثا ركبانا ومشاة وعلى وجوهكم توفون يوم القيامة سبعون أمة أنتم آخر الأمم وأكرمها على الله تبارك وتعالى. ....فأشار بيده إلى الشام فقال إلى ها هنا تحشرون].[٣]

---

(١) كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ١٦٨

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٧٦

(٣) انظر مسند الإمام أحمد، باب حديث حكيم بن معاوية البهزي ج ٤ ص ٤٤٦
تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن رجاله ثقات رجال الصحيح.

المبحث الثاني

فضل أهل الشام

وفيه عدة مظاهر لفضلهم: -

فضل أهل الشام بدوام الجهاد والرباط فيهم إلى يوم القيامة

تمايز أهل الشام بالنصر والتمكين من الله تعالى على غيرهم

تحقيق أهل الشام لبعض خصال قد ذكرها النبيﷺ فيهم

إخبار النبي ﷺ عن فضلهم

المبحث الثاني

فضل أهل الشام

وكما أن الله تعالى قد بارك في أرض الشام، كذلك بارك في أهلها، قال تعالى**﴿سُبْحَانَ الَّـذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾** (الإسراء:١). والآية دليل على بركة أهل الشام وساكنيها، قال القرطبي: " قال العلماء على أن المسجد الأقصى، هو الذي ببيت المقدس في فلسطين، وأن البركة المذكورة، هي بركة في أرضها وفي مناخها، وفي ثمارها، وفي أهلها وساكنيها، ثم بركة بموطن أغلب الأنبياء فيها"[١]

ومن مظاهر فضل أهل الشام:-

١ - فضل أهل الشام بدوام الجهاد والرباط فيهم إلى يوم القيامة

لقد عرف التاريخ أهل الشام بأنهم أكثر أهل الأرض جهاداً ورباطاً على الثغور، حيث إن أرض الشام هي ثغر من ثغور الإسلام، بل من أهمها، ولذلك كانت مطمع المستعمرين من أهل الكفر على مدار الزمان. طمعوا في خيراتها، ومناخها، وحاولوا طمس الإسلام على أرضها، وهدم المسجد الأقصى الذي هو منارة الإسلام فيها. ولذلك نظر اليهود المستعمرون إلى هذه الديار نظرة عقائدية، زعموا فيها أنها أرض ميعادهم، وأنها أرض أجدادهم، وأنها مسكنهم قبل الطرد والشتات في الأرض على يدي من سامهم سوء العذاب من قبل.ولذلك عادوا إليها تحت هذا المسمى ونشروا الفساد. قال تعالى

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:٤). والله تعالى أخبر عن زوال هذا الفساد من هذه الديار وذلك بجهاد أهل الإسلام على أرضها، قال تعالى**﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآَخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾** (الإسراء:٧).

وكذلك ما أثبته النبيﷺ بقوله [لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وينطق الحجر والشجر يا عبد الله يا مسلم ورائي يهودي تعالى فاقتله].[٢]

---

(١)الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٧٥

(٢)صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانة ، ح٢٩٢٢

وما نراه في هذا الزمان على أرض بيت المقدس من جهاد شعبنا، ومقاومته لليهود، لهو خير مبشر لأهل الشام، لأنهم قَدَرُ الله تعالى لمقاتلة اليهود، والقضاء على فسادهم وعلوهم في بيت المقدس.

ثم إن مجاهدة أهل الشام لأهل الكفر لم يكن متوقفاً على مقاتلة اليهود فقط، بل إنهم جاهدوا الصليبيين من قبل على أرضهم، فقد حدث التاريخ عن الحروب الصليبية في أرض الشام، وما أصاب الصليبيين من قتل ودمار على يدي أهل الشام ومن ساندهم، سواء في زمن صلاح الدين الأيوبي، أو في زمن الحملة الصليبية بقيادة نابليون بونابارت، الذي حُطمت آماله الاستعمارية تحت أسوار عكا في فلسطين.

أما في زمن صلاح الدين لمّا كثرت فتوحاته في سواحل الشام، وأوجع أهل الكفر بسهامه وسطوته، كان لا يتجاسر على فتح بيت المقدس، لكثرة ما فيه من قوة جيش النصارى، وما أعدوا فيه من العدة والعدد للقاء أي جيش يغزوهم، لكون بيت المقدس كرسي دين النصارى، ولكن شاء قدر الله أن يُؤسر في بيت المقدس شابٌ مسلم من أهل دمشق، كتب وهو في سجنه أبياتاً من الشعر أرسلها إلى صلاح الدين، قال فيها:

أيها الملك الذي لمعالم الصلبان نكس

جاءت إليك ظلامة تسعى من البيت المقدس

كل المساجد طُهرت وأنا على شرفي منجس

فلما وصلته هذه الأبيات، تحركت في نفسه الغيرة على بيت المقدس، فعزم على تحريرها مهما كلفه ذلك الأمر،[1] فأخذ حينها يستدعي ويحث جند الشام وجند مصر للجهاد لأجل فتح بيت المقدس. وانطلق صلاح الدين بالجيش من دمشق، وحاصر الكرك، وكان عليها القائد الصليبي(البرنس إرناط) وكان هذا من أشد أعداء الإسلام والكارهين للنبيﷺ حتى إنه كان قاطعاً لطريق الحجاج لبيت الله الحرام، يقتلهم ويسب نبيهم محمداً ﷺ فحاصر صلاح الدين قصره، حتى فتحها وأخذه أسيراً. ثم سار في البلدان الشامية يفتحها واحدة تلو الأخرى، حتى وصل إلى طبرية، وفيها استعصم الإفرنج، وعزموا على المقاومة لعلمهم أنها إذا أُخذت منهم انتهى ملكهم، فقاوموا مقاومة شرسة، فحاصرهم صلاح الدين وشد عليهم شدة رجلٍ واحد، حتى وقع الرعب في قلوبهم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ومكن الله تعالى للمسلمين من رقابهم، فأسروا منهم عدداً كبيراً، ومن بينهم ملكهم وحاشيته، وكانت هذه المعركة معركة حطين المشهورة، وبعد انتهاء المعركة قدَّم صلاح الدين إرناط لقتله على رؤوس الأشهاد من

([1]) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي العليمي ، ج١ ص٣١٨

النصارى، ليعلمهم بما فعل في المسلمين وبما تطاول على رسول الله ﷺ وقال له: ها أنا اليوم أنتصر للنبيﷺ ، فضرب عنقه، وفصل رأسه عن جسده، وأخذ يجره أمام جمع النصارى، ويقول لهم: هذا جزاء من تعدى على الإسلام ونبي الإسلام. (١)

ثم واصل زحفه في بلاد الشام حتى فتح عكا والناصرة، وصفورية، وقيسارية، ونابلس، ثم دخل لبنان وفتح بلدانها، ثم عاد لفلسطين مرة أخرى، ففتح عسقلان وغزة والرملة، ثم رحل إلى بيت المقدس لفتحها، فلما سمع الإفرنج بمقدمه اشتد رعبهم، فما أن وصل إلى مشارفها وقد تحصن في داخلها ستون ألفاً من جنود الإفرنج، قاتلو قتالاً شديداً، حتى خارت قواهم أمام جند الإسلام، فطلبوا المصالحة من صلاح الدين، فرفض وقال: ما أخذتموه من المسلمين بالسيف لا يرد إلا بالسيف، فحينها أرسلوا مهددين بأنهم لا يموت منهم أحد حتى يقتل أو يجرح أحداً غيره، ثم هددوا بقتل أسرى المسلمين الذين بحوزتهم، وهددوا بخراب البيت والصخرة المشرفة، وهدم البيوت المجاورة وحرقها قبل الاستسلام، مما دعا صلاح الدين للنزول للصلح، بشرط أن يدفع كل رجل منهم عشرة دنانير، والمرأة خمسة دنانير، والطفل دينارين، فمن عجز عن ذلك فهو أسير، ووافق الإفرنج على ذلك وخرجوا من بيت المقدس، وبهذا تطهر بيت المقدس من رجس أهل الكفر من النصارى بفضل وبركة الجهاد في سبيل الله. (٢)

أما عن جهاد أهل الشام للحملة الفرنسية فقد عُرفت بلاد الشام بمقاومتها وجهادها للحملة الفرنسية بقيادة القائد الفرنسي نابليون، والتي جاست في بلاد الشام بعد مرورها بمصر، حيث احتلت وقتلت أهلها، ثم عبرت العريش من مصر عن طريق البر، حيث حاصر قلعتها ثمانية أيام قاوموا فيها مقاومة شديدة، حتى فرغت مؤنتهم وذخيرتهم، فطلبوا من نابليون الأمان ليستسلموا، فقبل منهم وأعطاهم الأمان، وأجلاهم عنها، ثم سار إلى غزة وخرب بساتينها، وأباد أشجارها، وخرب قلعتها وذلك بعد أن احتلها، ولكن بدون أن يفتك بأهلها لأنهم تظاهروا له بالطاعة، وطلبوا منه الأمان أسوة بأهل العريش، ثم سار بجيشه حتى وصل إلى يافا، حيث كان عساكرها متحصنين في حاميتها، فحاصرهم،فأرسل لهم رسولاً يطلب منهم الاستسلام، فقتله جند يافا، ورفضوا الاستسلام، وقاوموا مقاومة شديدة، فما كان من نابليون إلا أن وجه عليهم مدافعه وشدد الضرب فيهم، حتى أوقع فيهم آلاف القتلى من الجنود والأهالي، وبعد أن دخلها قام بالمذبحة التي عُرفت بمذبحة يافا البشرية، والتي أسالت الدماء في الشوارع

---

(١)انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج١ ص٣١٨

(٢) انظر المرجع السابق ج١ ص٣٢٧ -٣٢٩

والأسواق، من أجساد النساء والصبية والرجال، ثم توجه إلى عكا حيث كان جيش أحمد باشا الجزار متحصناً في أسوارها، فما أن وصل جيش نابليون عكا حتى وجد من أهلها وجيشها مقاومة شديدة لم ير نابليون مثلها إلا في نابلس جبل النار، حيث قاوم أهلها مقاومة شديدة، نكلوا بها في جيش نابليون، واشتد القتال في عكا حتى أوقعوا في جيش نابليون ما يزيد عن الثلاثة آلاف جندي، ومات من الطاعون أكثر من ألف جندي، فاضطر نابليون للإنسحاب والفرار بجنوده من عكا وهو يقول: دفنت آمالي تحت أسوارك يا عكا، فما كان من أهل عكا إلا أن طاردوا فلول جيش الفرنسيين وقتلوا منهم أكثر من ألف، وغنموا منهم غنائم كثيرة، حتى أخرجوهم من فلسطين ودخلوا حدود مصر.وهكذا ظهرت شجاعة أهل الشام بجهادهم وثباتهم أمام أكبر غزوة في الشرق الأوسط على بلاد المسلمين.(١)

٢ - تمايز أهل الشام بالنصر والتمكين وأنهم قدر الله في اليهود

لقد تميز أهل الشام على غيرهم بالنصر من الله تعالى، حيث إن الله تعالى وعد المسلمين إذا انتصروا لواجبهم نحو أرضهم، ودينهم بأن يتكفل بنصرتهم، قال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** (محمد:٧) .(٢)

ثم إنهم قدر الله تعالى لمقارعة اليهود في ديار الشام،قال تعالى **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** (الأعراف:١٦٧)

والمعنى: أن الله تعالى قضى وأمر على اليهود ليبعثن عليهم من يسومهم أشد العذاب وأخزاه بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله تعالى وشرعة، واحتيالهم على المحارم، فلقد ضرب موسى- عليه السلام- عليهم الخراج سبع سنين، وقيل أكثر من ذلك فكان هو أول من ضرب الخراج، ثم بعث عليهم ملوك اليونان الشكدانيين، والكلدانيين، فقهروهم وأذلوهم، ثم ساروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم، وأخذهم الجزية منهم، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت قهره وذمته، يؤدون الخراج والجزية، ثم يكون آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصاراً للدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى –عليه السلام- وذلك آخر الزمان.

ولقد ذكر كثير من الصحابة أن الذي يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، محمدﷺ وأمته.(١)

---

(١) انظر إتحاف الأعزة في تاريخ غزة ، الشيخ عثمان مصطفى الطباع ج ١ ص٢٨٤-٢٩٥

ترجمة للمؤلف: هو من مواليد غزة سنة ١٣٠٠هـ عمل بالتجارة بين الشام وغزة لفترة طويلة حتى ترك ذلك وكرس جهده بعد ذلك للأعمال الأدبية والدينية، وأسس مكتبة الجامع العمري في غزة. وتقلد عدة مناصب حتى توفاه الله تعالى سنة ١٣٧٠هـ

(٢) انظر إسعاد الأخصا ج١ ص٧

والذي يراه الباحث أنه لم يوجد في ديار المسلمين من انتصر لواجبه نحو أرضه ودينـــه فـــي هذا الزمان كأهل الشام وخاصة أهل بيت المقدس ، وذلك من خلال مقاومة وجهـــاد اليهـــود المحتلين لأرضهم ومقدسهم الأقصى، فما من أحدٍ قارع اليهود ولا أوغل في دمـــائهم ســـوى أبناء فلسطين، مع قلة إمكانياتهم المادية والعددية، ومع ذلك قد حققوا النصر تلو النصر، ومـــا ذلك إلا لأنهم نصروا الله في دينهم وجهادهم، والله تعالى حقق لهم وعده الذي وعدهم، فشعب فلسطين رجع إلى دينه وثبت على صحوته الإسلامية المباركـــة، واختـــار الإســـلام طريقـــاً للخلاص والتحرير، فكان له النصر من الله تعالى.

٣- تحقيق أهل الشام لبعض الخصال التي ذكرها فيهم النبيﷺ :-

لقد أخبر النبيﷺ عن وجود طائفة من أمته تثبت على حقها، وتقهر عدوها، ومع ذلك تخـــذلها أمتها، قال ﷺ [لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَـــضُرُّهُمْ مَـــنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْـــنَ هُـــمْ قَالَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ].(٢)

فأهل الشام في بيت المقدس وما جاوره، قد عُرفوا بالثبات على الحق في ديارهم، رغـــم مـــا كلفهم هذا الثبات من خسائر مادية وبشرية، وذلك بالقتل والأسر، و الحـــصار، و التجويـــع، وقطع الإمدادات المعيشية، ومحاولات الطرد المستمرة لأبناء هذا الشعب.

وبالنظر إلى الشعوب الأخرى ما وجدنا شعباً ثبت على حقه وفـــي ديـــاره،رغـــم الغـــزوات المتلاحقة له على مدار مئات السنين كشعب فلسطين، والتي هي جزء من بلاد الـــشام، ومـــا رأينا شعباً على وجه الأرض خذل من العالم بأسره كالخذلان الذي وقع على شعبنا من العالم بأسره، حتى من أهل دينه، وعروبته، ومع ذلك ما انهزم أمام هذا الخذلان، فطُبق عليه حديث النبي ﷺ وما كان هذا الخذلان بدعة في هذا الشعب بل كان على مدار التاريخ، فقد خُذل فـــي ثوراته على أرض فلسطين قبل النكبة، حتى وقع مجاهدوه فريسة لعصابات اليهود المهـــاجرة لفلسطين.

ثم خذلوه في عام النكبة حيث أرسلوا جيوشاً عربية ما قاتلت اليهـــود إنمـــا ســـلمت الأرض لليهود، وهاهم قد خذلوه في هذا الزمان في انتفاضته، ومقاومته لليهود حتى أصـــبحوا العـــين الساهرة لأمن اليهود، ومع ذلك صبروا على هذا الخذلان.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٦٢

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، ح٢١٨١٦ ، قال الأرناؤوط صحيح لغيره

وهم الذين قهروا اليهود بقتالهم وجهادهم وثباتهم وصمودهم، قهراً لا مثيل له، حتى حققوا نصراً عليهم ما حققته الجيوش العربية والإسلامية من قبل، فبشائر النصر قادمة لهم ببشرى النبي ﷺ بقوله (حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) أي النصر والتمكين.

٤ - إخبار النبيﷺ عن فضلهم

* عن عبد الله ابن حوالة الأسدي عن النبي ﷺ قال[ستجدون أجناداً، جنداً في الشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن، قال عبد الله فقمت فقلت: خر لي يا رسول الله، فقال: عليكم بالشام فإنها صفوة الله في أرضه، يجتبي إليها صفوته من عباده إن الله تكفل لي بالشام وأهلها]. (١)

يرى الباحث في قوله (إن الله تكفل لي بالشام وأهلها) أن هذه الكفالة من الله تعالى قد صاحبت شعبنا في ديارنا، صاحبته في مقاومته بإمكانياته البسيطة، فنصرته على ترسانة عسكرية لا يوجد لها مثيل في العالم بأسره إلا القليل، وصاحبته في حصاره من قوى الشر، فالله تعالى يسوق لهم رزقهم من حيث يحتسبوا ومن حيث لا يحتسبوا، وصاحبته في خذلان العالم كله له، فأمدهم بالنصر والسكينة والطمأنينة، والملائكة تقاتل معهم في حروبهم.

*عن أبي هريرة ﷺ قال رسول اللهﷺ [إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثاً من الموالي، هم أكرم العرب فرساً، وأجودهم سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين].(٢)

يرى الباحث أن هذا تحقق في زمن الحروب الصليبية على بلاد الشام في زمن صلاح الدين، حيث انطلق ببعثه من دمشق يجمع جنود المسلمين من مصر والشام، لمقاتلة الصليبين، فكان أكرم العرب فرساً، وكان أجودهم قوةً وسلاحاً، وبه وبجنده أيد الله الدين.

*عن أبي الدرداءﷺ قال رسول اللهﷺ [فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة جانب مدينة يقال لها دمشق، من خير مدائن الشام].(٣) وفي رواية [من خير منازل المسلمين]. (٤)

*عن معاوية بن قُرة(٥) عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين،لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة] .(٦)

---

(١) صحيح ابن حبان، باب ذكر الإخبار عما يستحب للمرء من سكنى الشام عند ظهور الفتن بالمسلمين، ح ٧٣٠٦ ج١٦ص٢٩٥إسناده صحيح

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الملاحم، ح٤٠٩٠

(٣) سنن أبي داوود ، كتاب السنة، باب في الخلفاء، ح٤٦٤٠ ، صححه الألباني

(٤) مسند الإمام أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث جبير بن نفير ، ح٢١٨١٨ ، صححه الأرناؤوط

(٥)ترجمة: هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب، إمام عالم ثبت وهو من كبار التابعين، يكنى بأبي إياس، وهو بصري حدث عن والده وعن علي بن أبي طالب وابن عمر وأبي هريرة

(٦) سنن الترمذي ، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في الشام، ح٢١٩٢ ، صححه الألباني

يرى الباحث أن جهاد أهل فلسطين لليهود لهوَ خير الصلاح، والذي يعود أثره على الأمة الإسلامية كلها، حيث هم الذين رفعوا رأس الأمة،أمام أعدائها بجهادهم لهم.

* عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ [لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ قَالَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ].[1]

*عن أبي أُمامة قال: قلت:[يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام]. [2]

يقول ابن كثير: " إن تخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استمرار دينه ونبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى عليه السلام".[3]

---

(1) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، ح٢١٨١٦ ، قال الأرناؤوط صحيح لغيره

(2) مسند الإمام أحمد، باقي مسند الانصار، حديث العرباض بن سارية، ح٢١٧٥٨ ، صححه الأرناؤوط لغيره

(3) تفسير ابن كثير ، ج١ ص١٩٠

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبعد الانتهاء بحول الله وقوته من كتابة هذا البحث المتواضع، في فضل محمد ﷺ وأمته على الخلائق أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت لتحقيق الهدف الذي كان من أجله هذا البحث، فإن كنت قد وفقت فيه فمن الله تعالى وحده، وإن كنت قد أسأت فمن نفسي ومن الشيطان، فحسبي أنني بشر يصيب ويخطئ، والكمال لله وحده، وإنني لا أستطيع أن أُحصي فضل رسوله محمدﷺ، ففضله هو منّه من الله تعالى، قال تعالى **﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾**(النساء:١١٣). وبعد: فقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى عدة نتائج من أهمها: -

١- إن التفاضل بين المخلوقات سنة جعلها الله تعالى من سنن الحياة في هذا الكون وهي حكمة أرادها الله تعالى.

٢- إن الإنسان مكرم على جميع المخلوقات بدينه وعقله وهيئته،والعقل والهيئة مكرمات بالدين، فإن بعد عن الدين فهو أهبط من الأنعام ببعده عن دينه،فلا عبره للعقل والهيئة بدون الدين.

٣- إن هذا الكون بما فيه من مخلوقات، مسخرة لخدمة الآدميين في الأرض، ولتسيير حياتهم فيها.

٤- الآدمي أفضل من الجن في صورته وهيئته، وسبقه للإيمان، وحمله النبوة والرسالة، حيث لم يكن رسول أو نبيٌ من الجن.

٥- الآدميون يتفاضلون فيما بينهم بالإيمان والتقوى، وأعمال الخير والنفع للغير.

٦- الله تعالى اصطفى الأنبياء من بين البشر جميعهم، فهم أفضل البشر وأكرمهم على الله تعالى.

٧-لقد فضل الله تعالى بعض الأنبياء والمرسلين على بعض، فأولي العزم من الرسل أفضلهم، ومحمدﷺ أفضل أولي العزم، وهذه حقيقة وردت في القرآن والسنة.

٨- إن لكل نبي معجزة مصدقة لنبوته تنتهي بموت النبي، أما المعجزة الكبرى لنبينا محمدﷺ وهي القرآن باقية إلى يوم القيامة.

٩- معجزات الأنبياء السابقين لا علاقة لها بالتشريع، أما معجزة محمدﷺ وهي القرآن الكريم، أصل التشريع.

١٠- رسالات الأنبياء السابقين محدودة المكان والزمان، أما رسالة محمدﷺ فهي تستغرق المكان والزمان إلى قيام الساعة.

١١- أمة محمدﷺ أفضل الأمم وخيرها بالشروط التي وضعها لها ربها، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله تعالى.

١٢-لقد فضلت أمة محمد ﷺ بخصالٍ معنوية وفعلية لم تتحصل عليها الأمم السابقة.

١٣- الله تعالى جعل هذه الأمة هي الأمة المرحومة، فتجاوز عن كثير مما لم يتجاوزه في الأمم غيرها.

١٤- الصحابة هم خير أمة محمدﷺ فلا يجوز لأحد أن يذكرهم بسوءٍ، ولا أن يعيب على أحدهم لفعلٍ فعله إلا الذين عرفوا منهم بالنفاق أو أنزل في حقهم حكم من الله.

١٥- لقد أعز الله تعالى أمة محمدﷺ بجعل الجهاد فيها إلى قيام الساعة، وجعل رزقهم تحت ظلال سيوفهم،وأحل لهم الغنائم، التي حُرمت على غيرهم من الأمم.

١٦- إن للشام وأهلها فضلاً على الأمة كلها دون الصحابة، ورد ذلك في الكتاب والسنة المطهرة.

١٧-بلاد الشام مطمع أهل الكفر إلى يوم القيامة، وما ذلك إلا لمكانتها وفضلها على البلاد.

١٨- علو اليهود وفسادهم وهلاكهم في بلاد الشام، وأهل الشام وخاصة أهل بيت المقدس هم قدرهم حتى قيام الساعة، وهم المرشحون للقضاء على فسادهم.

١٩-إن آخر خلافة إسلامية ستكون بإذن الله في بيت المقدس، لذكر السنة بذلك.

٢٠- المسجد الأقصى من أفضل بقاع الأرض وأقدسها بعد المسجد الحرام، والمسجد النبوي، واليهود تسعى لهدمه وبناء هيكلهم المزعوم على أرضه، بحجة أن هذه الديار ديار أجدادهم.

٢١- ديار الشام مهبط الأنبياء وملتقى الرسالات، وهي أرض المحشر والمنشر إلى يوم القيامة، فلا يجوز لأهلها أن يهاجروا منها هجرةً بنية عدم الرجوع إليها.

٢٢- يرجح الباحث بأن فساد اليهود لم يكن محصوراً على هاذين الفسادين المذكورين في القرآن الكريم، إنما هو دائم بوجودهم، وأما ما ذكره الله تعالى هو عنوان لأعظم الفساد في حياتهم.

٢٣- يرى الباحث أن بلاد الشام لا تدوم لظالم، فإن وجد فهو إلى مرحلة معينة، وأن مؤمنيها سيعلون على منافقيها، لأنهم تحت كفالة الله تعالى.

يرى الباحث حرمة الفرار من بلاد الشام، والهجرة منها هو هروب من الرباط والجهاد فيها.

يرى الباحث أن نصرة الله تعالى لأهل غزة هي مقدمة لنصرة أهل الإسلام على اليهود في هذه الديار، وهي من كفالة الله التي طبقت في ديارها.

أهم التوصيات: -

١-يوصي الباحث علماء الأمة الذين يعملون في حقل الدعوة، أن يبينوا لأبناء الإسلام فضل أمة محمد ﷺعند ربهم على الأمم، ومكانة نبيهم بين البشر جميعهم.

٢- على الأمة الإسلامية حكاماً، وعلماءً ، ومحكومين بالعمل على المحافظة على هذه الكرامة، وهذا الفضل، وألا يُعطوا الفرصة للأمة لتضيعها كما ضيعَ من قبلهم بنو إسرائيل، فعذبوا بهذا التضييع.

٣- على المسلمين ألا يعتزوا بغير الإسلام، فلا عزة لهم إلا به وبالجهاد في سبيل نصرته.

٤- يجب على أبناء المسلمين ألا يخدشوا هذه الكرامة بأفعالٍ تتنافى مع هذه الفضيلة، فكلٌ منا على ثغر من ثغور هذا الدين، فلا يؤتين هذا الدين من قبله.

٥- الحذر كل الحذر من المشوهين لكرامة الأمة، وذلك بالتشدد والمغالاة، والخروج عن سنة وهدي النبي ﷺ حتى وصلوا إلى منهج التكفير لأبناء الأمة.

٦- يوصي الباحث أهل بلاد الشام بالثبات على ثغور هذه الديار وألا يهاجروا منها، وألا يفرطوا في فضل الجهاد والرباط على أرضها، وأن يقبلوا بشارة رسول الله ﷺ.

٧-على أهل الديار المقدسة أن لا يركنوا على قدسية ديارهم ويتركوا العمل، فالديار لا تقدس أصحابها، إنما تقدسهم أعمالهم.

٨-يوصي الباحث الكتاب والمؤرخين وطلاب الدراسات العليا والجامعات القائمة على أرض الأمة الإسلامية عامةً، وأرض فلسطين خاصةً وعلى رأسها الجامعة الإسلامية، بكليتها كلية أصول الدين والكليات الشرعية بأن يفتحوا الباب لطلاب العلم بالكتابة في هذا الموضوع، وتزويدهم بما يساعدهم على ذلك.

فهـــرس الآيـــــات

سورة البقرة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٧.	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى	٢٦٢	١١٨
٢٨.	الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ	٢٦٨	٧
٢٩.	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ	٢٧٤	٢٠
٣٠.	للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ	٢٨٤	٩٩
٣١.	آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ	٢٨٥	-١٠٠- ١٢٢
	سورة آل عمران		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٢.	كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ	١١	١٢٣
٣٣.	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ	٣١	٤٩
٣٤.	إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا	٣٥	١٢٠
٣٥.	فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا	٣٧	-١٣١- ١٤٣
٣٦.	هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ	٣٨	١٣١
٣٧.	إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا	٥٥	٨٠
٣٨.	مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا	٦٧	٤١
٣٩.	وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ	٧٨	٦٥
٤٠.	وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ	٨١	٨٥
٤١.	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ	١١٠	٩٠
٤٢.	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ	١٣٣	١١٢
٤٣.	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ	١٣٤	١١٢
٤٤.	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	١٣٩	١٠٧
٤٥.	الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ	١٧٢	١٠٣
٤٦.	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا	١٧٣	١٢٣
٤٧.	مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ	١٧٩	١٤٦
	سورة النساء		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٨.	إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا	٤٠	٥٨
٤٩.	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا	٤١	٥٨
٥٠.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى	٤٣	٧٨
٥١.	وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ	٦٩	٣٦

م	الآية	رقمها	الصفحة
٥٢.	لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ	٩٥	١٠٠
٥٣.	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ	٩٧	١١٧
٥٤.	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ	١٠٥	٧٩
٥٥.	وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا	١٢٥	٤٢
٥٦.	فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآَيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ	١٥٥	١٤٣
٥٧.	وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا	١٥٦	٦٥- ١٤٣
٥٨.	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ	١٥٧	٤٥
٥٩.	بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا	١٥٨	٤٥
٦٠.	وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا	١٥٩	٤٥
٦١.	وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ	١٦٤	٧٣
	سورة المائدة		
م	**الآية**	رقمها	الصفحة
٦٢.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ	١	٦٢
٦٣.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ	٢	٦٢
٦٤.	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ	٣	٦٢
٦٥.	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ	٤	٦٢
٦٦.	اليَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ	٥	٦٢
٦٧.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ	٦	٦٢
٦٨.	وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ	٧	٦٢
٦٩.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ	٨	٦٢
٧٠.	وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ	١٨	٩١
٧١.	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ	٢٠	١٣٩
٧٢.	يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ	٢١	١٣٩
٧٣.	قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا	٢٢	١٣٩
٧٤.	قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا	٢٤	١٢٢
٧٥.	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا	٢٧	١٠١
٧٦.	وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ	٤٨	٦٢
٧٧.	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ	٦٧	٧٢
٧٨.	لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا	٨٢	٨٤
٧٩.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ	١٠٦	٢٣

م	الآية	رقمها	الصفحة
٨٠.	وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ	٨٣	٨٤
سورة الأنعام			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٨١.	وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ	٨٥	١٤٠
٨٢.	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي	١٣٠	١١
سورة الأعراف			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٨٣.	يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ	٣١	٣٩
٨٤.	يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي	٣٥	٣٩
٨٥.	إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ	٤٠	٢٥
٨٦.	قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا	١٢٩	١٢٢
٨٧.	وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا	١٣٧	١٢٧
٨٨.	الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ	١٥٧	٨٣-٩٨
٨٩.	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا	١٧٩	١٦
سورة الأنفال			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٩٠.	كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ	٥	٧٧
٩١.	يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ	٦	٧٧
٩٢.	فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى	١٧	٧٧
٩٣.	وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ	٣٣	٥٢-٩٨
٩٤.	وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ	٤١	٧٩
٩٥.	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ	٧٢	١١٦
٩٦.	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ	٧٤	١٢٣
سورة التوبة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٩٧.	أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ	١٩	١٤٤
٩٨.	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ	٣٣	٨٠
٩٩.	انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ	٤١	١٤٧
١٠٠.	لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ	٤٧	١٤٧
١٠١.	لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ	٤٨	١٤٧

١٠٢.	الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ	٧٩	١٤٧
١٠٣.	وَجَاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ	٩٠	١٤٧
١٠٤.	وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ	٩٢	١٤٧
١٠٥.	وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ	١٠٠	١١٥
١٠٦.	وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ	١١٨	١٤٧
١٠٧.	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ	١٢٨	٤٩-٩١
	سورة يونس		
م	الآية	رقمها	الصفحة
١٠٨.	دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ	١٠	١٠٢
١٠٩.	وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا	١٨	٧٠
١١٠.	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	٤٧	٤١
	سورة هود		
م	الآية	رقمها	الصفحة
١١١.	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ	١٣	٦٦
١١٢.	وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ	٦٩	١٣٧
١١٣.	فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ	٧٠	١٣٧
١١٤.	وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ	٧١	١٣٧
١١٥.	قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ	٧٣	١٣٧
	سورة يوسف		
م	الآية	رقمها	الصفحة
١١٦.	وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا	١٠٠	٤٠
	سورة إبراهيم		
م	الآية	رقمها	الصفحة
١١٧.	وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ	٢٣	١٠٢
١١٨.	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ	٢٤	١١٥
١١٩.	تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ	٢٥	١١٥
١٢٠.	يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ	٢٧	٢٤
١٢١.	وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا	٣٤	٧
	سورة الحجر		
م	الآية	رقمها	الصفحة

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٢٢.	لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	٧	٩
١٢٣.	وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ من قَبْلُ من نَّارِ السَّمُومِ	٢٧	٩
١٢٤.	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	٩	-٩٣ ١٠٤
١٢٥.	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ	٢٩	٤
١٢٦.	لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ	٧٢	٧٢

سورة النحل

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٢٧.	بِالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	٤٤	٧٩
١٢٨.	يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ	٥٠	٦
١٢٩.	وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ	٦٤	٧٩
١٣٠.	مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ	١٠٦	١٠٠
١٣١.	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ	١٢٠	٤٢

سورة الإسراء

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٣٢.	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّـذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ	١	-٧٣ -١٣١ -١٣٢ ١٥٤
١٣٣.	وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ	٤	-١٠٥ ١٣٤
١٣٤.	فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ	٥	١٣٤
١٣٥.	ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا	٦	١٣٥
١٣٦.	فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ	٧	-١٠٦ ١٥٤
١٣٧.	عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا	٨	-١٠٦ ١٣٥
١٣٨.	قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ	٦٢	١١
١٣٩.	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ	٧٠	٣
١٤٠.	يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	٧١	٥٧
١٤١.	وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا	٧٩	٥٦-٧١
١٤٢.	وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ	٨٢	٩١

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٠٨.	قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ	٢٦	١٣٨
٢٠٩.	قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ	٢٧	١٣٨
٢١٠.	فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِ الأَيْمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ	٣٠	٤٤
	سورة العنكبوت		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢١١.	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا	١٤	٤١
٢١٢.	فَآَمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ	٢٦	١٣٦
٢١٣.	وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ	٢٧	٤٢
	سورة الروم		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢١٤.	الم	١	٩٢
٢١٥.	غُلِبَتِ الرُّومُ	٢	٩٢
٢١٦.	فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ	٣	٩٢
٢١٧.	فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ	٤	٩٢
٢١٨.	فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ	١٧	١٠٠
٢١٩.	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالبَيِّنَاتِ	٤٧	٣١
	سورة لقمان		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٢٠.	وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	١٥	١١٧
٢٢١.	وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	١٥	١١٧
٢٢٢.	وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ	١٨	٥١
	سورة السجدة		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٢٣.	قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ	١١	٧
٢٢٤.	أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ	١٨	٢٠
٢٢٥.	أَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	١٩	٢٠
٢٢٦.	وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ	٢٠	٢٠

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٧.	وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ	٧٢	١٧
٢٤٨.	وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ	٧٣	١٧
	سورة الصافات		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٩.	وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ	١٢٣	١٣٩
٢٥٠.	إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ	١٢٤	١٣٩
٢٥١.	أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ	١٢٥	١٣٩
٢٥٢.	اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ	١٢٦	١٣٩
٢٥٣.	فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ	١٢٧	١٣٩
٢٥٤.	إِلَا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ	١٢٨	١٣٩
	سورة ص		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٥.	قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ	٧٥	٣٩
	سورة الزمر		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٦.	أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ	٩	١١٨
٢٥٧.	إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	١٠	١٠٩
٢٥٨.	وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ	٣٣	١١٧
٢٥٩.	وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا	٧١	٢٧
٢٦٠.	قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ	٧٢	٢٩
٢٦١.	وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا	٧٣	٢٩
	سورة غافر		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٦٢.	الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا	٧	٨
٢٦٣.	رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ	٨	٨
٢٦٤.	وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ	٩	٨
٢٦٥.	مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ	١٨	١٠٨
٢٦٦.	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ	٤٦	٢٥
٢٦٧.	وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ	٦٠	٩٧

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٨٤.	وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ	١٩	٨-٢٣
٢٨٥.	وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ	٤١	١٥١
٢٨٦.	ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد	١٨	٨
	سورة الذاريات		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٨٧.	فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ	٢٩	١٣٧
٢٨٨.	وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	٥٦	١٦
	سورة النجم		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٨٩.	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى	٣	٧٥
٢٩٠.	إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى	٤	٧٥
٢٩١.	ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى	٨	٧٠
٢٩٢.	فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى	٩	٧٠
٢٩٣.	فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى	١٠	٧٠
٢٩٤.	مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى	١١	٧٠
٢٩٥.	أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى	١٢	٧٠
٢٩٦.	وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى	١٣	٧٠
٢٩٧.	عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى	١٤	٧٠
٢٩٨.	مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى	١٧	٧٥
٢٩٩.	لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى	١٨	٧٥
٣٠٠.	وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ	٢٦	٧١
	سورة القمر		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٠١.	اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ	١	٦٧
٣٠٢.	سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ	٤٥	٩٢
	سورة الرحمن		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٠٣.	وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ	١٥	١٠
٣٠٤.	يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ	٢٢	١١-٩٢
	سورة الواقعة		

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٠٥.	وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ	١٠	١٣- ١١١
٣٠٦.	أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ	١١	١٣- ١١١
٣٠٧.	فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ	١٢	١٣
٣٠٨.	لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ	٧٩	٩٢

سورة الحديد

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٠٩.	لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ	١٠	٩٧
٣١٠.	يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم	١٢	١١٤
٣١١.	يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ	١٣	١٥١

سورة الحشر

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣١٢.	هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ	٢	٧٧
٣١٣.	وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ	٢	١٥٢
٣١٤.	لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ	٨	١١١
٣١٥.	وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ	٩	١١٦

سورة الصف

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣١٦.	وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ	٦	٨٦
٣١٧.	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ	٩	٨٠

سورة الجمعة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣١٨.	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ	٢	٩١

سورة الطلاق

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣١٩.	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ	١	٧٢

سورة التحريم

م	الآية	رقمها	الصفحة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٢٠.	عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ	٥	١١٨
٣٢١.	وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا	١٢	٤٥
	سورة القلم		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٢٢.	عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ	١٣	٩٢
٣٢٣.	إنك لعلى خلقٍ عظيم	٤	٣٣
٣٢٤.	فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُوم	٤٨	٥١
	سورة الحاقة		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٢٥.	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	١٩	٢٨
٣٢٦.	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ	٢٥	٢٩
	سورة المعارج		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٢٧.	تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	٤	٢٧
٣٢٨.	يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ	٤٣	٢٦
٣٢٩.	خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ	٤٤	٢٦
	سورة نوح		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٣٠.	وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا	٢٣	٤١
٣٣١.	وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلا ضَلَالًا	٢٤	٤١
	سورة المدثر		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٣٢.	إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ	١٨	٣٣
٣٣٣.	فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ	١٩	٣٣
٣٣٤.	ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ	٢٠	٣٣
٣٣٥.	ثُمَّ نَظَرَ	٢١	٣٣
٣٣٦.	ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ	٢٢	٣٣
٣٣٧.	ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ	٢٣	٣٣
٣٣٨.	فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ	٢٤	٣٣
٣٣٩.	إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ البَشَرِ	٢٥	٣٣

٣٤٠.	سَأُصْلِيهِ سَقَرَ	٢٦	٣٣
٣٤١.	فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ	٤٨	٧٠
	سورة النبأ		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٤٢.	يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا	٤٠	١٨
	سورة النازعات		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٤٣.	وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا	١	٧-٢٣
٣٤٤.	وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا	٢	٧
٣٤٥.	وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا	٣	٧
٣٤٦.	فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا	٤	٧
٣٤٧.	فَالمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا	٥	٧
٣٤٨.	فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ	١٤	١٥٢
٣٤٩.	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى	١٥	٤٤
٣٥٠.	إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى	١٦	٤٤
	سورة عبس		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٥١.	عَبَسَ وَتَوَلَّى	١	٣٥
٣٥٢.	أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى	٢	٣٥
٣٥٣.	وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى	٣	٣٥
٣٥٤.	أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى	٤	٣٥
٣٥٥.	أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى	٥	٣٥
٣٥٦.	فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى	٦	٣٥
٣٥٧.	وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى	٧	٣٥
٣٥٨.	وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى	٨	٣٥
٣٥٩.	وَهُوَ يَخْشَى	٩	٣٥
٣٦٠.	فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى	١٠	٣٥
	سورة الانفطار		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٦١.	يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ	٦	١٠

م	الآية	رقمها	الصفحة
.٣٦٢	الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ	٧	١٠
.٣٦٣	فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ	٨	١٠-١٥
.٣٦٤	وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ	١٠	٨
.٣٦٥	كِرَامًا كَاتِبِينَ	١١	٨
.٣٦٦	يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ	١٢	٨

سورة الانشقاق

م	الآية	رقمها	الصفحة
.٣٦٧	وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ	٣	٢٦
.٣٦٨	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	٧	٢٨
.٣٦٩	فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا	٨	٢٨
.٣٧٠	وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا	٩	٢٨
.٣٧١	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ	١٠	٢٨
.٣٧٢	فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا	١١	٢٨
.٣٧٣	وَيَصْلَى سَعِيرًا	١٢	٢٨
.٣٧٤	وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ	١٨	٢٨

سورة الليل

م	الآية	رقمها	الصفحة
.٣٧٥	فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى	٥	١١٧
.٣٧٦	وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى	٦	١١٧
.٣٧٧	وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى	١٧	١١٧
.٣٧٨	الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى	١٨	١١٧

سورة الضحى

م	الآية	رقمها	الصفحة
.٣٧٩	وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى	٥	٥٢

سورة الإنشراح

م	الآية	رقمها	الصفحة
.٣٨٠	وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ	٤	٧١

سورة التين

م	الآية	رقمها	الصفحة

٣٨١.	وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ	١	١٣٠
٣٨٢.	وَطُورِ سِينِينَ	٢	١٣٠
٣٨٣.	وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ	٣	١٣٠
٣٨٤.	لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	٤	١٣٠- ٩
	سورة القدر		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٨٥.	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ	١	٩٤
٣٨٦.	وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ	٢	٩٤
٣٨٧.	لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ	٣	٩٤
	سورة الزلزلة		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٨٨.	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ	٧	١٠٨
٣٨٩.	وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ	٨	١٠٨
	سورة القارعة		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٩٠.	فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ	٦	١٠٨
٣٩١.	فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ	٧	١٠٨
٣٩٢.	وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ	٨	١٠٨
٣٩٣.	فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ	٩	١٠٨
	سورة الكوثر		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٩٤.	إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ	١	٥٥

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
٩٢	كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه(أي يسقون عليه) وأنه استصعب	٦٩
٩٣	كل ابن آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون	٣٦
٩٤	كنا يوم الحديبية أربعة عشر مائة، والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة	٦٨
٩٥	كل عمل ابن آدم له إلا الصوم	٩٤
٩٦	لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ	١٦٠
٩٧	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ	١٥٨
٩٨	لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم	١٤٤
٩٩	لا تسبوا أصحابي، والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً	١١٢
١٠٠	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	١٣٤
١٠١	لا تفضلوني على موسى	٥٠
١٠٢	لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وينطق الحجر	١٠٦
١٠٣	لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وينطق الحجر والشجر	١٥٤
١٠٤	لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا	٤٦
١٠٥	لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق	١٣٣
١٠٦	لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي	٦٥
١٠٧	لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متَّى	٥٠
١٠٨	لأنت أحب إلي من كل شيء ، إلا نفسي	١٢٠
١٠٩	لقد أُعطيت الليلة خمساً ما أُعطيهن أحد قبلي،....... وجعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً	٧٨
١١٠	لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها	٤٠
١١١	ما تعدون الشهيد منكم	١٠٣
١١٢	ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين	١٠٢

فهرس الأعلام المترجم لهم

مراجع البحث

مرتبة حسب حروف الهجاء

أولاً: كتب التفسير

١ -أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٢ -إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣ -تفسير التحرير والتنوير، تأليف الإمام الشيخ محمد الشيخ الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٤ - تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت- ١٤٠١هـ.

٥ - تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٦ -تفسير مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط١ ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٧ -تفسير الشعراوي، خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم، الإخراج الفني: أشرف حسين محمد.

٨ - تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، مؤسسة الرسالة-ط١-١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٩ -التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر دمشق- سوريا.

١٠ - تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت-٢٠٠٥م.

١١ -تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
الطبعة : الأولى.

٦- تفسير مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط١ ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٧- تفسير الشعراوي، خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم، الإخراج الفني، أشرف حسين محمد.
٨- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، مؤسسة الرسالة-ط١٤٢٠١هـ-٢٠٠٠م.
٩- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان، دار الفكر دمشق-سوريا.
١٠- تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت – ٢٠٠٥م.
١١- تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي دار النشر: دار الكتب العلمية-لبنان/بيروت-١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
١٢-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الدكتور/ عبد السند حسن يمامة،ط١-١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٣-الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق الشيخ محمد بيومي، والأستاذ عبد الله المنشاوي، مكتبة جزيرة الورد، ومكتبة الإيمان.
١٤- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر : دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣.
١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، إدارة الطباعة المنبرية، دار إحياء التراث- بيروت-لبنان.
١٦- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٣-١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٨- في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة جديدة مشروعة تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف، دار الشروق، الطبعة الشرعية السابعة عشر.

١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٠- الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ،دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢١- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ،دار الفكر - بيروت / لبنان .
٢٢- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ،دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م.
٢٣- المحرر والوجيز في تفسير الكتاب العزيز،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ،سنة الولادة / سنة الوفاة ٥٤٦هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٢٤-معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش- دار طيبة للنشر والتوزيع-١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٥-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
٢٦- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

ثانياً: كتب الحديث.

١-سلسلة الأحاديث الصحيحة، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، يشمل جميع أحاديث السلسلة الصحيحة مجردة عن التخريج، مرتبة على الأبواب الفقهية، إعتنى بها أبو عبيدة مشهور بن حسن آلي سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لأسعد الراشد، الرياض، ط٢- ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
٢- جامع الأحاديث للسيوطي، المؤلف جلال الدين السيوطي.
٣-سنن ابن ماجه، تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٨- سنن أبي داود، تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، إعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١-.

٩- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي،دار النشر:مؤسسة الرسالة،بيروت،١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٠-صحيح البخاري، المسمى الجامع الصحيح المختصر للإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، قام على نشره علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الأثري، الزهراء للإعلام العربي.

١١- صحيح مسلم، للإمام الحافظ بن الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

١٢- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتبة مصر، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن الباز ومحمد فؤاد عبد الباقي،ط١- ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٣- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت ط١-١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٤- مسند الإمام أحمد ابن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، حكم على الأحاديث شعيب الأرناؤوط، مؤسسة قرطبة مصر.

١٥- معجم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني،دار النشر:مكتبة ابن تيمية،مدينة النشر:القاهرة.

ثالثاً: كتب التوحيد.

١-شرح العقيدة الطحاوية، تأليف العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، حققه وخرج أحاديثه أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، دار ابن رجب، ط١-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢-كتاب عالم الجن والشياطين، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن،ط١٢

٣- كتاب الإيمان الأوسط ، لابن تيمية رحمة الله.

٤- كتاب الرسل والرسالات ، الدكتور/ عمر الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن،ط١٢.

٥-عقيدة المسلم، لأبي بكر الجزائري.
٦- شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب.
٧- التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، للإمام القرطبي، تحقيق الشحات أحمد الطحان، دار المنار،١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٨- شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.
٩-شرح المقاصد، في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله النفتازاني، دار النشر: دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، باكستان.

رابعاً: كتب الأخلاق .

١-الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
٢-الرياض النضرة في مناقب العشرة، المحب الطبري.
٣-إسعاد الأخصا بذكر صحيح فضائل الشام والمسجد الأقصى، أبي عبد الرحمن السلفي المقدسي، هشام بن فهمي بن موسى العارف.
٤-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، حققه وكتب هوامشه: محمد حامد الفقي، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
٥-صفة الصفوة، محمد بن أبي الفرج بن الجوزي، دار النشر:دار المعرفة بيروت.
٦- صيد الخاطر، لابن الجوزي، مكتبة الإيمان بالمنصورة.
٧-فضائل القدس لابن الجوزي.
٨-كتاب الإسلام، تأليف سعيد حوى، راجعه الأستاذ وهبي سليمان الفاوجي.
٩-كتاب معجزة القرآن، للشيخ محمد متولي الشعراوي.
١٠-لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، تحقيق الأستاذ: أحمد عبد الشافي،دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
١١- مبشرات النصر والتمكين،
١٢-معجزات النبي، لابن كثير.
١٣-مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار النشر: مطبعة عيسى الحلبي.

خامساً: كتب السير

١-البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر:مكتبة المعـارف بيروت- لبنان.

٢-إتحاف الخيرة المهرة بزائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصـيري، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي، إشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، النـشر: دار الـوطن، الرياض، ط١-١٤٢٠هـ.

٣-الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار النشر:رابطة العالم الإسـلامي،مكـة المكرمة، دار المستقبل،ط١-١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤-الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، دار النـشر: دار الصادر بيروت.

٥-القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، النشر: دار النـدوة الجديـدة، بيروت-لبنان.

٦-أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي،تحقيق: محمد المعتصم بـالله البغدادي، دار النشر: دار الكتاب العربي،بيروت- لبنان.

٧-سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الـذهبي، طبعـة جديـدة منقحة مخرجة الأحاديث، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا.

٨-سيرة ابن هشام، عبد السلام بن هارون، دار النشر: مؤسسة الرسالة، دار الحديث العلمية، الكويت.

سادساً: كتب المعاجم

١- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الـرزاق الحـسيني،الملقـب بالمرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية.

٢- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، النشر دار الفكر-بيروت.

٣- معجم استعجم،لأبي عبد الله الأندلسي.

٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أو السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، دار النشر: المكتبـة العلميـة بيروت.

سابعاً: كتب التاريخ

١-الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،مجير الدين الحنبلي العليمي، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة، دار النشر مكتبة دنديس عمان، ١٤٢٠هـ.

٢-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور/جواد العلي، دار النشر:دار الساقي،ط٤-١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

٣- إتحاف الأعزة في تاريخ غزة، الشيخ عثمان مصطفى الطباع الغزي، تحقيق عبد اللطيف زكي أبو هاشم، الناشر: مكتبة اليازجي غزة-فلسطين

فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة

هذا البحث يتحدث عن موضوع من مواضيع القرآن الكريم، وهو بعنوان فضل محمد ﷺ ، حيث يتكون هذا البحث من مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

الفصل الأول: سنة الله في التفضيل بين الخلائق، وقد قسمت فيه التفضيل بين الخلائق إلى عدة أقسام، منها تفضيل الآدميين المؤمنين على جميع الخلائق، منهم الملائكة، والجن، والأنعام. ثم تفضيل الآدميين المؤمنين بعضهم على بعض، وذلك بخصال معينة، إما بالنبوة وإما بالإيمان. ثم بينت فضل الأنبياء بعضهم على بعض، كالمفاضلة بين الرسل والأنبياء، ثم المفاضلة بين أولي العزم منهم، وباقي الأنبياء، ثم المفاضلة بين أولي العزم فيما بينهم.

الفصل الثاني: فضل محمد ﷺ، وفيه بينت فضل محمد ﷺ على الخلق كلهم بخصال، وميزات جعلها الله له، كالسيادة على البشر جميعهم، وجعله رحمةً للعالمين، وشفاعته لهم يوم القيامة ببدء الحساب، ثم بينت فضله على الأنبياء جميعهم، وذلك بعموم رسالته، وذكره في الكتب السماوية السابقة قبل بعثته، ثم كثرة معجزاته، المادية والمعنوية، ثم حاجتهم له يوم القيامة بالشهادة لهم على أقوامهم.

الفصل الثالث: بينت فيه فضل أمة محمدﷺ على الأمم كلها، حيث أن الله تعالى جعلها خير أمة أخرجت للناس، وأن الله تعالى جعل لها الإسلام ديناً وهو خير الأديان، وأن جعل محمداً رسولاً لها وهو خير الأنبياء، وأن جعل القرآن كتابها وهو خير الكتب السماوية. ثم بينت أن الله تعالى فضلها على الأمم كلها باستمرار الجهاد فيها. ثم بينت سنة التفاضل في أمة محمد ﷺ فيما بينها، كتفضيل الصحابة على جميع الأمة، ثم تفاضلهم فيما بينهم، وذلك إما بالإيمان أو كثرة الإنفاق في سبيل الله، أو السبق لنصرة دين الله.

الفصل الرابع: وقد خصصته لبيان فضل الشام وأهلها على أمة محمد ﷺ بعد الصحابة، وذلك بوجود المقدسات في أرض الشام، وخاصة المسجد الأقصى، ثم إنها مهبط الأنبياء، وملتقى الرسالات السماوية، وأنها أرض المحشر والمنشر إلى يوم القيامة، أما أهلها فهم بشرى النبيﷺ بأنهم الفئة الثابتة إلى يوم القيامة على حقها، وهي القاهرة لعدوها، والموعودة بالنصر من الله ، ثم هم في جهادٍ ورباط إلى يوم القيامة، بأنهم هم المقاتلون لليهود والدجال في آخر الزمان.

ثم الخاتمة: وقد ضمنتها أهم النتائج والتوصيات

Summary

This research talks about one of the holy koran topics which is the virtue of Mohammad(pbuh).
This research consists of introductory chapter and four chapters

Introductory Chapter :

This chapter includes the importance of the topic, the causes of choosing it and the aims. Moreover, it talks about the previous studies, the method and the plan of the research.

First Chapter:

Entitled by the way in which Allah prefers among his creatures. The preference among the creatures is divided into many types. Firstly, the preference of the theist human beings(believers) over all the creatures including angels, jinn and all that exists. Then, the preference between the believers at each other in many ways: the prophecy or the faith. After that, I explained the preference among the prophets at each other and between the prophets and the messengers. Even, between messengers(of old) (Olo Al Azem) and the other messengers. Also between Olo Al Azem on each other.

Second Chapter:

Entitled by the virtue of Mohammed (pbuh).
This chapter talks about the preference of Mohammed (pbuh) on all the creatures in many features and qualities which Allah gave him: his sovereignty over all human beings, his mercy to Al Alamin (mankind, jinn's and all that exists) and this intercession in the Day of Resurrection. Then, his preference on all the prophets since he is mentioned in all the previous heavenly books before his mission.
After that, mentioning his material and moral miracles and the prophets, need for him in the Day of Resurrection in order to testify on their people

Third Chapter:

This chapter entitled by the preference of Mohammad's nation over all nations. So this chapter shows that Allah made this nation the best nation raised up for people. In addition, Allah made the Islamic religion its religion since it is the best of all. And made Mohammad(pbuh) who is the best prophet of all, its prophet. Besides, he made the Holy Koran its book which also is the best of all.
After that, I explained that Allah preferred the Islamic nation over the nations by making Al Jihad everlasting for it. Another thing which this chapter shows is the preference among Mohammad's nation.

Forth Chapter:

It is specialized to show the preference of Belad Al Sham (Palestine, Syria, Lebanon and Jordan) and its people over Mohammad's nation since it has holy places specially Al Aqsa mosque and it is the land of prophets. In addition, it is the meeting point of divine religions and the land of resurrection.
Moreover, this chapter shows that Belad Al Sham's people will be fixed on their rights for the Day of Resurrection. They are also in Jihad to the Day of Judgment and they are promised to be victorious.

Conclusion:

It contains the results and recommendations.